

الوجيز في التفسير

تقريب تفسير ابن كثير بصورة جديدة

تفسير جزئي تبارك وعم

إعداد

أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان

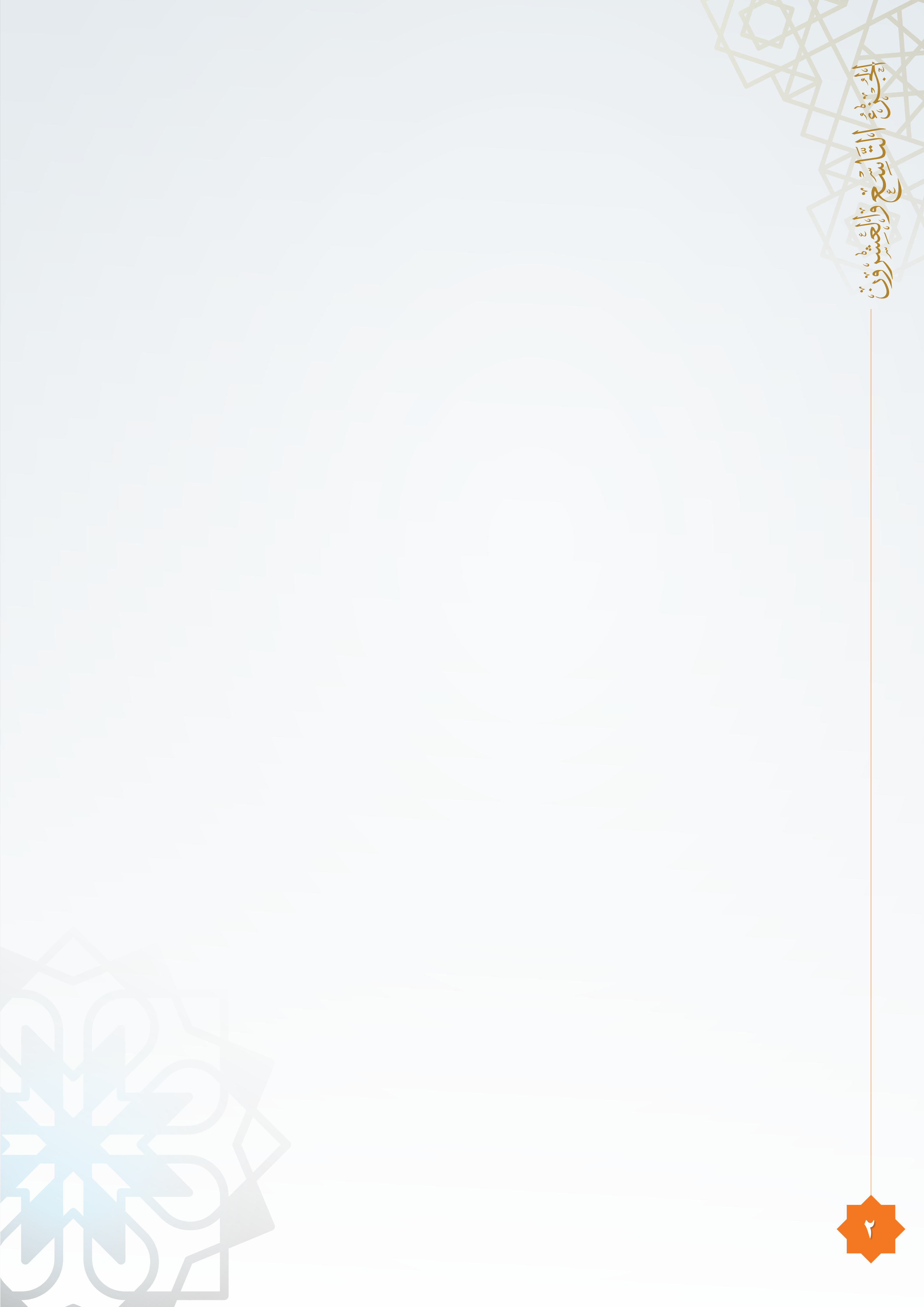
أ. عبد الله بن عبد الرحمن اليمني　　أ. عبد العزيز بن عبد الله الحسين

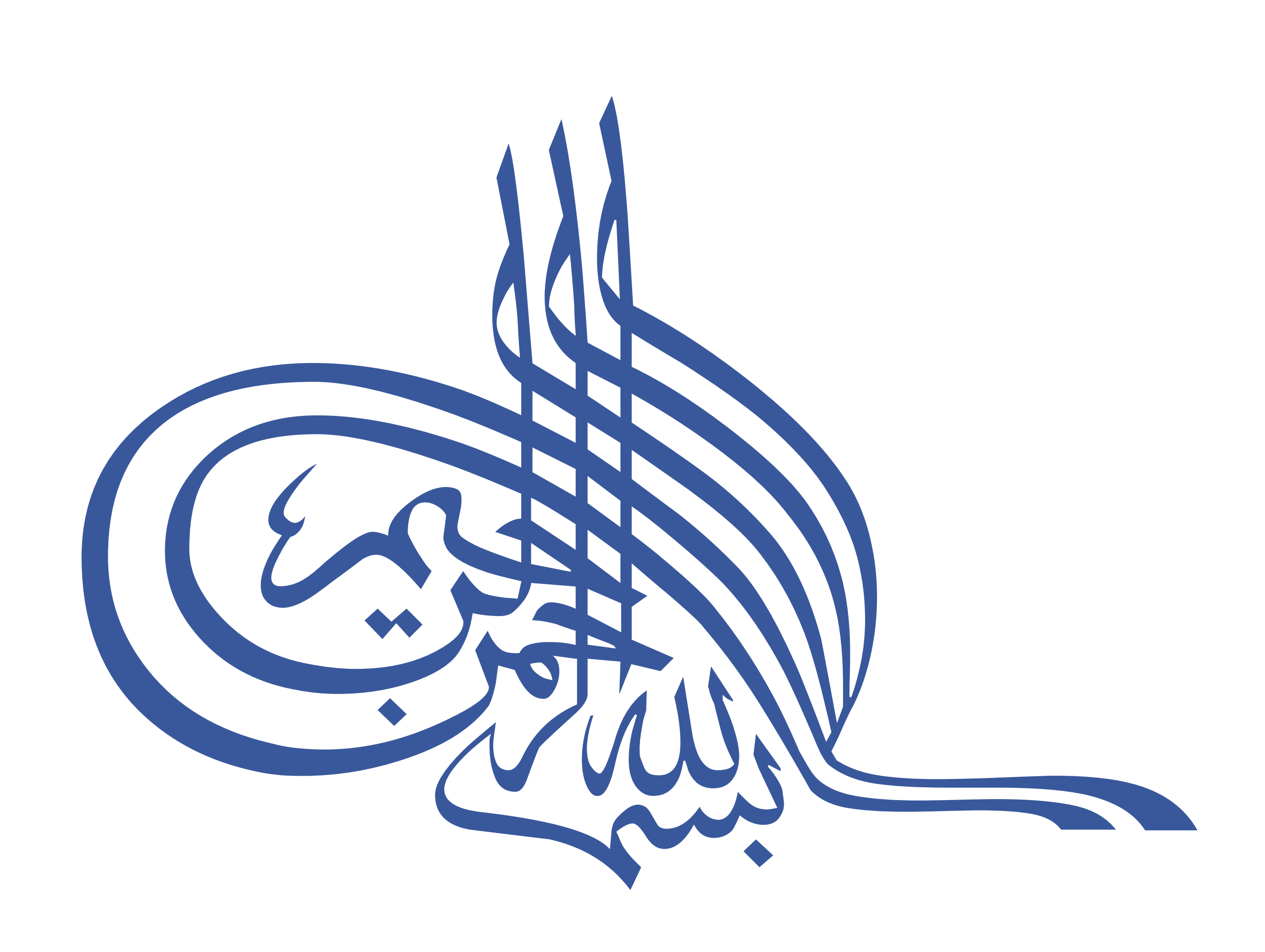




تفسير

جزء عم وتبارك




بسم الله الرحمن الرحيم







مقدمة التفسير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد أكرم الله نبينا محمدًا ﷺ بالرسالة الخاتمة ، وفضله بالمعجزة الخالدة : " القرآن الكريم " ، وتكفل بحفظه وعصمه من كل نقص وتحريف ، وجعله مهيمنًا على ما سبقه من الكتب ، وهيأ له من الأسباب ما جعله حجة قائمة إلى يوم القيامة ، وتكفل لمن تمسك به بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وقد هيأ الله من علماء الإسلام ثلة قاموا بخدمة هذا القرآن وبيان معانيه وتفسير آياته ، والكشف عن أسراره ووجوه إعجازه ، ومن هؤلاء الأعلام : الإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير رحمه الله ، فاعتنى بتفسير القرآن عناية فائقة ؛ فكان كتابه : " تفسير القرآن العظيم " من أجمع كتب التفسير وأحسنها وأسلمها منهجًا حتى قيل إنه لم يؤلف على نمطه مثله ، وقد حظي بالانتشار في أقطار العالم الإسلامي ، وتلقته أمة الإسلام بالقبول .

ونظرًا لتعاهد الناس لجزئي تبارك وعم ؛ تلاوة وحفظًا واستماعًا في الصلوات وغيرها ، فقد أفردنا هذين الجزأين ، وستكون باكورة إنتاج التفسير كاملاً بعون الله وتوفيقه مقروءًا ومسموعًا باسم : (الوجيز في التفسير) .

وكان منهج تقريب هذا التفسير يتلخص في النقاط التالية :

١/ الاعتماد على أصل تفسير ابن كثير بطبعاته المحققة على النسخ الخطية .

٢/ جمع المادة وترتيبها ، واستخلاص معنى الآية من مجموع ما أورده ابن كثير في تفسير الآية ، وترك الاستطرادات التي لا تتصل بالتفسير مباشرة .

٣/ تقريب المعنى الذي أراده ابن كثير رحمه الله والعناية بترجيحاته ؛ وذلك من خلال الاستقراء الشامل لما أورده في تفسير الآية ، ولو كان تفسيره لها في آية أخرى ، مع المحافظة على ألفاظه المتميزة بالوضوح والدقة ، والتي يرسم بها المنهج السلفي .

٤/ تنسيق تفسير كل آية على حدة ، إلا في حال اتصال المعنى بين آيتين فيدمج بينهما .

٥/ تعزيز التفسير بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية التي أوردها ابن كثير في تفسير الآيات .

٦/ الاعتماد على الأحاديث الصحيحة كأحاديث الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله ، وأما ما كان في السنن والمسانيد وغيرها فقد استفدنا فيه من تصحيحات الحافظ ابن كثير رحمه الله .

٧/ رُجِعت المادة العلمية من قبل مختصين باللغة للضبط والتصحيح .

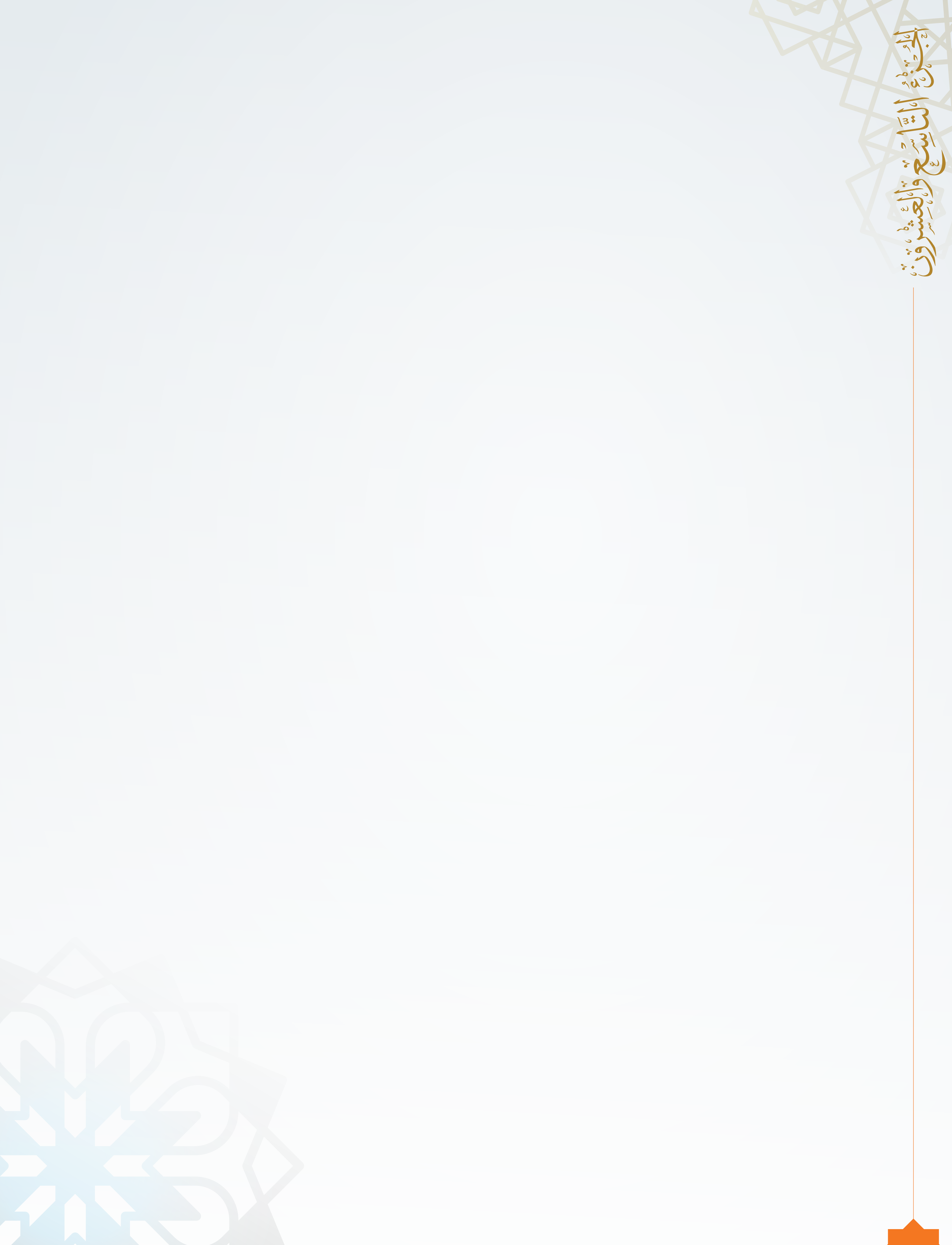
٨/ أُلحق بتفسير هذين الجزأين بعض الموضوعات الهامة والآداب والأحكام المتعلقة بالقرآن ؛ رغبة في استكمال الوحدة الموضوعية التي تحقق الهدف من هذا التفسير ، وتلبي احتياجات الناس .

ونحسب أننا قد بذلنا جهدنا وطاقتنا ، فما كان من صواب فمن الله وحده ، وما كان من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان ونستغفر الله منه ، ونسأل المولى ﷻ أن يكلل هذا العمل بالرضا والقبول ؛ والله حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المشرف العام

أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان



سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سورةُ الملكِ ... وهيَ مكيّةٌ

روَى أحمدُ وأصحابُ السننِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : "إنَّ سورةً في القرآنِ ثلاثينَ آيةً شفعَتْ لصاحبِها حتَّى غُفِرَ لهُ : "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" ، وروَى أحمدُ والترمذيُّ وغيرُهما : "أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ لا ينامُ حتَّى يقرأَ سورةَ السجدةِ وتبارَكَ" .

(١) في هذه الآيةِ يمجِّدُ اللهُ تعالَى نفسَه الكريمةَ ، ويخبِرُ أنَّه هوَ المتصرِّفُ في جميعِ المخلوقاتِ بما يشاءُ لا معقِّبَ لحكمِه ، ولا يُسْأَلُ عمَّا يفعلُ لقهرِه وحكمتِه وعدلِه ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

(٢) أوجدَ اللهُ الخلائقَ منَ العدمِ ليبلوَهم ويختبرَهم أيُّهم أحسنُ عملاً ؟ ، وهو العزيزُ العظيمُ المنيعُ الجنابِ الغفورُ لمَن تابَ إليه وأنابَ ، وهو ﷻ وإنْ كانَ عزيزًا فهو معَ ذلكَ يغفرُ ويرحمُ ويصفحُ ويتجاوزُ .

(٣) يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّه خلقَ سبعَ سماواتٍ متفاصلاتٍ ، طبقةً بعدَ طبقةٍ كما دلَّ على ذلكَ حديثُ الإسراءِ وغيرُه ، فالسماءُ الدُّنيا محيطةٌ بجميعِ الأرضِ ، مرتفعةٌ عليها مِنْ كلِّ جانبٍ على السَّواءِ ، وبُعدُ ما بينها وبينَ الأرضِ مِنْ كلِّ ناحيةٍ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ثم السماءُ الثانيةُ محيطةٌ بالسماءِ الدنيا ، وبينهما منَ البعدِ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، وكذا في سائرِ السمواتِ ، وسمكُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، ثم قال اللهُ ﷻ : ما ترَى في خلقِ الرَّحمنِ مِنْ اختلافٍ ولاَ تنافرٍ ولا نقصٍ ولا عيبٍ ولا خللٍ ، فانظرْ إلَى السماءِ فتأمَّلْها هل ترَى فيها عيبًا أو نقصًا أو خللاً ؟ .

(٤) إنَّك يا بْنَ آدمَ لو كرَّرتَ البصرَ مهما كرَّرت لرجعَ إليكَ البصرُ حسيرًا كليلاً ، قدِ انقطعَ منَ الإعياءِ أنْ يرَى نقصًا أو عيبًا أو خللاً .

(٥) (٦) ولمَّا نفَى اللهُ ﷻ النقصَ عنِ خلقِ السماءِ بيَّنَ كمالَها وزينتَها بالكواكبِ التي وُضِعَتْ فيها ، وجعلَ شهبًا مستمدةً مِنْ تلكَ الكواكبِ رجومًا للشَّياطينِ ، فالضميرُ عائدٌ على جنسِ المصابيحِ لا على عينِها ، فإنَّ التي يُرمَى بها ليستِ الكواكبَ .

وقد خلقَ اللهُ ﷻ النجومَ لثلاثِ خصالٍ : زينةً للسماءِ الدنيا ورجومًا للشياطينِ ، وعلاماتٍ يُهتدَى بها .

وقدْ جعلَ اللهُ للشياطينِ هذا الخزيَ في الدُّنيا ، وأرصدَ لهم عذابَ السَّعيرِ في الأخرَى ، وأعدَّ للذينَ كفرُوا بربِّهم عذابَ جهنَّمَ ، وبئسَ المآلُ والمنقلبُ .

(٧) (٨) يساقُ الكفَّارُ إلى جهنَّمَ سَوقًا عنيفًا بزجرٍ وتهديدٍ ووعيدٍ ، فإذا أُلقُوا فيها سمعُوا لها صياحًا وصوتًا شديدًا، وهي تغلي بهم ، يكادُ ينفصلُ بعضُها مِنْ بعضٍ مِنْ شدَّةِ غيظِها عليهم وحنقِها بهم ، وكلَّما أُلقِيَ فيها جماعةٌ منهم سألَهم زبانيةُ النَّارِ على وجهِ التقريعِ والتوبيخِ والتنكيلِ : ألمْ يأتِكم نذيرٌ ؟ .

(٩) ثمَّ ذكرَ اللهُ تعالَى عدلَه في خلقِه ، وأنَّه لا يعذِّبُ أحدًا إلَّا بعدَ قيامِ الحجَّةِ عليه وإرسالِ الرسولِ إليه كما قال ﷻ : "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً" ، وهكذا عادَ هؤلاءِ على أنفسِهم بالملامةِ ، وندِمُوا حيثُ لا تنفعُهم النَّدامةَ .

(١٠) وقالَ هؤلاءِ الكفَّارُ : لو كانتْ لنَا عقولٌ ننتفعُ بها أو نسمعُ ما أنزلَه اللهُ مِنَ الحقِّ مَا كنَّا على ما كنَّا عليه مِنَ الكفرِ باللهِ والاغترارِ به ، ولكنْ لم يكنْ لنا فهمٌ نعِي به ما جاءَتْ به الرُّسلُ ، ولا كان لنَا عقلٌ يرشدُنا إلى اتِّباعِهم .

(١١) لمَّا أقرَّ هؤلاءِ بفعلِهم قال تعالَى : ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الملك: ١١، وقد روَى الإمامُ أحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لن يهلِكَ الناسُ حتَّى يُعذِروا مِنْ أنفسِهم » ، وفي حديثٍ آخرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لا يدخلُ أحدٌ النَّارَ إلَّا وهو يعلمُ أنَّ النَّارَ أولَى بِهِ مِنَ الجنَّةِ» .

(١٢) يخبرُ تعالَى عمَّن يخافُ مقامَ ربِّه فيما بينَه وبينَه إذا كانَ غائبًا عنِ الناسِ فينكفُّ عنِ المعاصِي ويقومُ بالطاعاتِ حيثُ لا يراهُ أحدٌ إلَّا اللهُ بأنَّ له مغفرةً وأجرًا كبيرًا ، فتكفَّرُ عنه ذنوبُه ويجازَى بالثوابِ الجزيلِ ، وخشيةُ اللهِ ﷻ هي خلاصةُ الإيمانِ والعلمِ .

١٣ ثم قالَ اللهُ تعالَى منبِّهًا على أنَّه مطَّلعٌ على الضمائرِ والسرائرِ : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ الملك : ١٣ ، يعلمُ بما يخطرُ في القلوبِ .

١٤ ألَا يعلمُ الخالقُ ﷻ سرَّكم وجهرَكم ، وهو اللَّطيفُ الخبيرُ ؟ .

١٥ ثم ذكرَ اللهُ ﷻ نعمتَه على خلقِه ، في تسخيرِه لهم الأرضَ وتذليلِه إيَّاها لهم ، بأنْ جعلَها قارَّةً ساكنَةً لا تميدُ ولا تضطربُ بما جعلَ فيها مِنَ الجبالِ ، وأنبعَ فيها مِنَ العيونِ وسلكَ فيها مِنَ السُّبلِ ، وهيَّأَ فيها مِنَ المنافعِ ومواضعِ الزروعِ والثِّمارِ ، فسافِروا حيثُ شئتُم مِنْ أقطارِها ، وتردَّدوا في أقاليمِها وأرجائِها في أنواعِ المكاسبِ والتِّجاراتِ ، واعلمُوا أنَّ سعيَكم لا يُجدِي عنكم شيئًا إلَّا أنْ ييسِّرَه اللهُ لكم ، وهو المسخِّرُ المسيِّرُ المسبِّبُ ، والذي إليه المرجعُ يومَ القيامةِ .

١٦ ١٧ مِنْ لطفِ اللهِ ﷻ ورحمتِه بخلقِه أنَّه قادرٌ على تعذيبِهم بسببِ كفرِ بعضِهم به وعبادَتِهم معَه غيرَه ، وهو معَ هذا يحلمُ ويصفحُ ، ويُؤجِّل ولا يُعجِّل ؛ فلهذا قال : أأمنتُم مَنْ في السَّماءِ أنْ يخسفَ الأرضَ بكم فإذا هي تذهبُ وتجيءُ وتضطربُ ؟ ، أمْ أمنتُم مَنْ في السَّماءِ أنْ يُرسلَ عليكم ريحًا فيها حصباءُ تدمغُكم ؟ ،وهكذا توعَّدَهم بقولِه : فستعلمونَ كيفَ يكونُ إنذارِي وعاقبةُ مَنْ تخلَّفَ عنه وكذَّبَ به .

١٨ ولقد كذَّبَ الذين مِنْ قبلِهم مِنَ الأممِ السَّالفَةِ والقرونِ الخاليةِ فكيف كان إنكارِي عليهم ومعاقبَتِي لهم ؟ ، لقد كان عظيمًا شديدًا أليمًا .

١٩ نبَّه اللهُ تعالَى عبادَه إلى النَّظرِ إلى الطيرِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ ، كيف جعلَه يطيرُ بجناحَيه في جوِّ السماءِ ، فيصففْنَ أجنحتَهنَّ في الهواءِ تارةً ، ويقبضنَ أجنحتَهنَّ تارةً ، ما يمسكُهنَّ في الجوِّ إلَّا اللهُ حيثُ جعلَ فيها قدرةً على ذلك وسخَّرَ الهواءَ يحملُها ، وهذا مِنْ رحمةِ اللهِ ولطفِه ، إنَّه بصيرٌ بما يُصلِحُ كلَّ شيءٍ مِنْ مخلوقاتِه .

٢٠ ينكرُ اللهُ تعالَى على المشركينَ الذينَ عبدُوا غيرَه ؛ يبتغونَ عندَهم نصرًا ورزقًا أنَّه لا يحصلُ لهم ما أمَّلوهُ ، وأنَّه ليسَ لهم مِنْ دونِ الرحمنِ مِنْ وليٍّ ولا واقٍ ولا ناصرٍ لهم غيرُه ، إنِ الكافرونَ إلَّا في غرورٍ .

٢١ ثم قالَ تعالَى : مَنْ هذا الذي إذا قطعَ اللهُ رزقَه عنكم يرزُقُكم بعدَه ؟ ، إنَّه لا أحدَ يعطِي ويمنعُ ويخلقُ ويرزُقُ وينصرُ إلَّا اللهُ ﷻ وحدَه لا شريكَ له ، والمشركونَ يعلمونَ ذلك ، ومعَ هذا يعبدُون غيرَه ، بل استمرُّوا في طغيانِهم وضلالِهم ؛ عنادًا واستكبارًا ونفورًا عنِ الحقِّ ، لا يسمعونَ له ولا يتَّبعونَه .

٢٢ هذا مَثَلٌ ضربَه اللهُ ﷻ للمؤمنِ والكافرِ ، فالكافرُ مَثَلُه

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

فيما هو فيه : كمثَلِ مَنْ يمشِي منحنيًا على وجهِه ، لا يدرِي أينَ يسلكُ ولا كيفَ يذهبُ ؟ ، بل هو تائهٌ حائرٌ ضالٌّ ، أهذا أهدَى أمْ مَنْ يمشِي منتصبَ القامةِ على طريقٍ واضحٍ بيِّنٍ ، وهو في نفسِه مستقيمٌ وطريقُه مستقيمَةٌ ، هذا مَثَلُهم في الدنيا وكذلك يكونونَ في الآخرةِ ، فالمؤمنُ حينَ يُحشَرُ يمشِي سويًا على صراطٍ مستقيمٍ يفضِي به إلى الجنَّةِ ، والكافرُ حينَ يُحشَرُ يمشِي على وجهِه إلى نارِ جهنَّم .

٢٣ قل يا مُحمَّدُ للذين يكذِّبونَ بالبعثِ مِنَ المشركينَ : إنَّ اللهَ هو الذي ابتدأَ خلقَكم بعدَ أنْ لمْ تكونُوا شيئًا مذكورًا وجعلَ لكمُ العقولَ والإدراكَ ، وقلَّما تستعملونَ هذهِ القوَى التي أنعمَ اللهُ بها عليكُم في طاعتِه وامتثالِ أوامرِه .

٢٤ قل : إنَّ اللهَ هو الذي نشرَكم في أقطارِ الأرضِ وأرجائِها معَ اختلافِ لغاتِكم وألوانِكم وأشكالِكم وصورِكم ، وبعدَ هذا التفرُّقِ والشَّتاتِ يجمعُكم ربُّكم كما فرَّقَكم ويعيدُكم كمَا بدأَكم .

٢٥ ٢٦ يقولُ الكفَّارُ المنكرونَ للمعادِ للنبيِّ ﷺ : متى يقعُ هذا الذي تخبرُنا به ؟ ، فقالَ اللهُ ﷻ : قل يا مُحمَّدُ : لا يعلمُ وقتَ ذلكَ على التعيينِ إلَّا اللهُ ﷻ لكنَّه أمرني أنْ أخبرَكم أنَّ هذا واقعٌ لا محالةَ فاحذرُوه ، وإنَّما عليَّ البلاغُ ، وقدْ أدَّيتُه إليكُم .

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ ٱلْقَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

(٢٧) إذا قامتِ القيامةُ وشاهدَها الكفَّارُ، ورأوا أنَّ الأمرَ كان قريبًا وإنْ طالَ زمنُه ساءَهم ما كذَّبوا به؛ لما يعلمونَ ما لهم مِنَ الشرِّ، وجاءَهم مِنْ أمرِ اللهِ ما لم يكنْ لهم في بالٍ ولا حسابٍ؛ ولهذا يقالُ لهم على وجهِ التقريعِ والتوبيخ: هذا الذي كنتُم به تستعجلونَ.

(٢٨) قل يا مُحمَّدُ لهؤلاءِ المشركينَ: خلِّصوا أنفسَكم فإنَّه لا مُنقِذَ لكم مِنَ اللهِ إلَّا التوبةُ والرجوعُ إلى دينِه ولا ينفعُكم وقوعُ ما تتمنَّونَ لنَا مِنَ العذابِ والنَّكالِ، فسواءٌ عذَّبنَا اللهُ أو رحمَنا، فلا مناصَ لكم مِنْ نكالِه وعذابِه الأليمِ الواقعِ بكم.

(٢٩) كثيرًا ما يقرنُ اللهُ ﷻ بينَ العبادةِ والتوكّلِ، ففي الأولِ تبرُّؤٌ مِنَ الشِّركِ، وفي الثاني تبرُّؤٌ مِنَ الحولِ والقوَّةِ وتفويضُ الأمرِ إلى اللهِ ﷻ، فلهذا قالَ تعالَى: قل يا مُحمَّدُ: آمنَّا بربِّ العالمينَ الرحمنِ الرحيمِ وعليه توكَّلنَا في جميعِ أمورِنا، فستعلمونَ مَنْ هو في ضلالٍ مبينٍ، ولمَن تكونُ العاقبةُ في الدنيا والآخرةِ.

(٣٠) قل أرأيتُم إنْ أصبحَ ماؤُكم غائرًا في الأرضِ ذاهبًا إلى أسفلِها، فلا يُنالُ بالفؤوسِ الحدادِ ولا السواعدِ الشِّدادِ، فمَنْ يأتيكُم بماءٍ نابعٍ جارٍ على وجهِ الأرضِ، لا يقدرُ على ذلكَ إلَّا اللهُ ﷻ، فمِنْ فضلِه وكرمِه أنبعَ لكمُ المياهَ العذبةَ وأجراها في سائرِ أقطارِ الأرضِ، بحسبِ ما يحتاجُ العبادُ إليهِ مِنَ القلَّةِ والكثرةِ، فللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ.

سورةُ القلمِ ... وهيَ مِنَ السُّورِ المدنيَّة

(١) اختلفَ العلماءُ في الحروفِ المقطَّعةِ التي في أوائلِ السُّورِ، فمَنْ ظهرَ له بعضُ الأقوالِ بدليلٍ فعليه اتِّباعُه، وإلَّا فالوقفُ حتى يتبيَّنَ، والحكمةُ التي اقتضَتْ إيرادَ هذه الحروفِ في أوائلِ السورِ هي: بيانُ إعجازِ القرآنِ وأنَّ الخلقَ عاجزونَ عنْ معارضتِهِ بمثلِهِ معَ أنَّه مِنْ هذه الحروفِ المقطَّعةِ التي يتخاطبونَ بها. والظاهرُ أنَّ القلمَ المذكورَ هنا هو جنسُ القلمِ الذي يُكتَبُ به، وفي إقسامِ اللهِ به تنبيهٌ لخلقِه على ما أنعمَ به عليهم مِنْ تعليمِ الكتابةِ التي بها تُنالُ العلومُ.

(٢) (٣) لستَ يا مُحمَّدُ -وللهِ الحمدُ- بمجنونٍ كما قد يقولُه الجهَلَةُ مِنْ قومِك المكذِّبونَ بما جئتَهم به مِنَ الهدَى والحقِّ المبينِ، بل لك الأجرُ العظيمُ والثوابُ الجزيلُ الذي لا ينقطعُ ولا يبيدُ، على إبلاغِك رسالةَ ربِّك إلى الخلقِ، وصبرِك على أذاهم.

(٤) يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّ نبيَّه مُحمَّدًا ﷺ على خُلُقٍ عظيمٍ، وقد روَى مسلمٌ في صحيحِه أنَّ عائشةَ رضي الله عنها سُئِلَتْ عنْ خُلُقِ النبيِّ ﷺ، فقالَت: "كان خُلُقُه القرآنُ"، ومعنَى هذا أنَّ امتثالَ القرآنِ أمرًا ونهيًا صارَ له سجيةً وخُلُقًا معَ ما جبلَه اللهُ عليه مِنَ الحياءِ والكرمِ والشجاعةِ والصَّفحِ والحِلمِ وكلِّ خلقٍ جميلٍ.

(٥) (٦) (٧) ثم قالَ تعالَى: ستعلمُ يا مُحمَّدُ وسيعلمُ مخالفوكَ ومكذِّبوكَ مَنِ المفتونُ الضَّالُّ الذي قد افتتنَ عنِ الحقِّ وضلَّ عنه، فإنَّ ربَّكَ هو يعلمُ أيُّ الفريقينِ هو المهتدي، ويعلمُ الحزبَ الضَّالَّ عنِ الحقِّ.

(٨) (٩) ثم قالَ اللهُ ﷻ لنبيِّه ﷺ: كما أنعمنَا عليكَ يا مُحمَّدُ وأعطيناكَ الشَّرعَ المستقيمَ والخُلُقَ العظيمَ فلا تُطعِ المكذِّبينَ، فإنَّهم يودُّونَ لو تركَنُ إلى آلهتِهم وتتركُ ما أنتَ عليه مِنَ الحقِّ.

(١٠) (١٢) (١٣) ولا تطعْ كلَّ حلَّافٍ ضعيفٍ كاذبٍ؛ لأنَّه لضعفِه ومهانتِه إنَّما يتَّقي بأيمانِه الكاذبَةِ التي يجترئُ بها على أسماءِ اللهِ، واستعمالِها في كلِّ وقتٍ في غيرِ محلِّها، كثيرِ الغيبةِ للناسِ ويمشِي بينَهم يُحرِّشُ، وينقلُ الحديثَ لفسادِ ذاتِ البينِ، وقد روَى أحمدُ والبخاريُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: "لا يدخلُ الجنَّةَ نمَّامٌ" ويُمنعُ ما عليه وما لديه مِنَ الخيرِ، مُعتدٍ في تناولِ ما أحلَّ اللهُ له، ويتجاوزُ الحدَّ المشروعَ بتناولِ الحرامِ، فظٌّ غليظٌ جموعٌ منوعٌ، مريبٌ مشهورٌ باللؤمِ والسوءِ، وهو معَ ذلك دعيٌّ في القومِ ملصَقٌ بهم في النَّسبِ.

(١٤) (١٥) في مقابلةِ ما أنعمَ اللهُ على هذا مِنَ المالِ والبنينَ كفرَ بآياتِ اللهِ وأعرضَ عنها، وزعمَ أنَّها كذبٌ مأخوذٌ مِنْ أساطيرِ الأوَّلين.

١٦ ثـم قـالَ اللهُ ﷻ : سـنبيِّنُ أمـرَ هـذا المتكبِّرِ اللئيـمِ بيانًا واضحًـا في الدنيا ، حتى يعرفَه الناسُ ولا يخفَى عليهم ، وفي يومِ القيامةِ يسِـمُه اللهُ على خرطومِه ويسوِّدُ وجهَه ، وقد عبَّرَ عنِ الوجهِ بالخرطوم .

١٧ ١٨ هذا مثلٌ ضَربَه اللهُ تعالَى لكفارِ قريشٍ فيما أهدَى إليهـم مِنَ الرَّحمَة العظيمـةِ ببعثِه مُحَمَّـدًا ﷺ إليهم فقابلُوه بالتَّكذيبِ والـردِّ والمحاربةِ ؛ ولهذا قال تعالَى : إنَّا بلوناهم واختبرنَاهـم كمَـا بلونَا أصحـابَ البستانِ المشتملِ على أنـواعِ الثِّمارِ والفواكهِ ، إذْ حلفُوا فيما بينَهـم -لا يستثنونَ في حلفِهم- ليجُـذُّنَّ ثمرَهـا ليلاً لئلَّا يعلمَ بهم فقيرٌ ولا سـائلٌ ، ليتوفَّرَ ثمرُها عليهم ولا يتصدَّقوا منه بشيءٍ .

١٩ ٢٠ يخبـرُ اللهُ ﷻ أنَّه حنَّث هؤلاءِ في أيمانِهم ، فأصابَتْها آفةٌ سـماويةٌ فأصبحَتْ هشيمًا يابسًا ، سوداءَ محترقةً كالليلِ المُدْلَهِمِّ ، فحُرِمُوا خيرَ جنَّتِهم بذنبِهم .

٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ لمَّا كانَ وقتُ الصبحِ نادَى بعضُهم بعضًا : أنِ اذهبُوا إلى بسـتانِكم إنْ كنتُم تريدونَ قطعَ الثِّمارِ والفواكهِ ، فانطلقوا وهم يتناجَون ؛ لا يُسْمِعون أحدًا كلامَهم ، ثمَّ فسَّرَ اللهُ ﷻ عالِمُ السِّرِّ والنَّجوَى ما كانوا يتخافَتون به ، حيثُ أخبرَ أنَّهم كانوا يقولُون لبعضٍ : لا تُمكِّنوا اليومَ فقيرًا يدخلُها عليكُم .

٢٥ ٢٦ ٢٧ وغدَوا على قوَّةٍ وشدَّةٍ وجَلَدٍ وهمَّةٍ ؛ يزعمُون أنَّهم قادرُون عليها ، فلمَّا أشرفُوا عليها ، وقدِ استحالَتْ عَنْ تلكَ النَّضارةِ والزُّهـرَةِ وكثرةِ الثِّمارِ إلى أنْ صارَتْ سـوداءَ مُدْلَهِمَّـةً ، فاعتقدُوا أنَّهم قـد أخطأوا الطريقَ ، فقالُوا : إنَّا قد سـلَكْنا إليها غيرَ الطريقِ فتُهنا ، ثم رجعُـوا فتيقَّنوا أنَّها هي ، فقالُوا : بل هي هذه ! ، ولكنْ نحنُ لا حظَّ لنا ولا نصيبَ .

٢٨ ٢٩ قـال خيـرُ هـؤلاءِ النَّفرِ وأعدلُهـم : ألمْ أقـلْ لكمْ لـولا قلتُم : إنْ شـاءَ اللهُ ، ألا تسـبِّحونَ اللهَ وتشـكرونَه على مـا أعطاكُـم وأنعمَ به عليكُـم ، قالُوا : " سـبحانَ ربِّنا إنَّا كنَّا ظالميـن " فندمُـوا واعترفُوا حيـثُ لا ينجعُ ، وأتَـوا بالطَّاعةِ حيثُ لا تنفعُ .

٣٠ فأقبـلَ بعضُهم يلومُ بعضًا على ما كانُوا أصرُّوا عليه مِنْ منعِ المساكينِ مِنْ حقِّ الجـذاذِ ، فما كان جـوابَ بعضِهم لبعضٍ إلَّا الاعترافُ بالخطيئةِ والذَّنْبِ .

٣١ ٣٢ قالُـوا : يـا ويلَنا إنَّا اعتدَينا وبغينَـا وطغينَا وجاوزْنا الحـدَّ حتى أصابَنا ما أصابَنا ، عسَـى ربُّنا أنْ يبدلَنا خيرًا منها في الدنيا ، إنَّا إلى ربِّنا راغبُون .

٣٣ هكذا عذابُ مَـنْ خالفَ أمْرَ اللهِ وبخلَ بمَا آتاهُ اللهُ ومنعَ حـقَّ المسكينِ والفقيرِ ، وبـدَّلَ نعمـةَ اللهِ كفـرًا ، ولعذابُ الآخرةِ أكبرُ وأشقُّ مِنْ عقوبةِ الدنيا .

٣٤ لمَّا ذكرَ اللهُ تعالَى حالَ أهلِ الجنَّةِ الدنيويَّةِ ، وما أصابَهم

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

فيها مِنَ النِّقمَة حين عصَوا اللهَ ﷻ وخالفُوا أمرَه ، بيَّن أنَّ لمنِ اتَّقـاهُ وأطاعَه في الدارِ الآخرةِ جنَّـاتِ النعيمِ التي لا تبيدُ ولا تفرغُ ولا ينقضِي نعيمُها .

٣٥ ٣٦ يقولُ اللهُ ﷻ : أفنسَـاوي بينَ المسلمينَ والمجرمينَ في الجزاءِ ؟ ، كلَّا وربِّ الأرضِ والسماءِ ، ما لكُم أيُّها الناسُ كيفَ تظنُّونَ ذلكَ ؟ .

٣٧ ٣٨ أفبأيديكُـم معشـرَ الكفَّـارِ كتـابٌ منزلٌ مِنَ السـماءِ تدرسـونَه وتحفظونَـه وتتداولونَـه مُتضمِّنٌ حكمًـا مؤكَّدًا أنَّ المطيعَ كالعاصِي كما تدَّعونَه ؟.

[ثـم وبَّخَهـمُ اللهُ ﷻ فيما يقولُون مِنَ الباطلِ ومـا يتمنَّونَه مِنَ الأماني الباطلةِ فقال : إنَّ لكُم فيه لَمَا تخيَّرونَ !].

٣٩ ٤٠ أَمَعَكـم عهـودٌ منَّـا ومواثيـقُ مؤكَّدةٌ أنَّه سـيحصلُ لكم ما تريدونَ وتشـتهونَ ؟ ، فقلْ يا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ : مَنْ هو المتضمِّنُ المتكفِّلُ بذلكَ الحكمِ ؟ .

٤١ أم لهـم شـركاءُ مِـنَ الأصنـامِ والأنـدادِ تكفُـلُ لهم ما يقولُون، فليأتوا بشركائِهم إنْ كانوا صادقينَ .

٤٢ في يومِ القيامةِ تكونُ الأهوالُ والزلازلُ والبلاءُ والامتحانُ والأمـورُ العظـامُ ، وقـد ثبتَ في صحيـحِ البخاريِّ وغيـرِه أنَّ المؤمنينَ يسـجدُونَ للهِ يومَ القيامةِ ، وأمَّا المنافقُ فلا يسـتطيعُ ذلكَ ويعودُ ظهرُه طبقًا واحدًا كلَّما أرادَ السُّجودَ خرَّ لقفاهُ .

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

٤٣ يخبـرُ اللهُ تعالَـى أنَّ أبصـارَ الكفـارِ والمنافقيـنَ خاضعةٌ ذليلـةٌ، وترهقُهـم ذِلَّةٌ في الدَّارِ الآخـرةِ بإجرامِهم وتكبُّرِهم في الدنيـا فعوقِبوا بنقيـضِ ما كانوا عليه، فقَدْ دُعُوا إلى السـجودِ في الدنيا فامتنعوا منه معَ صحَّتِهم وسـلامتِهم، كذلك عُوقِبوا بعـدمِ قدرتِهم عليه في الآخرةِ إذا تجلَّى الرَّبُّ ﷻ، فيسـجدُ له المؤمنـونَ ولا يسـتطيعُ أحدٌ مِـنَ الكافريـنَ ولا المنافقينَ أنْ يسجُدَ، بل كلَّما أرادَ أحدُهم أنْ يسجُدَ خرَّ لقفاهُ، على عكسِ السجودِ، بخلافِ ما عليه المؤمنونَ .

٤٤ ثـم قال اللهُ في تهديدٍ شـديدٍ : دعنِي يا مُحَمَّدُ ومَنْ يُكذِّبُ بهذا القرآنِ، أنا أعلمُ به كيفَ أسـتدرجُه وهو لا يشعرُ، وأمدُّه في غيِّـهِ وأُنْظِرُهُ، حتَّى يعتقـدَ أنَّ ذلك مِـنَ اللهِ كرامَةٌ، وهو في نفسِ الأمرِ إهانةٌ، ثم آخذُه أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، كما قال تعالَى : " حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ " .

٤٥ يخبـرُ اللهُ ﷻ أنَّ مِنْ كيـدِه ومكرِه بِمَنْ يُكَذِّبُ بالقرآنِ أنَّه يؤخِّرُهم وينظرُهم ويمدُّهم؛ لأنَّهم خالفُوا أمرَه وكذَّبوا رسلَه واجـترءوا علـى معصيتِه، وقد جاءَ في الصحيحينِ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـال : " إنَّ اللهَ تعالَى لَيُملِـي للظالمِ، حتى إذا أخذَه لم يفلتْهُ " .

٤٦ ثـم قال تعالَى : [أتسـألُ يا مُحَمَّدُ هؤلاءِ المشـركينَ على ما أتيتُهم به مِـنَ النصيحةِ ودعوتُهم إليه مِنَ الحقِّ ثوابًا وجزاءً فأثقلَهـم القيـامُ بأدائِـه ؟]، إنَّـك لسـتَ تسـألُهم أجـرةً على إبلاغِك إيَّاهم رسالةَ اللهِ، بل ترجُو ثوابَ ذلك عندَ اللهِ، وهم يكذِّبونَ بما جئتَهم به بمجرَّدِ الجهلِ والكفرِ والعنادِ، وهم مِنْ أدنَى شيءٍ يتبرَّمونَ، ويثقلُهم ويشقُّ عليهم .

٤٧ لا يعلـمُ أحـدٌ مِنْ أهلِ السـمواتِ والأرضِ الغيبَ إلَّا اللهُ ﷻ، [وليـسَ عنـدَ هؤلاءِ اللوحُ المحفوظُ الـذي فيه نبأُ ما هو كائـنٌ فهـم يكتبونَ منه مـا فيـه، فيجادلونَك ويزعمـونَ أنَّهم أفضلُ منزلةً مِنْ أهلِ الإيمانِ به] .

٤٨ ٤٩ ٥٠ فاصـبِرْ يا مُحَمَّدُ علـى أذَى قومِك وتكذيبِهم؛ فإنَّ اللهَ سـيحكُم لـكَ عليهم، ويجعلُ العاقبـةَ لكَ ولأتباعِك في الدنيـا والآخرةِ، ولا تكنْ كنبـيِّ اللهِ يونسَ ﵇ حينَ ذهبَ مغاضبًـا على قومِه، فركبَ البحرَ والتقمَه الحوتُ، وشـردَ به في غمراتِ اليمِّ، فنادَى في الظلماتِ وهو مغمومٌ مكروبٌ : أنْ لا إله إلَّا أنتَ سـبحانَك إنِّي كنتُ مِنَ الظالمينَ، فأجابَه العليُّ القديـرُ الذي لا يُرِدُّ ما أنفذَه مِنَ التقديـرِ، وأمَرَ الحوتَ فألقَاه بالعراءِ، [واصطفاه واختارَه ليكونَ مِنَ المرسلينَ العاملينَ بما أمرَهم به] .

٥١ ٥٢ لـولا وقايـةُ اللهِ ﷻ لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ وحمايتُه له لعانَهُ الذيـنَ كفـرُوا بأبصارِهم، فهم يحسُـدونَه ويزْدَرونَـه بأعينِهم ويؤذُونَه بألسـنَتِهم ويقولـونَ : إنَّه لمجنونٌ لمجيئِـه بالقرآنِ، وما القرآنُ إلَّا ذكرٌ للعالمينَ .

وفي هـذهِ الآيةِ دليلٌ على أنَّ إصابَةَ العينِ وتأثيرَها حقٌّ بأمرِ اللهِ ﷻ، وقد روَى البخاريُّ ومسـلمٌ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ أمَرَ عائشةَ ﵂ أنْ تسترقِيَ مِنَ العينِ " .

وفي البخاريِّ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ كان يُعَوِّذُ الحسـنَ والحسينَ يقـولُ : " أعيذُكما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ مِنْ كلِّ شـيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كلِّ عينٍ لامَّةٍ " .

سورةُ الحاقَّةِ ... وهيَ مكِّيَّةٌ

١ ٢ ٣ الحاقَّةُ مِنْ أسـماءِ يوم القيامـةِ ؛ لأنَّ فيها يتحقَّقُ الوعـدُ والوعيـدُ ؛ ولهـذا عظَّـمَ اللهُ تعالَى أمرَها فقـال : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ " ؟ .

٤ ٥ ثـم ذكـرَ اللهُ إهلاكَه الأممَ المكذِّبيـنَ بالقيامةِ فقال : " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ "، وهي الصيحَةُ التي أسكتَتْهم والزلزلَةُ التي أسكنَتهم .

٦ ٧ ٨ أهلـكَ اللهُ قـومَ عادٍ بريحٍ باردةٍ شـديدةِ الهبوبِ فنقَّبَـتْ عن أفئدتِهم، حيث سـلَّطَها عليهم سـبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيـامٍ كاملـةٍ متتابعةٍ فجعلَـتِ الريحُ تضـربُ بأحدِهم الأرضَ فيخرُّ ميتًا على أمِّ رأسِـه، فينشـدخُ رأسُـه وتبقَـى جثتُه هامدةً كالنَّخلـةِ إذا خـرَّتْ بلا أغصـانٍ، فهل ترَى أحـدًا مِنْ بقاياهم ينتسـبُ إليهـم ؟، بل بادُوا عـنْ آخرِهـم، ولم يجعـلِ اللهُ لهم خلفًا .

٩ ١٠ يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ هؤلاءِ جاءوا بالفعلةِ الخاطئةِ، وهي التكذيبُ بمَا أنزلَ اللهُ، ففِرْعَونُ ومَنْ قبلَه مِنَ الأممِ المكذِّبَةِ بالرُّسلِ كقومِ لوطٍ؛ كلٌّ مِنْ هؤلاءِ كذَّبَ رسولَ اللهِ إليهم فأخذَهم أخذةً عظيمةً شديدةً أليمةً.

١١ يقولُ اللهُ تعالَى ممتنًا على الناسِ: لمَّا كثرَ الماءُ بإذنِ اللهِ وزادَ على الحدِّ وارتفعَ على الوجودِ حملنَاكُم في السفينةِ الجاريةِ على وجهِ الماءِ؛ وذلكَ بسببِ دعوةِ نوحٍ عليه السلام على قومِه حين كذَّبُوه وعبدُوا غيرَ اللهِ؛ فاستجابَ اللهُ له وعمَّ أهلَ الأرضِ بالطوفانِ، ولم ينجُ إلَّا مَنْ كان معَ نوحٍ في السفينةِ، فالناسُ كلُّهم مِنْ سلالةِ نوحٍ وذرِّيَّتِه.

١٢ يخبرُ تعالَى أنَّه أبقَى مِن جنسِ السفينةِ ما يركبُه الناسُ في البحارِ؛ لكي يفهمَ هذه النِّعمةَ ويذكرَها مَنْ له سمعٌ وعقلٌ وينتفعَ بما يَسمَعُ مِنْ كلامِ اللهِ.

١٣ ثم أخبرَ تعالَى عن أهوالِ يومِ القيامةِ، وأنَّ أولَ ذلك نفخةُ الفزعِ في آخرِ عمرِ الدنيا، ثم يكونُ بعدَها نفخةُ الصَّعقِ التي تموتُ بها الأحياءُ، ثم بعدَها نفخةُ القيامِ لربِّ العالمينَ والبعثِ والنُّشورِ، وهي النَّفخةُ المذكورةُ هنا، وقد أُكِّدَتْ بأنَّها واحدةٌ؛ لأنَّ أمْرَ اللهِ لا يُخالَفُ ولا يُمانَعُ ولا يحتاجُ إلى تكرارٍ وتأكيدٍ.

والصُّور: قرنٌ عظيمٌ يَنفخُ فيه إسرافيلُ بأمْرِ اللهِ ثلاثَ نَفَخَاتٍ: نفخةُ الفزعِ؛ والصَّعقِ؛ والبعثِ والنُّشورِ.

١٤ ١٥ ثم أخبرَ تعالَى أنَّ الأرضَ والجبالَ تُمَدُّ في ذلك اليومِ مدَّ الأديمِ، فيسوِّيها ويبسطُها ثم يزجرُ اللهُ الخَلْقَ فإذا هم في الأرضِ المبدَّلةِ.

١٦ ١٧ ثم أخبرَ تعالَى أنَّه لشدَّةِ الأمرِ وهولِ يومِ القيامةِ تتصدَّعُ السَّماءُ وتتقطَّعُ، والملائكةُ على أطرافِ السماءِ وحافَّاتِها ينظرونَ إلى أهلِ الأرضِ، ويومئذٍ يحملُ العرشَ ثمانيةٌ مِنَ الملائكةِ فيوضَعُ في الأرضِ لفصلِ القضاءِ بينَ العبادِ، وقد روَى أبو داودَ بإسنادٍ جيدٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "أُذِنَ لي أنْ أُحدِّثَ عنْ مَلَكٍ مِنْ ملائكةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العرشِ: أنَّ ما بين شحمةِ أُذُنِه إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ".

١٨ في ذلك اليومِ تُعرَضونَ أيُّها الناسُ على عالِمِ السرِّ والنَّجوَى، فلا يَخفَى عليه شيءٌ مِنْ أموركم، بل هو عالمٌ بالظواهرِ والسرائرِ والضمائرِ.

١٩ – ٢٤ يخبرُ اللهُ تعالَى عنْ سعادةِ مَنْ يُؤتَى كتابَه يومَ القيامةِ بيمينِه، وأنَّه مِنْ شدَّةِ فرحِه يقولُ لكلِّ مَنْ لقيَه: هاكُمُ اقرَؤُوا كتابيَه، إنِّي قد كنتُ موقنًا في الدنيا أنَّ هذا اليومَ كائنٌ لا محالةَ؛ فلذلكَ هو في عيشةٍ مرضيَّةٍ، في جنَّةٍ رفيعةٍ قصورُها، حسانٍ حورُها، نعيمةٍ دورُها، دائمٍ حبورُها، قريبٍ ثمرُها إليهم، متى شاءوا تناولُوه على أيِّ صفةٍ كانوا، ثم يُقَالُ لهم

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾

تفضُّلًا وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا عليهم: كلوا واشربوا هنيئًا بمَا أسلفتُم في الأيامِ الخاليةِ؛ وإلَّا فإنَّه لنْ يدخلَ أحدٌ الجنَّةَ بعملِه كما ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ.

٢٥ ٢٦ ٢٧ في هذه الآياتِ إخبارٌ عَنْ حالِ الأشقياءِ إذا أُعطي أحدُهم كتابَه في العَرَصاتِ بشمالِه، فحينئذٍ يندمُ غايةَ النَّدمِ ويقولُ يا ليتني لم أُوتَ كتابيَه، ولم أدرِ ما حسابيَه، فيتمنَّى الموتَ ويقولُ: يا ليتَها كانت موتةً لا حياةَ بعدَها.

٢٨ – ٣٢ ثم يقولُ هذا الشقيُّ: إنَّه لم يدفعْ عنِّي مالِي ولا جاهِي عذابَ اللهِ وبأسَه، بل خلصَ الأمرُ إليَّ وحديَ، فلا مُعينَ لي ولا مجيرَ، فعندَ ذلك يأمرُ اللهُ ﷻ الزبانيةَ أنْ تأخذَه مِنَ المحشرِ عنفًا فتضعَ الأغلالَ في عنقِه، ثم تُوردُه إلى جهنَّمَ فتصليه فيها، ثم يُنظمُ في سلسلةٍ كما يُنظمُ الجرادُ في العودِ حين يُشوَى.

٣٣ ٣٤ ٣٥ يقولُ اللهُ ﷻ: [افعلوا ذلك بهذا الشقيِّ جزاءً على كفرِه باللهِ في الدنيا]، فهو لا يقومُ بحقِّ اللهِ عليهِ مِنْ طاعتِه وعبادتِه، ولا ينفعُ خَلْقَه ولا يؤدِّي حقَّهم؛ ذلك أنَّ للهِ ﷻ على العبادِ أنْ يوحِّدُوه، ولا يشركوا به شيئًا، وللعبادِ بعضِهم على بعضٍ حقُّ الإحسانِ والمعاونةِ على البرِّ والتَّقوى.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٣٦ ٣٧ يخبرُ اللهُ ﷻ عنْ حالِ الشقيِّ في العرَصَاتِ يومَ القيامةِ، وأنَّه ليسَ له مَنْ ينقذُه مِنْ عذابِ اللهِ، لا شفيعٌ [ولا قريبٌ يدفعُ عنه ويغيثُه ممَّا هو فيهِ مِنَ البلاءِ، ولا طعامَ له إلَّا ممَّا يسيلُ مِنْ صديدِ أهلِ النارِ الذي لا يأكلُه إلَّا المذنبونَ الكافرونَ باللهِ].

٣٨ ٣٩ ٤٠ يقولُ اللهُ مقسمًا لخلقِه بما يشاهدونَه مِنْ آياتِه في مخلوقاتِه الدَّالَّةِ على كمالِه في أسمائِه وصفاتِه وما غابَ عنهم ممَّا لا يشاهدونَه مِنَ المغيباتِ: إنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ووحْيُه وتنزيلُه على عبدِه ورسولِه الذي اصطفَاه لتبليغِ الرسالةِ وأداءِ الأمانةِ.

٤١ ٤٢ ٤٣ [يقولُ اللهُ جلَّ ثناؤُه مخاطبًا مشركِي قريشٍ: ما هذا القرآنُ بقولِ شاعرٍ؛ لأنَّ مُحَمَّدًا لا يحسنُ الشِّعرَ فتقولوا هو شعرٌ، وأنتم قليلاً ما تصدِّقونَ به، وما هذا القرآنُ بقولِ كاهنٍ؛ لأنَّ مُحَمَّدًا ليسَ بكاهنٍ فتقولُوا: هو مِنْ سجعِ الكهَّانِ، وأنتم قليلاً ما تتَّعظونَ وتعتبرونَ]. وقد أضافَ اللهُ القرآنَ في الآياتِ السابقةِ إلى رسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ على معنَى التَّبليغِ؛ لأنَّ الرسولَ مِنْ شأنِه أنْ يبلِّغَ عنِ المُرسلِ، ولهذا أضافهُ في سورةِ التَّكويرِ إلى الرسولِ الملكيِّ؛ لأنَّ كلًّا مِنَ الرسولِ البشريِّ والملكيِّ مُبلِّغٌ عنِ اللهِ ما استأمنَه عليه مِنْ وحيِه وكلامِه؛ ولهذا قالَ: " تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ".

٤٤ ٤٥ ٤٦ يقولُ اللهُ تعالَى: لو تقوَّلَ مُحَمَّدٌ علينَا وكانَ -كما يزعمُون- مفتريًا علينَا، فزادَ في الرسالةِ أو نقصَ منها، أو قال شيئًا مِنْ عندِه فنسبَه إلينَا لعاجلنَاه بالعقوبةِ، ولانتقمْنَا منه باليمينِ؛ لأنَّها أشدُّ في البطشِ، ثمَّ لقطعْنَا منهُ نياطَ القلبِ، وهو العِرْقُ الذي يُعلَّقُ بهِ القلبُ.

٤٧ ثم قالَ اللهُ ﷻ: فما يقدرُ أحدٌ منكم على أنْ يحجزَ بينَنَا وبينَه إذا أردنا به شيئًا مِنْ ذلكَ، لكنَّه صادقٌ بارٌّ راشدٌ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ مقرِّرٌ له ما يبلِّغُه عنه، ومؤيدٌ له بالمعجزاتِ الباهراتِ والدلالاتِ القاطعاتِ.

٤٨ ٤٩ ٥٠ ثم قالَ اللهُ تعالَى: [وإنَّ هذا القرآنَ ليتذكَّرُ به ويتَّعظُ مَنْ يتَّقونَ عقابَ اللهِ بأداءِ فرائضِه واجتنابِ معاصيهِ]، وهو مَعَ بيانِه ووضوحِه سيوجدُ مِنَ الناسِ مَنْ يُكذِّبُ به، وإنَّ التكذيبَ بهِ لحسرةٌ وندامةٌ على الكافرينَ يومَ القيامةِ.

٥١ ٥٢ وإنَّ القرآنَ لهو الخبرُ الصَّادقُ الحقُّ الذي لا مِرْيَةَ فيه ولا شكَّ ولا ريبَ، فسبِّحْ باسمِ ربِّكَ الذي أنزلَ هذا القرآنَ العظيمَ.

سورةُ المعارجِ ... وهي مكِّيَّةٌ .

١ ٢ السؤالُ في الآيةِ مضمَّنٌ معنَى الاستعجالِ؛ وذلك أنَّ النَّضرَ بنَ الحارثِ وغيرَه مِنْ كفَّارِ مكَّةَ قالوا: اللهمَّ إنْ كانَ هذا هو الحقَّ مِنْ عندِك فأمطرْ علينَا حجارةً مِنَ السماءِ أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ، فاستعجلُوا عذابَ اللهِ كما قالَ تعالَى: " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ "، ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّ عذابَه واقعٌ بهم، وأنَّه لا دافعَ له إذا أرادَ اللهُ كونَه.

٣ ٤ يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّه ذو العلوِّ والدرجاتِ والنِّعَمِ، وأنَّ الملائكةَ وأرواحَ بني آدمَ تعرجُ إليهِ في يومٍ لو عرجَها غيرُهم لكانَ مسيرُهم خمسينَ ألفَ سنةٍ، وهو مسافةُ ما بينَ العرشِ العظيمِ إلى قرارِ الأرضِ السابعةِ.

٥ ٦ ٧ ثم قالَ اللهُ ﷻ: فاصبرْ يا مُحَمَّدُ على تكذيبِ قومِكَ لكَ، واستعجالِهمُ العذابَ استبعادًا لوقوعِه؛ فإنَّ هؤلاءِ الكفرةَ يرونَ وقوعَ العذابِ وقيامَ الساعةِ بعيدًا مستحيلَ الوقوعِ، وأمَّا المؤمنونَ فيعتقدونَ كونَه قريبًا، وإنْ كانَ له أمدٌ لا يعلمُه إلَّا اللهُ ﷻ، لكنْ كلُّ ما هو آتٍ فهوَ قريبٌ وواقعٌ لا محالةَ.

٨ ٩ ١٠ يخبرُ تعالَى أنَّ العذابَ واقعٌ بالكافرينَ يومَ تكونُ السماءُ كحثالةِ الزيتِ، وتكونُ الجبالُ كالصُّوفِ المنفوشِ الذي شرعَ في الذهابِ والتمزُّقِ، ففي ذلكَ اليومِ لا يسألُ القريبُ قريبَه عن حالِه، وهو يراهُ في أسوأِ الأحوالِ، فتشغلُه نفسُه عنْ غيرِه كما قالَ ﷻ: " لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ".

١١ ١٢ ١٣ ١٤ [في يوم القيامةِ لا يسألُ حميمٌ حميمًا عن شأنِه ، ولكنَّهم يُبصَّرونَهم فيعرفونَهم ، ثم يفرُّ بعضُهم مِنْ بعضٍ] ، ولا يقبلُ اللهُ مِنَ المجرمِ فداءً ولو جاءَ بأهلِ الأرضِ، وبأعزِّ ما يجدُه مِنَ المالِ ، ولو بملءِ الأرضِ ذهبًا ، أو مِنْ ولدِه الذي كان في الدنيا حُشاشةَ كبدِه ، يودُّ يومَ القيامةِ إذا رأى الأهوالَ أنْ يفتديَ مِنْ عذابِ اللهِ به ولا يُقْبَلُ منه .
[وبدأَ جَلَّ ثناؤه بذكرِ البنينَ ثم الزوجةِ ثم الأخ ثم القبيلةِ التي تؤوِي وتنصرُ ؛ إعلامًا منه لعبادِه أنَّ الكافرَ مِنْ عظيمِ ما ينزلُ به يومئذٍ مِنَ البلاءِ يفتدِي نفسَه لو وجدَ إلى ذلكَ سبيلاً بمن كان أحبَّ الناسِ إليهِ في الدنيا وأقربهم نسبًا] .

١٥ ١٦ ثم وصفَ اللهُ النارَ وشدَّةَ حرِّها ، وأنَّها نزَّاعةٌ للجلودِ واللحمِ والأطرافِ ولا تتركُ منهم شيئًا .

١٧ ١٨ في يومِ القيامةِ تنادِي النارُ مَنْ أدبرَ وتولَّى في دارِ الدنيا مِنَ الذين يعملونَ عملَها ، فتلتقطُهم مِنْ بينِ أهلِ المحشرِ كما يلتقطُ الطيرُ الحبَّ ؛ لأنَّهم ممَّن كذَّبَ بقلبِه ، ولم يعملْ بجوارحِه ، وجمعَ المالَ بعضَه على بعضٍ فأوعاهُ ومنعَ حقَّ اللهِ فيه .

١٩ ٢١ يخبرُ تعالَى عنِ الإنسانِ وما هو مجبولٌ عليه مِنَ الأخلاقِ الدنيئةِ ، وأنَّه إذا أصابَه الضرُّ فزعَ وجزعَ وأيسَ أنْ يحصلَ له بعدَ ذلكَ خيرٌ ، وإذا حصلَتْ له نعمةٌ مِنَ اللهِ بخلَ بها على غيرِه ومنعَ حقَّ اللهِ فيها .

٢٢ ٢٣ الإنسانُ متصفٌ بصفاتِ الذمِّ إلَّا مَنْ عصمَه اللهُ ووفقَه ، وهداه إلى الخيرِ ويسَّرَ له أسبابَه ، وهم المصلُّونَ الذين يداومُون على أداءِ الصلاةِ ويطمئنُّونَ في ركوعِها وسجودِها ، ويؤدُّونَها بخشوعٍ وسكونٍ .

٢٤ ٢٥ ولمَّا وصفَهم اللهُ بالصلاةِ ثنَّى بوصفِهم بالزكاةِ والبرِّ والصلةِ ، ففي أموالِهم نصيبٌ مقرَّرٌ لذوِي الحاجاتِ ، والسائلُ هو : الذي يبتدئُ بالسؤالِ ، والمحرومُ هو : الذي لا يكادُ يتيسرُ له الكسبُ ولا له حرفةٌ يتقوَّتُ منها ، أو هلكَ مالُه بآفةٍ ونحوِها .

٢٦ ٢٧ ٢٨ ثم وصفَهم اللهُ بأنَّهم يوقنونَ بالمعادِ والحسابِ والجزاءِ ، فهم يعملونَ عملَ مَنْ يرجو الثوابَ ويخافُ العقابَ؛ ولهذا أخبرَ أنَّهم مِنْ عذابِ ربِّهم خائفونَ وجلونَ ؛ وذلكَ أنَّ العذابَ لا يأمنُه أحدٌ ممَّنْ عقلَ عنِ اللهِ ﷻ أمرَه إلَّا بأمانٍ منه تباركَ وتعالَى .

٢٩ - ٣١ هؤلاءِ المؤمنونَ يكفُّونَ فروجَهم عنِ الحرامِ ويمنعونَها منه ، فلا يقعونَ فيما نهاهُم اللهُ عنه مِنْ زنًا أو لواطٍ، ولا يقربونَ سوَى أزواجِهم التي أحلَّها اللهُ لهم ، وما ملكت أيمانُهم مِنَ السرارِي ، ومَنْ تعاطَى ما أحلَّه اللهُ له فلا لومَ عليه ولا حرجَ ، لكنْ مَنِ ابتغَى غيرَ الأزواجِ والإماءِ فهو مِنَ

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾

المعتدينَ ؛ لأنَّه تجاوزَ هذينِ القسمينِ .

٣٢ ٣٣ هؤلاءِ المؤمنونَ إذا اؤتمنُوا لم يخونُوا ، وإذا عاهدُوا لم يغدِروا ، ويحافظونَ على الشهادةِ فلا يزيدونَ فيها ولا ينقصونَ منها ، ولا يكتمونَها .

٣٤ ٣٥ ثم وصفَهم بالمحافظةِ على مواقيتِ الصلاةِ وعلى أركانِها وواجباتِها ومستحبَّاتِها ، فافتتحَ الكلامَ بذكرِ الصلاةِ واختتمَه بذكرِها ، فدلَّ على الاعتناءِ بها والتنويهِ بشرفِها ، فهم في جنَّاتٍ مُكرمونَ بأنواعِ الملاذِّ والمسارِّ .

٣٦ ٣٧ ينكرُ تعالَى علَى الكفارِ الذين كانُوا في زمنِ النبيِّ ﷺ، وهم مشاهدونَ له ولمَا أرسلَه اللهُ بهِ مِنَ الهدَى وما أيَّدَه اللهُ بِهِ مِنَ المعجزاتِ ، ثمَّ هم معَ هذا فارُّونَ منه متفرِّقونَ عنه، شاردونَ يمينًا وشمالاً فرقًا وشيعًا ، فقال : ما لهؤلاءِ الكفارِ الذينَ عندَك يا مُحمَّدُ نافرينَ مِنَ الحقِّ ذاهبينَ إلى الباطلِ ؟ .

٣٨ ٣٩ أيطمعُ هؤلاءِ -والحالةُ هذهِ- مِنْ فرارِهم عنِ الرَّسولِ ونفارِهم عنِ الحقِّ أنْ يدخلُوا جنَّاتِ النَّعيمِ ؟ ، كلَّا بلْ مأواهُمُ الجحيمُ .ثمَّ قال اللهُ تعالَى مقرِّرًا وقوعَ المعادِ والعذابِ الذي أنكرُوه واستبعدُوا وجودَه مستدلاً على الإعادةِ بالبداءةِ التي هي أهْوَنُ منها وهم معترفونَ بها ، وهم يعلمونَ أنَّ اللهَ خلقَهم مِنْ ماءٍ مهينٍ وحقيرٍ .

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾
خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

(٤٠) (٤١) ثم أقسمَ اللهُ ﷻ بالذي خلقَ السمواتِ والأرضَ، وجعلَ مشرقًا ومغربًا، وسخَّرَ الكواكبَ تبدو مِنْ مشارِقِها وتغيبُ في مغاربِها أنَّ الأمرَ ليسَ كمَا يزعمُ هؤلاءِ الكفَّارُ أنْ لا معادَ ولا حسابَ، ولا بعثَ ولا نشورَ، بل كلُّ ذلك واقعٌ وكائنٌ لا محالةَ.

وفي هذا ردٌّ على زعمِهم الفاسدِ في نفيِ يومِ القيامةِ، وقد شاهدُوا مِنْ عظيمِ قدرةِ اللهِ تعالَى ما هو أبلغُ مِنْ إقامةِ القيامةِ، وهو خلقُ السمواتِ والأرضِ، وتسخيرُ ما فيهما مِنَ المخلوقاتِ مِنَ الحيواناتِ والجماداتِ، وسائرِ صنوفِ الموجوداتِ؛ ولهذا قال تعالَى "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ"، وقال تعالَى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى"، وأخبرَ هنا: أنَّه قادرٌ على أنْ يعيدَهم يومَ القيامةِ بأبدانٍ خيرٍ مِنْ هذه، فإنَّه قادرٌ على ذلك ولا يعجزُه.

(٤٢) (٤٣) ثم قالَ اللهُ لنبيِّهِ ﷺ: دعهُمْ يا مُحَمَّدُ في تكذيبِهم وكفرِهم وعنادِهم، فسيعلمونَ غبَّ ذلك ويذوقونَ وبالَه يومَ يقومونَ مِنَ القبورِ إذا دعاهُم الرَّبُّ تباركَ وتعالَى لموقفِ الحسابِ، فينهضونَ سراعًا إلى الموقفِ كما كانُوا في الدنيا يهرولونَ إلى الأصنامِ إذا عاينُوها؛ يبتدرُونَ استلامَها.

(٤٤) خاضعةً أبصارُ هؤلاءِ الكفارِ في ذلكَ اليومِ؛ ترهقُهم ذلَّةٌ في مقابلةِ ما استكبرُوا في الدنيا عَنِ الطاعةِ، ذلكَ اليومُ الذي كانوا يوعدُونَ.

سورةُ نوحٍ وهي مكّيّةٌ

(١) يخبرُ تعالَى عنْ نوحٍ عليه السلام أنَّه أرسلَه إلى قومِه، آمرًا له أنْ ينذرَهم بأسَ اللهِ قبلَ حلولِه بهم، فإنْ تابوا وأنابُوا رُفِعَ عنهم؛ ولهذا قال: "أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".

(٢) (٣) قال نوحٌ: يا قومِ إنِّي لكم نذيرٌ بيِّنُ النذارةِ؛ ظاهرُ الأمرِ واضحُه: أنِ اتركُوا محارمَ اللهِ واجتنبُوا مآثمَه، وأطيعوني فيما آمرُكم بهِ وأنهاكُم عنه.

(٤) يا قومِ إنَّكم إنْ فعلتُم ما آمرُكم به وصدَّقتُم ما أُرسلتُ به إليكُم غفرَ اللهُ لكم ذنوبَكم العظيمةَ التي وعدَ عليها بالانتقامِ، ويمدُّ في أعمارِكم، ويدرأُ عنكمُ العذابَ الذي إنْ لم تنزجِروا عمَّا نهاكُم عنه فسيوقعُه بكم، وبادرُوا بالطَّاعةِ قبلَ حلولِ النِّقمةِ فإنَّ أجلَ اللهِ إذا جاءَ لا يُؤخَّرُ، وإذا أمرَ بوقوعِه فإنَّه لا يُرَدُّ ولا يمانعُ، فإنَّه العظيمُ الذي قهرَ كلَّ شيءٍ، العزيزُ الذي دانتْ لعزَّتِه جميعُ المخلوقاتِ. وفي الآيةِ دلالةٌ لمنْ يقولُ: إنَّ الطاعةَ والبرَّ وصلةَ الرحمِ التي يُزادُ بها في العمرِ حقيقةٌ؛ كمَا وردَ به الحديثُ الذي رواهُ الطبرانيُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "صلةُ الرحمِ تزيدُ في العمرِ".

(٥) (٦) يخبرُ اللهُ تعالَى عنْ عبدِه ورسولِه نوحٍ عليه السلام أنَّه اشتكَى إلى ربِّه ﷻ ما لقيَ مِنْ قومِه في تلكَ المدةِ الطويلةِ التي هي ألفُ سنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا، فقال: ربِّ إنِّي لم أتركْ دعوتَهم في ليلٍ ولا نهارٍ؛ امتثالًا لأمرِكَ وابتغاءً لطاعتِكَ، ولكنْ كلَّما دعوتُّهم ليقتربُوا مِنَ الحقِّ فرُّوا منه وحادُوا عنه.

(٧) وقال نوحٌ عليه السلام: إنِّي كلَّما دعوتُهم لتغفرَ لهم سدُّوا آذانَهم، وتنكَّروا بثيابِهم لئلَّا أعرفَهم، وغطَّوا رؤوسَهم لئلَّا يسمعُوا ما أدعوهُم إليهِ، واستمرُّوا على ما هم فيهِ مِنَ الشِّركِ والكفرِ العظيمِ، واستنكفُوا عنِ اتِّباعِ الحقِّ والانقيادِ له.

(٨) (٩) ثم إنَّ نوحًا عليه السلام نوَّعَ عليهم الدعوةَ لتكونَ أنجعَ فيهم فقالَ: إنِّي دعوتُهم جهرةً بينَ الناسِ، ثم إنِّي أعلنتُ لهم كلامًا ظاهرًا بصوتٍ عالٍ، وأسررتُ لهم إسرارًا فيما بيني وبينَهم.

(١٠) قال نوحٌ عليه السلام لقومِه: يا قومِ ارجعُوا إلى اللهِ، وارجعُوا عمَّا أنتم فيه، وتوبُوا إليهِ مِنْ قريبٍ، فإنَّه مَنْ تابَ إليهِ تابَ عليهِ، مهما كانتْ ذنوبُه في الكفرِ والشِّرْكِ.

١١ ١٢ قال نوحٌ عليه السلام لقومِه : إنَّكم إذا تُبتُم إلى اللهِ واستغفرتُموه وأطعتُموه كَثُرَ الرِّزقُ عليكم ، فأسقاكم مِنْ بركاتِ السماءِ وأنبتَ لكم الزَّرعَ ، وأدرَّ لكم الضرعَ وأعطاكُم الأموالَ والأولادَ ، وجعلَ لكم جنَّاتٍ فيها أنواعُ الثِّمارِ وخلَّلَها بالأنهارِ .

١٣ ١٤ وبعدَ أنْ قامَ نوحٌ عليه السلام فيهم مقامَ الترغيبِ عدلَ بهم إلى الترهيبِ فقال : ما لكم لا تُعظِّمونَ اللهَ حقَّ عظمتِه ، ولا تخافونَ مِنْ بأسِه ونقمتِه ، وقد خلقَكُم أطوارًا ؛ مِنْ نطفةٍ ثم مِنْ علقةٍ ثم مِنْ مضغةٍ.

١٥ ١٦ ثم نبَّه نوحٌ قومَه على قدرةِ اللهِ وعظمتِه في خَلْقِ السمواتِ والأرضِ ، ونعمِه عليهم فيما جعلَ لهم مِنَ المنافعِ السماويَّةِ والأرضيَّةِ ؛ فلذلكَ قال : ألَمْ تَروا كيفَ خَلَقَ اللهُ سبعَ سماواتٍ ؛ بعضهُنَّ فوقَ بعضٍ ، وفاوتَ بينَ الشمسِ والقمرِ في الاستنارةِ ؛ ليُعْرَفَ الليلُ والنهارُ بمطلعِ الشمسِ ومغيبِها ، وقدَّرَ القمرَ منازلَ وبروجًا ؛ ليدلَّ على مضيِّ الشهورِ والأعوامِ.

١٧ ١٨ واللهُ أنشأكم مِنْ ترابِ الأرضِ فخلَقَكُم منهُ ، ثم إذا متُّمْ يعيدُكم في الأرضِ كما كنتُم ترابًا قبلَ أنْ يخلقكم] ، وفي يومِ القيامةِ يُخرجُكم كَمَا بدأكم أوَّلَ مرَّةٍ .

١٩ ٢٠ واللهُ بسطَ لكمُ الأرضَ ومهَّدَها وثبَّتَها بالجبالِ الراسياتِ ؛ لتستقرُّوا عليها وتسلُكوا فيها أينَ شئتُم مِنْ نواحِيها وأرجائِها وأقطارِها ، فهو الخالقُ الرازقُ الذي يجبُ أنْ يُعبدَ ولا يُشركَ بِهِ أحدٌ .

٢١ ومعَ البيانِ المتقدِّمِ ذكرُه ، والدعوةِ المتنوِّعةِ المشتملةِ على الترغيبِ تارةً والترهيبِ أخرَى أخبرَ تعالَى -وهو العليمُ الذي لا يعزُبُ عنهُ شيءٌ- أنَّ نوحًا عليه السلام قال : يا ربِّ إنَّهم عصَوني وكذَّبوني وخالفوني ، واتَّبعُوا مَنْ غفلَ عنْ أمْرِ اللهِ ، [ممَّنْ لم تزدْه كثرةُ مالِه وولدِه إلَّا بُعدًا مِنَ اللهِ] .

٢٢ ٣٢ ومكرُوا مكرًا عظيمًا بأتْباعِهم ، في التزيينِ لهم بأنَّهم على الحقِّ والهدَى ؛ فلذلك قالُوا : لا تتركُوا آلهتكم ولا تتركُوا أصنامَكم ؛ ودًّا وسواعًا ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا التي تعبدونَها . وهيَ أسماءٌ لرجالٍ صالحينَ بينَ آدمَ ونوحٍ ، وكانَ لهم أتباعٌ يقتدونَ بهم ، فلمَّا ماتُوا قالُوا : لو صوَّرْناهم كانَ أشوقَ لنَا إلى العبادةِ إذا ذكرنَاهم فصوَّروهُم ، فلمَّا ماتُوا وجاءَ آخرونَ دبَّ إليهِمْ إبليسُ فقالَ : إنَّما كانوا يعبدونَهم وبهم يُسْقَونَ المطرَ فعبدوهُم.

٢٤ ثم قالَ نوحٌ عليه السلام : إنَّ هذهِ الأصنامَ التي اتَّخذُوها قد أضلُّوا بها خلقًا كثيرًا مِنْ سائرِ صنوفِ بنِي آدمَ ، ثم دعَا نوحٌ على قومِه ؛ لتمرُّدِهم وكفرِهم وعنادِهم فقالَ : ولا تزدِ الظالمينَ إلَّا ضلالاً ، فاستجابَ اللهُ دعاءَه في قومِه فأغرقهم بتكذيبِهم ما جاءَهم به .

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ٢١ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ٢٢ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ٢٤
مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ
دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ٢٨

٢٥ يقولُ اللهُ تعالَى : مِنْ كثرةِ ذنوبِ هؤلاءِ وعتوِّهِم وإصرارِهم على كفرِهم ومخالفتِهم رسولَهم أُغرِقوا ، ونُقِلوا مِنْ تيَّارِ البحارِ إلى حرارةِ النارِ ، فلمْ يكنْ لهم معينٌ ولا مُغيثٌ ولا مُجيرٌ ينقذُهم مِنْ عذابِ اللهِ.

٢٦ وقالَ نوحٌ عليه السلام : يا ربِّ لا تتركْ على الأرضِ مِنَ الكافرينَ ولا واحدًا يسكنُ الديارَ ، فاستجابَ اللهُ له فأغرقَ جميعَ الأرضِ بالماءِ ، وأهلكَ اللهُ مَنْ على وجهِ الأرضِ مِنَ الكافرينَ حتَّى ولدَ نوحٍ لصلبِه ، وأنجَى اللهُ أصحابَ السفينةِ الذين آمنُوا معَ نوحٍ عليه السلام .

٢٧ وقال نوحٌ : يَا ربِّ إنَّك إنْ أبقيتَ مِنْ هؤلاءِ أحدًا أضلُّوا عبادَكَ الذين تخلقُهم بعدَهم ، ولا يلدُوا إلَّا فاجرًا في الأعمالِ كافرَ القلبِ ، وهذا مِنْ خبرةِ نوحٍ بقومِه ومكثِه بينَ أظهرِهم ألفَ سنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا .

٢٨ ثم دعَا نوحٌ عليه السلام فقالَ : ربِّ اغفرْ لِي ولوالدَيَّ ، ولكلِّ مَنْ دخلَ منزلِي وهو مؤمنٌ ، وللمؤمنينَ والمؤمناتِ ، وهذا دعاءٌ يعمُّ الأحياءَ منهم والأمواتَ ؛ ولهذا يستحبُّ مثلُ هذا الدعاءِ؛ اقتداءً بنوحٍ عليه السلام وبمَا جاءَ في الآثارِ والأدعيةِ المشروعةِ .
وقالَ نوحٌ عليه السلام : ربِّ لا تزدِ الظالمينَ إلَّا هلاكًا وخسارًا في الدنيا والآخرةِ .

سُورَةُ الجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجنّ ... وهي مكّيّة

جاءَ في صحيحِ البخاريِّ ومسلم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ انطلقَ في طائفةٍ مِنْ أصحابِه إلى سوقِ عكاظٍ ، وقد حيلَ بينَ الشياطينِ وبينَ خبرِ السماءِ ، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ ، فرجعَتِ الشياطينُ إلى قومِهم فقالُوا : ما لكم ؟ ، فقالُوا : حِيلَ بيننا وبينَ خبرِ السماءِ وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُبُ ، قالوا : ما حالَ بينكُم وبينَ خبرِ السماءِ إلَّا شيءٌ حَدَثَ ، فاضربُوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها وانظُروا ما هذا الذي حالَ بينكم وبينَ خبرِ السماءِ ، فانطَلَقوا ، وانصرفَ نفرٌ منهم نحوَ تهامةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو بنخلة عامدًا إلى سوقِ عكاظٍ ، وهو يصلِّي بأصحابِه صلاةَ الفجرِ ، فلمَّا سمعُوا القرآنَ قالوا : هذا الذي حالَ بينكم وبينَ خبرِ السماءِ ، فرجَعُوا إلى قومِهم فقالوا : يا قومَنا " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا " ، وأنزلَ اللهُ على نبيِّه ﷺ هذه الآياتِ .

﴿١﴾ ﴿٢﴾ أَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يخبرَ قومَه بأنَّ الجنَّ استمعُوا القرآنَ فآمنُوا بِهِ وصدَّقوه وانقادوا له وقالوا : إنَّا سمعنا قرآنًا عجبًا ؛ يهدِي إلى السَّدادِ والنَّجاحِ فآمنَّا به ، ولنْ نشركَ بربِّنا أحدًا مِنْ خلقِه.

﴿٣﴾ ﴿٤﴾ وقالتِ الجنُّ حينَ أسلموا وآمنوا بالقرآنِ : تنزَّه فِعْلُ الرَّبِّ وأَمْرُهُ عنِ اتِّخاذِ الصاحبةِ والولدِ ، وأنَّ السفيهَ مَنْ زعمَ باطلاً وزورًا أنَّ للهِ صاحبةً أو ولدًا .

﴿٥﴾ ثم قالتِ الجنُّ : إنَّا ما حَسِبْنَا أنَّ الإنسَ والجنَّ يتمالؤُون على الكذبِ على اللهِ في نسبةِ الصاحبةِ والولدِ إليه ، فلمَّا سمعنَا هذا القرآنَ وآمنَّا به علمنا أنَّهم كانوا يكذبونَ على اللهِ في ذلكَ.

﴿٦﴾ وقالتِ الجنُّ : إنَّا كنَّا نرى أنَّ لنا فضلاً على الإنسِ ؛ لأنَّهم كانوا يعوذونَ بنا إذا نزلُوا واديًا أو مكانًا موحشًا مِنَ البراري وغيرِها ، كمَا كان عادةُ العربِ في جاهليَّتِها يعوذون بعظيمِ ذلكَ المكانِ مِنَ الجانِّ أنْ يصيبَهم بشيءٍ يسوءُهم ، فلمَّا رأتِ الجنُّ أنَّ الإنسَ يعوذونَ بهم مِنْ خوفِهم منهم ازدادوا عليهم بذلك جراءةً ، فزادُوهم خوفًا وإرهابًا وذعرًا حتَّى يبقوا أشدَّ مخافةً وأكثرَ تعوُّذًا بهم.

﴿٧﴾ وقال هؤلاءِ النَّفَرُ مِنَ الجنِّ : إنَّ الرجالَ مِنَ الجنِّ ظنُّوا كمَا ظنَّ الرجالُ مِنَ الإنسِ أنْ لنْ يبعثَ اللهُ بعدَ هذه المدَّةِ رسولاً.

﴿٨﴾ ﴿٩﴾ حينَ بعثَ اللهُ رسولَه مُحَمَّدًا ﷺ وأنزلَ عليه القرآنَ كان مِنْ حفْظِهِ له أنَّ السماءَ مُلِئَتْ حرسًا شديدًا ، وحُفِظَتْ مِنْ سائرِ أرجائِها ، وطُرِدَتِ الشياطينُ عن مقاعدِها التي كانت تقعدُ فيها قبلَ ذلك ؛ لئلَّا يسترقُوا شيئًا مِنَ القرآنِ فيلقُوه على ألسنةِ الكهنةِ فيلتبسَ الأمرُ ويختلطَ ولا يُدرى مَنِ الصادقُ، وهذا مِنْ لطفِ اللهِ بخلقِه ورحمتِه بعبادِه وحفظِه لكتابه العزيزِ؛ ولهذا قالتِ الجنُّ : إنَّ مَنْ يَرُمْ منهم اليومَ أنْ يسترقَ السمعَ يجدْ له شهابًا مُرصَدًا له ، لا يتخطَّاه ولا يتعدَّاهُ ، بل يمحقُه ويهلكُه.

﴿١٠﴾ لمَّا كثرتِ الشُّهُبُ في السماءِ والرميُ بها ، هالَ ذلك الإنسَ والجنَّ وانزعجُوا له وارتاعُوا ، وظنُّوا أنَّ ذلك لخرابِ العالمِ؛ فلذلك قالتِ الجنُّ : ما ندري هذا الأمرَ الذي قد حَدَثَ في السماءِ ، أشرٌّ أُريدَ بمنْ في الأرضِ ، أم أرادَ بهم ربُّهم رَشَدًا ؟. وهذا مِنْ أدبِهم في العبارةِ حيثُ أسندُوا الشرَّ إلى غيرِ فاعل ، والخيرَ أضافُوه إلى اللهِ ﷻ كما في صحيحِ مسلم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " والشرُّ ليسَ إليكَ " .

﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ثم قال الجنُّ مخبرينَ عنْ أنفسِهم : وأنَّا منَّا الصَّالحونَ ومنَّا غيرُ ذلك ، كنَّا طرائقَ متعدِّدةً مختلفةً وآراءً متفرقةً ، فمنَّا المؤمنُ ومنَّا الكافرُ ، ونعلمُ أنَّ قدرةَ اللهِ حاكمةٌ علينا ، وأنَّا لا نعجزُه في الأرضِ ولو أمعنَّا في الهربِ فإنَّه علينا قادرٌ لا يعجزُه أحدٌ منَّا .

﴿١٣﴾ ثم قالتِ الجنُّ ؛ يفتخرونَ : إنَّا لَمَّا سمعنَا الهدَى آمنَّا به؛ وهذا مفخرٌ لهم وشرفٌ رفيعٌ وصفةٌ حَسَنَةٌ ، وقالوا : إنَّ مَنْ يؤمنْ بربِّه فلا يخافُ أنْ يُنْقَصَ مِنْ حسناتِه أو يُحملَ عليه غيرُ سيِّئاتِه .

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ وقالتِ الجنُّ: وأنَّا منَّا المسلمُ ومنَّا الجائرُ عنِ الحقِّ الناكبُ عنه، فمَنْ أسلمَ فأولئكَ طلبُوا لأنفسِهم النجاةَ، وأمَّا الجائرونَ فكانوا لجهنَّمَ وقودًا تسعَّرُ بهم.

﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ يقولُ اللهُ ﷻ: وأنْ لوِ استقامَ الإنسُ والجنُّ على طريقِ الإسلامِ وعدلُوا إليها واستمرُّوا عليها لوسَّعنَا عليهم مِنَ الدنيا وفتحنَا لهم في الرِّزقِ؛ ابتلاءً واختبارًا لهم، فيظهرُ مَنْ يستمرُّ على الهدايةِ ممَّنْ يرتدُّ إلى الغوايةِ، ومَنْ يُعرِضْ عنْ ذكرِ ربِّه يُدخلْه عذابًا شاقًّا شديدًا موجعًا.

﴿١٨﴾ كانتِ اليهودُ والنَّصارَى إذا دخلُوا كنائسَهم وبِيَعَهُم أشركُوا باللهِ تعالَى؛ فلذلكَ أَمَرَ اللهُ عبادَه أنْ يُوَحِّدُوه في محالِّ عبادتِه، ولا يُدعَى معَه أحدٌ ولا يُشْرَكَ به، وقد قالَ سعيد بن جبيرٍ: إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أعضاءِ السجودِ؛ فلا نسجدُ بها لغيرِ اللهِ ﷻ.

﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ لمَّا قامَ رسولُ اللهِ ﷺ يدعُو الناسَ إلى ربِّهم آذَوه وخالفُوه وكذَّبُوه وتظاهرُوا عليه؛ ليبطلُوا ما جاءَ به مِنَ الحقِّ، واجتمعُوا على عداوتِه، فكادتِ الإنسُ والجنُّ يكونونَ على مُحَمَّدٍ جماعاتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ تلبَّدُ على أمْرِه ليُطفئُوه، فأبَى اللهُ إلَّا أنْ ينصرَه ويمضِيَه ويظهرَه على مَنْ ناوأَه؛ فلذلك قالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّما أعبدُ ربِّي وحدَه لا شريكَ له، وأستجيرُ به وأتوكَّلُ عليه، ولا أشرِكُ به أحدًا.

﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ وقلْ يا مُحَمَّدُ للناسِ: إنَّما أنا بشرٌ مثلُكم يُوحَى إليَّ، وعبدٌ مِنْ عبادِ اللهِ ليسَ إليَّ مِنَ الأمرِ شيءٌ في هدايتِكم ولا غوايتِكم، بلِ المرجعُ في ذلك كلِّه إلى اللهِ ﷻ، وإنِّي لو عصيتُه فإنَّه لا يقدرُ أحدٌ على إنقاذِي مِنْ عذابِه، ولنْ أجدَ مِنْ دونِه ملجأً ولا وليًّا أو نصيرًا.

﴿٢٣﴾ وأمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يقولَ: إنَّه لا يجيرنِي مِنَ اللهِ ولا يخلِّصُني إلَّا إبلاغِي الرسالةَ التي أوجبَ أداءَها عليَّ، وأنا إنَّما أبلغكُم رسالةَ اللهِ، فمَنْ يعصِ بعدَ ذلكَ فله جزاءً على ذلكَ نارُ جهنَّمَ خالدينَ فيها أبدًا، فلا محيدَ لهم عنها ولا خروجَ لهم منها.

﴿٢٤﴾ يقولُ اللهُ ﷻ: حتَّى إذا رأَى هؤلاءِ المشركونَ مِنَ الجنِّ والإنسِ ما يوعدونَ يومَ القيامةِ فسيعلمونَ يومئذٍ مَنْ أضعفُ ناصرًا وأقلُّ عددًا، هم أم المؤمنونَ الموحدونَ للهِ ﷻ؟، بلِ المشركونَ لا ناصرَ لهم بالكليَّةِ، وهم أقلُّ عددًا مِنْ جنودِ اللهِ ﷻ.

﴿٢٥﴾ يقولُ اللهُ تعالَى آمرًا رسولَه ﷺ أنْ يقولَ للناسِ: إنَّه لا علمَ له بوقتِ الساعةِ، ولا يدرِي أقريبٌ وقتُها أم يجعلُ لها اللهُ مدَّةً طويلةً؟، وقد كانَ النبيُّ ﷺ يُسأَلُ عن وقتِ الساعةِ فلا يجيبُ

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

عنها، وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ أعرابيًّا نادَى النبيَّ ﷺ بصوتٍ جهوريٍّ فقالَ: متى الساعةُ؟، قال: ويحكَ إنَّها كائنةٌ فما أعددتَ لها؟، قال: أمَا إنِّي لم أُعِدَّ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ ولكنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه، قال: "فأنتَ معَ مَنْ أحببتَ"، فكانَ ﷺ إذا سُئِلَ عن هذا الذي لا يحتاجونَ إلى علمِه، أرشدَهم إلى ما هو الأهمُّ في حقِّهم، وهو الاستعدادُ لوقوعِ ذلك، والتهيؤُ له قبلَ نزولِه، وإنْ لم يعرفوا تعيينَ وقتِه. ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ اللهُ ﷻ يعلمُ الغيبَ والشهادةَ، ولا يطَّلعُ أحدٌ مِنْ خلقِه على شيءٍ مِنْ علمِه، إلَّا مَنِ ارتضاهُ مِنْ رسلِه فيطلعُه على ما يشاءُ مِنْ ذلك، ويخصُّه بمزيدِ معقِّبات مِنَ الملائكةِ يحفظونَه ويساوقونَه على ما معَه مِنَ الوحيِ، وهذا يعمُّ الرسولَ الملكيَّ والبشريَّ.

﴿٢٨﴾ وفي هذه الآيةِ يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّه يحفظُ رُسُلَهُ بملائكتِه ليتمكَّنُوا مِنْ أداءِ رسالاتِه، ويحفظُ ما ينزِّلُه إليهم مِنَ الوحيِ؛ فيعلمُ تعالَى أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغتْ وأنَّ الملائكةَ قد حفظَتْ ودفعَتْ، فيظهرُ اللهُ ذلك ويرَى وقوعَه مع علمِه بالشيءِ قبلَ كونِه، وهو ﷻ يعلمُ الأشياءَ قبلَ كونِها قطعًا لا محالةَ؛ ولهذا قالَ بعدَ ذلك: وأحاطَ بما لديهم وأحصَى كلَّ شيءٍ عددًا، فلا يخفَى عليهِ مِنْ أمورِهم شيءٌ.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا
﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سُورةُ المزّمّلِ .. وهي مَكّيّة

(١) (٢) يأمرُ اللهُ تعالَى رسولَه ﷺ أنْ يتركَ التزمُّلَ، وهو التغطِّي في الليلِ، وينهضَ إلى القيامِ لربِّه ﷻ، وكذلك كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ممتثلاً ما أَمَرهُ اللهُ به مِنْ قيامِ الليلِ، كما قال تعالَى: "وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا".

(٣) (٤) ثم قال اللهُ ﷻ: أمرناكَ يا مُحَمَّدُ أنْ تقومَ نصفَ الليلِ بزيادةٍ قليلةٍ أو نقصانٍ قليلٍ، لا حرجَ عليكَ في ذلكَ، واقرأِ القرآنَ على تمهُّلٍ، فإنَّه يكونُ عونًا على فهمِه وتدبُّرِه.
وكذلك كان يقرأُ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، فقد جاءَ في صحيحِ مسلمٍ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالت: "كانَ ﷺ يقرأُ بالسُّورةِ فيرتِّلُها، حتَّى تكونَ أطولَ مِنْ أطولَ منها"، وفي مسندِ أحمدَ أنَّ أمَّ سلمةَ سُئِلَتْ عنْ قراءةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: كانَ يُقطِّعُ قراءتَه آيةً آيةً"، وقد دلَّتِ الأحاديثُ الكثيرةُ على استحبابِ الترتيلِ وتحسينِ الصوتِ بالقراءةِ.

(٥) يخبرُ اللهُ نبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ أنَّه سيُنزلُ عليه القرآنَ، وسيكونُ مِنْ عظمتِه ثقيلاً عليه وقتَ نزولِه، كما في صحيحِ البخاريِّ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ ينزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البردِ، فيفصمُ عنه وإنَّ جبينَه ليتفصَّدُ عرقًا"، وفي مسندِ أحمدَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "ما مِنْ مرَّةٍ يُوحَى إليَّ إلَّا ظننتُ أنَّ نَفْسِي تفيضُ".

(٦) (٧) يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّ قيامَ الليلِ هو أشدُّ مواطأةً بين القلبِ واللسانِ، وأجمعُ على التلاوةِ، وأهيأُ للخاطرِ في أداءِ القراءةِ وتفهُّمِها مِنْ قيامِ النهارِ؛ لأنَّه وقتُ انتشارِ الناسِ ولغطِ الأصواتِ وأوقاتُ المَعاشِ؛ ولهذا قال: إنَّ لكَ في النهارِ فراغًا كثيرًا لحوائجِك. وناشئةُ الليلِ هي: ساعاتُه وأوقاتُه.

(٨) (٩) ثم أمرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يُكثرَ مِنْ ذكرِه، وأنْ ينقطعَ إلى ربِّه، وأنْ يتفرغَ لعبادتِه إذا فرغَ مِنْ أشغالِه وما يحتاجُ إليه مِنْ أمورِ دنياه.
وإنَّكَ يا مُحَمَّدُ كمَا أفردتَ ربَّكَ بالعبادةِ فأفردْه بالتوكُّلِ؛ فإنَّ ربَّك هو المالكُ المتصرِّفُ في المشارقِ والمغاربِ لا إلهَ إلَّا هو.
وكثيرًا ما يقرنُ اللهُ ﷻ بين العبادةِ والتوكُّلِ كما قال تعالَى: " فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ".

(١٠) (١١) يأمرُ اللهُ رسولَه ﷺ بالصبرِ على ما يقولُه مَنْ كذَّبَه مِنْ سُفهاءِ قومِه، وأنْ يهجرَهم هجرًا جميلاً لا عتابَ معَه، ثم قال متهدِّدًا ومتوعدًا لهم: دعني يا مُحَمَّدُ وهؤلاءِ المكذِّبينَ المترفينَ أصحابَ الأموالِ، ولا تستعجلْ لهمُ العقوبةَ، [وأخِّرْهم زمنًا قليلاً حتَّى يبلغَ الكتابُ أجلَه].

(١٢) (١٣) يقولُ اللهُ ﷻ: إنَّ عندنا لهؤلاءِ المكذِّبينَ بآياتِنا قيودًا وسعيرًا مضطرمةً، وطعامًا ينشبُ في الحلقِ فلا يدخلُ ولا يخرجُ، وعذابًا مؤلمًا موجعًا.

(١٤) يومَ القيامةِ تُزلزَلُ الأرضُ والجبالُ وتصيرُ الجبالُ ككثبانِ الرَّملِ بعدَ ما كانتْ حجارةً صَمَّاءَ، وتصيرُ الأرضُ سطحًا مستويًا لا واديَ فيه ولا جبَلَ.

(١٥) (١٦) ثم قال مخاطبًا كفارَ قريشٍ -والمرادُ سائرُ الناسِ-: إنَّا أرسلنَا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم بأعمالِكم كمَا أرسلنا إلى فرعونَ رسولاً، فعصَى فرعونُ الرَّسولَ فأخذناهُ أخذًا شديدًا، فاحذرُوا أنتم أنْ تُكذِّبوا هذا الرَّسولَ فيصيبَكم ما أصابَ فرعونَ، حيثُ أخذَه اللهُ أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ.

(١٧) كيفَ يحصلُ لكم أمانٌ أيُّها الناسُ مِنْ يومِ الفزعِ العظيمِ إنْ كفرتُم باللهِ ولم تصدِّقوا به؟، فهو يومٌ يجعلُ الولدانَ شيبًا؛ مِنْ شدَّةِ أهوالِه وزلازلِه، وذلك حينَ يقولُ اللهُ لآدمَ: ابعثْ بَعْثَ النارِ؛ مِنْ كلِّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعونَ إلى النارِ وواحدٌ إلى الجنَّةِ.

(١٨) السَّماءُ متصدِّعةٌ؛ مِنْ شدَّةِ يومِ القيامةِ وهولِه، وهو يومٌ واقعٌ لا محالةَ وكائنٌ لا محيدَ عنه.

(١٩) إنَّ هذه السورةَ تذكرةٌ يتذكَّرُ بها أولُو الألبابِ فمَنْ شاءَ اهتدَى بالقرآنِ، واتَّخذَ إلى ربِّهِ طريقًا ومسلكًا يهتدِي به إليه.

(٢٠) قد كانتْ صلاةُ الليل فريضةً على المسلمينَ ، ثم إنَّ اللهَ مَنَّ على عبادِه فخفَّفَها ، ونَسخَتْ هذه الآيةُ ما أوجبَه اللهُ أولاً مِنْ قيامِ الليل ؛ فلذلكَ قال ﷻ : إنَّ ربَّك يا مُحَمَّدُ يعلمُ أنَّك تقومُ أقلَّ مِنْ ثُلثَي الليل تارةً وتقومُ نصفَه تارةً ، وثلثَه تارةً أخرَى ، ويقومُ معَك طائفةٌ مِنَ المؤمنينَ وذلكَ كلُّه مِنْ غيرِ قصدٍ منكم ، ولكن لا تقدرونَ على المواظبةِ على ما أمرَكم به مِنْ قيامِ الليل ؛ لأنَّه يشقُّ عليكم ، واللهُ يقدِّرُ الليلَ والنهارَ ؛ فتارةً يعتدِلانِ ، وتارةً يأخذُ هذا مِنْ هذا .

وقد علمَ ربُّكم أنَّكم لنْ تُطيقُوا قيامَ الليل الذي أوجبَه عليكم، فتابَ عليكم إذْ عجزتُم وضعفتُم عنه ورجعَ بكم إلى التخفيفِ، فصلُّوا مِنَ الليلِ مِنْ غيرِ تحديدٍ بوقتٍ ، وقومُوا منه ما تيسَّرَ .

وقد جاءَ في صحيحِ مسلمٍ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : " إنَّ اللهَ ﷻ افترضَ قيامَ الليلِ في أوَّلِ سورةِ المزمل ، فقامَ نبيُّ اللهِ ﷺ وأصحابُه حولاً ، وأمسكَ اللهُ خاتمتَها اثنَي عشرَ شهرًا في السماءِ ، حتَّى أنزلَ اللهُ في آخرِها التخفيفَ ، فصارَ قيامُ الليلِ تطوعًا بعدَ فريضةٍ " . ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنْ سيكونُ مِنْ هذه الأمَّةِ ذوو أعذارٍ في تركِ قيامِ الليل ؛ مِنْ مرضَى ؛ ومسافرينَ يبتغونَ مِن فضلِ اللهِ في المكاسبِ والمتاجرِ ؛ وآخرينَ مشغولينَ بما هو الأهَمُّ في حقِّهم مِنَ الغزوِ في سبيلِ اللهِ ، فقومُوا بما تيسَّرَ عليكم منه ، وقد كانَ مِنَ السلفِ مَنْ يرَى حقًّا واجبًا على حملةِ القرآنِ أنْ يقومُوا ولو بشيءٍ منه في الليل ، وقد جاءَ في سننِ أبي داودَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " أوتروا يا أهلَ القرآنِ" .

ثم قالَ اللهُ تعالَى : وأقيمُوا صلاتَكم الواجبةَ عليكم ، وآتُوا الزكاةَ المفروضةَ ، وأقرضُوا اللهَ قرضًا حسنًا مِنَ الصدقاتِ ، فإنَّ اللهَ يجازِي على ذلك أحسنَ الجزاءِ وأوفرَه، وجميعُ ما تقدِّمونَه بينَ أيديكُم فهو لكم حاصلٌ ، وهو خيرٌ ممَّا أبقيتُموه لأنفسِكم في الدنيا ، وأكثِرُوا مِنْ ذكرِ اللهِ واستغفارِه في أمورِكم كلِّها ؛ فإنَّه غفورٌ رحيمٌ لمنْ استغفرَه .

سورةُ المدثِّر .. وهي مكّيَّةٌ

لَمَّا كان نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ في حراءَ جاءَه جبريلُ عليه السلام ، فكانَ أوَّلَ القرآنِ نزولاً عليه قولُه : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " ، ثم انقطعَ عنه الوحيُ قريبًا مِنَ سنتينِ ، ثم حميَ الوحيُ وتتابعَ، وكانَ أوَّلَ شيءٍ نزلَ بعدَ تلكَ الفترةِ قولُه : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ... " ، وبهذا حصلَ الإرسالُ كمَا حصلَ بالأوَّلِ النبوةُ .

(١) (٢) (٣) (٥) (٦) في هذهِ الآيةِ يأمرُ اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أنْ يشمِّرَ عن ساقِ العزْمِ فينذرَ الناسَ ويعظِّمَ ربَّه ﷻ ، وأنْ يتطهَّرَ ويُطهِّرَ ثيابَه مِنَ الدنسِ ، وأنْ يطهِّرَ نفسَه وقلبَه ونيَّتَه ، ويصلحَ عملَه ويهجرَ الأصنامَ والأوثانَ .

(٦) (٧) ولا تعطِ يا مُحَمَّدُ العطيَّةَ تلتمسُ أكثرَ منها واجعلْ صبرَك على أذَى قومِك لوجهِ ربِّك ﷻ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) ﴾

(٨) (٩) (١٠) النَّاقورُ هو القرنُ الذي ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام، وقد روَى الإمامُ أحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " كيفَ أنعمُ وصاحبُ القرنِ قد التقمَ القرنَ ، وحنَى جبهتَه ينتظرُ متَى يؤمَرُ فينفخُ ؟ " ، فذلكَ يومٌ شديدٌ صعبٌ على الكافرينَ ؛ لأنَّه يومُ عدلٍ وقضاءٍ .

(١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) في هذه الآياتِ يتوعَّدُ اللهُ هذا الذي أنعمَ عليه بالنِّعَم فكفرَ بها وقابلَها بالجحودِ والافتراءِ ، وهذا المذكورُ في السياقِ هو الوليدُ بنُ المغيرةِ أحدُ رؤساءِ قريشٍ، وقد عدَّدَ اللهُ عليهِ نعمَه حيث قال : دعني ومَنْ خرجَ مِنْ بطنِ أمِّهِ وحدَه لا مالَ له ولا ولدَ ، ثم رزقَه اللهُ وجعلَ له مالاً واسعًا كثيرًا، وجعلَ له بنينَ لا يغيبونَ عنه ، حاضرينَ عندَه لا يسافرونَ بالتِّجاراتِ، بل مواليهم وأُجَراؤُهم يتولَّونَ ذلك عنهم وهم قعودٌ عندَ أبيهم ، يتمتَّعُ بهم ويتملَّى بهم ، وقد مكَّنَه اللهُ مِنْ صنوفِ المالِ والأثاثِ وغيرِ ذلك ، ثم يطمعُ هذا المغرورُ أنْ أزيدَه في مالِه ورزقِه وولدِه .

(١٦) (١٧) ثم قال اللهُ ﷻ : كلَّا ، إنَّ الأمرَ ليسَ كذلك ، إنَّه كان لآياتِنا معاندًا ؛ يكفرُ بنعمِ اللهِ بعدَ العلمِ بها ؛ فلذلكَ سأرهقُه عذابًا لا راحةَ فيه .

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

(١٨) (١٩) (٢٠) يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّه قد قرَّبَ هذا الكافرَ الجاحدَ مِنَ العذابِ الشاقِّ لبعدِه عنِ الإيمانِ ؛ ولأنَّه حين سُئِلَ عنِ القرآنِ فكَّرَ ماذا يختلقُ مِنَ المقالِ وتروَّى ماذا يقولُ فيه ، ثم قال في دعاءٍ عليه : " فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ " .

(٢١) (٢٢) (٢٣) ثم إنَّ هذا الأفَّاكَ المعاندَ أعادَ النظرةَ والتروِّي ، ثم عبسَ وقطَّبَ وقبضَ بين عينيه وكلحَ وجههُ وأظهرَ كراهته لمَا سمعَ مِنَ القرآنِ ، ثم صُرِفَ عنِ الحقِّ ورجعَ القهقرَى مستكبرًا عنِ الانقيادِ له .

(٢٤) (٢٥) ولمَّا أظهرَ الاستكبارَ والعنادَ قال : هذا القرآنُ سحرٌ ينقلُه مُحَمَّدٌ عنْ غيرِه عمَّن قبلَه ويحكيه عنهم ، وليسَ هو بكلامِ اللهِ .

وكانَ الوليدُ بنُ المغيرةِ قد جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فسمعَ القرآنَ ورقَّ له ، فخرجَ على قريشٍ فقال : واللهِ لقدْ نظرتُ فيما قال الرجلُ فإذا هو ليسَ بشعرٍ ، وإنَّ له لحلاوةً وإنَّ عليه لطلاوةً ، وإنَّه ليعلُو وما يعلَى ، فقال نفرٌ مِنْ قريشٍ : لئنْ صَبَأَ الوليدُ لتصبأنَّ قريشٌ ، فلمَّا بلغَ ذلك أبا جهلِ بنَ هشامٍ قال : أنا واللهِ أكفيكُم شأنَه ، فلم يزلْ به حتى قال مقالَته في القرآنِ .

(٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) يخبرُ تعالَى أنَّه سيغمرُه في سَقَرَ مِنْ جميعِ جهاتِه ، ثم قال تهويلاً لأمرِها : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ " ، فهي تأكلُ أجسادَهمُ التي تلُوحُ عليها وتحرقُ أبشارَهم ؛ ولا يموتونَ فيها ولا يحيَوْنَ .

(٣٠) يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ على أبوابِ جهنَّمَ تسعةَ عشرَ ملكًا ، وهم مِنْ مقدِّمِي الزبانيةِ ، عظيمٌ خَلْقُهم غليظٌ خُلُقُهم ، يسوقونَ الكفارَ إلى النارِ سَوقًا عنيفًا .

(٣١) وحينَ ذكرَ اللهُ ﷻ عددَ الخزنةِ قال أبو جهل : يا معشرَ قريشٍ ، أمَا يستطيعُ كلُّ عشرةٍ منكم لواحدٍ منهم فتَغلبونَهم؟ . فقالَ اللهُ ردًّا عليهم : وما جعلنا خُزَّانَ النارِ إلَّا زبانيةً غلاظًا شدادًا ، لا يُقاوَمون ولا يُغالَبون ؛ وإنَّما ذكرنا عدَّتَهم أنَّهم تسعةَ عشرَ ؛ اختبارًا منَّا للناسِ ؛ ليعلمَ أهلُ الكتابِ أنَّ هذا الرسولَ حقٌّ ؛ فإنَّه نطقَ بمطابقةِ ما بأيديهم مِنَ الكتبِ السماويَّةِ المنزَّلةِ على الأنبياءِ قبلَه ، ويزدادُ الذين آمنوا إيمانًا إلى إيمانِهم ؛ بما يشهدونَ مِنْ صدقِ إخبارِ نبيِّهم مُحَمَّدٍ ﷺ ، ولا يشكُّونَ في ذلك ، ولكي يقولَ الكافرونَ والذين في قلوبهم مرضٌ مِنَ المنافقينَ : ما الحكمةُ في ذكرِ هذا هاهُنا ؟ ؛ فلذلك قالَ تعالَى : مِنْ مثلِ هذا وأشباهِه يتأكَّدُ الإيمانُ في قلوبِ أقوامٍ ، ويتزلزلُ عندَ آخرينَ ، وللهِ الحكمةُ البالغةُ . ولئلَّا يتوهَّمَ متوهِّمٌ أنَّ خُزَّانَ جهنَّمَ تسعةَ عشرَ فقط قال اللهُ ﷻ : وما يعلمُ عددَ جنودِ ربِّكَ وكثرَتَهم إلَّا هو تعالَى ، وما نارُ جهنَّمَ التي وصفتُها إلَّا ذكرَى للبشرِ .

(٣٢) (٣٥) ثم قال تعالَى : [كلَّا ، ليسَ الأمرُ كما زعمَ هذا المشركُ أنَّه سيكفِي أصحابَه المشركينَ خَزَنَةَ جهنَّمَ ، ثم أقسمَ ربُّنا تعالَى بالقمرِ والليلِ إذ ولَّى ذاهبًا وبالصُّبحِ إذا أشرقَ وأضاءَ : إنَّ نارَ جهنَّمَ لَإحدَى الأمورِ العظائمِ] .

(٣٦) (٣٧) يقولُ اللهُ تعالَى : إنَّ النارَ نذيرٌ لكم أيُّها الناسُ ، لمَنْ شاءَ أنْ يقبلَ النذارةَ ويهتدِيَ للحقِّ ، أو يتأخرَ عنْ قبولِ الحقِّ ويولِّيَ ويعرِضَ .

(٣٨) (٣٩) يخبرُ تعالَى أنَّ كلَّ نفسٍ مرتهنةٌ معتقلةٌ بعملِها السيِّئِ يومَ القيامةِ إلَّا أصحابَ اليمينِ ، فإنَّه قد تعودُ بركاتُ أعمالِهم الصالحةِ على ذراريهم ، فتُلْحِقُ بهم ذريَّاتِهم في المنزلةِ الرفيعةِ في الجنَّةِ وإنْ لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمالِ ، بل في أصلِ الإيمانِ .

(٤٠) (٤٢) ولمَّا ذكرَ تعالَى أصحابَ اليمينِ أخبرَ أنَّهم في غُرُفاتِ الجنَّاتِ يسألونَ المجرمينَ وهم في دركاتِ النارِ قائلينَ لهم : ما سلككُم في سقرَ ؟ .

(٤٣) (٤٤) قالَ هؤلاءِ المجرمونَ : إنَّنا لم نكنْ في الدنيا مِنَ المصلِّينَ ، ولم نكنْ نطعمُ المسكينَ ؛ فما عبدنَا ربَّنا ولا أحسنَّا إلى خلقِه .

(٤٥) (٤٧) وقالوا : لقد كُنَّا نتكلَّمُ فيما لا علمَ لنا به ، [وكنَّا نكذِّبُ بيومِ الجزاءِ والحسابِ ولا نصدِّقُ بثوابٍ ولا عقابٍ حتَّى أتانَا الموتُ ونحنُ كذلكَ] .

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

(٤٨) ولمَّا ذكـرَ هـؤلاءِ المجرمونَ أنَّهـم ما عبـدُوا ربَّهم ولا أحسنُوا إلى خلقِه أخبرَ تعالَى أنَّ مَنْ كانَ متَّصِفًا بهذهِ الصِّفاتِ فإنَّه لا تنفعُه شفاعةُ شافعٍ يومَ القيامةِ ؛ لأنَّ الشفاعةَ إنَّما تنجعُ إذا كانَ المحلُّ قابلًا ، فأمَّا مَنْ وافَى اللهَ كافرًا فإنَّ له النارَ لا محالةَ .

(٤٩) (٥٠) (٥١) ثـم قـالَ تعالَى : فما لهؤلاءِ الكفرةِ الذين قبلك معرضينَ عمَّا تدعُوهم إليه وتذكِّرُهم به ، كأنَّهم في نِفارِهم عنِ الحقِّ وإعراضِهم عنه حُمُرٌ مِنْ حُمُرِ الوحشِ إذا فرَّتْ مِنْ أسدٍ أو رامٍ يريدُ صيدَها .

(٥٢) (٥٣) بـل يريـدُ كلُّ واحـدٍ مِنْ هـؤلاءِ المشـركينَ أنْ يُنَزَّلَ عليـه كتابٌ كمَا أُنزِلَ على النبيِّ ، وقد قالَ ﷻ : " وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَـنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُـلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " ، وإنَّما أفسـدَهم عدمُ إيمانِهم بالآخرةِ وتكذيبُهم بوقوعِها .

(٥٤) (٥٥) (٥٦) ثـم قـالَ تعالَى : [ليسَ الأمـرُ كما يقولُ هؤلاءِ المشـركونَ مِنْ أنَّ القرآنَ سِـحْرٌ يُؤْثَرُ وأنَّه قولُ البشـرِ ، ولكنَّ القـرآنَ تذكـرةٌ مِـنَ اللهِ لخلقِـه فمَـنْ شـاءَ اتَّعظَ بمـا فيه ، ولا يتَّعظونَ به إلَّا أنْ يشـاءَ اللهُ لهـم الهدَى] ، واللهُ ﷻ هو أهلٌ أنْ يُخافَ منه ، وهو أهلٌ أنْ يغفِرَ ذنبَ مَنْ تابَ إليه وأنابَ .

سورةُ القيامة ... وهي مكّيَّة

(١) (٢) تأتِـي " لا " النافيـةُ في ابتـداءِ القسـمِ لتـدلَّ علـى أنَّ المُقسَمَ عليه منتفٍ ، فيؤتَى بها لتأكيدِ النَّفي .

والمقسَـمُ عليـه هاهُنـا هـو إثبـاتُ المعـادِ ، والـرَّدُّ على ما يزعمُـه الجَهَلَـةُ مِنَ العبـادِ في نفيِ يومِ القيامةِ ومِـنْ عدَمِ بعثِ الأجسادِ ، وقد شاهدُوا مِنْ عظيمِ قدرةِ اللهِ ما هو أبلغُ مِنْ إقامةِ القيامةِ كمَا قالَ تعالَى : " لَخَلْقُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْـقِ النَّـاسِ " ، وقالَ تعالَـى : " أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَـمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ " ، وفي هذهِ الآياتِ أقسـمَ اللهُ ﷻ بيـومِ القيامةِ وبالنَّفسِ اللوامـةِ التي تلومُ صاحبَها على الخيرِ والشرِّ، وتندمُ على ما فاتَ .

(٣) (٤) يقـولُ اللهُ تعالَـى : أيظنُّ الإنسـانُ أنَّـا لا نقدرُ على إعـادةِ عظامِـه يـومَ القيامةِ ؟ ، بلى سـنجمعُ تلـكَ العظامَ مِنْ أماكنِهـا المتفرِّقـةِ ، وقدرتُنـا صالحـةٌ لإعـادةِ خلقِـه وجمعِ أطرافِ أصابعِه.

(٥) (٦) يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ نفسَ الإنسـانِ تنزعُ إلى المعصيةِ، ويمضِـي قُدمًـا راكبًا رأسَـه يعجِّـلُ الذنوبَ ويسـوِّفُ التوبةَ ، والكافرُ المُكذِّبُ بيومِ الحسـابِ يسألُ سـؤالَ استبعادٍ لوقوعِ المعادِ وتكذيبٍ لوجودِه ويقولُ : متَى يكونُ يومُ القيامةِ ؟ .

(٧) (٨) (٩) تنبهرُ الأبصارُ يومَ القيامةِ ولا تسـتقرُّ على شيءٍ مِنْ شدَّةِ الرُّعبِ وتحارُ مِنْ شدَّةِ الأهوالِ ومِنْ عِظَمِ ما تشاهدُه مِنَ الأمورِ ، ويذهبُ ضوءُ القمرِ ، ويُجمعُ بينَ الشمسِ والقمرِ فيكوَّرانِ ولا ضوءَ لواحدٍ منهما .

(١٠) (١١) (١٢) إذا عايـنَ ابـنُ آدمَ هـذهِ الأهوالَ يـومَ القيامةِ ، حينئـذٍ يريدُ أنْ يفرَّ ويقولُ : هلْ مِـنْ ملجأٍ أو موئلٍ ؟ ، قالَ اللهُ ﷻ : لا نجـاةَ ، وليسَ لكم مكانٌ تعتصمونَ فيه ، بلْ إلى ربِّكم يومئذٍ المرجعُ والمصيرُ .

(١٣) (١٤) (١٥) في ذلـكَ اليـومِ يُخبرُ الإنسـانُ بجميـعِ أعمالِه ؛ قديمِهـا وحديثِها ، أوَّلِها وآخرِهـا ، صغيرِها وكبيرِها كما قالَ تعالَـى : " وَوَجَـدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِـرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ، ولهذا أخبرَ تعالَى أنَّ الإنسـانَ شهيدٌ على نفسِه عالمٌ بما فعلَه، ولو أنكرَ وجادلَ عنْ نفسِه وأظهرَ حجَّتَهُ فهو بصيرٌ عليها .

(١٦) (١٧) (١٨) (١٩) في هـذهِ الآيـاتِ تعليمٌ مِنَ اللهِ ﷻ لرسـولِه ﷺ في كيفيَّةِ تلقِّيهِ الوحيَ مِنَ الملَكِ ، فإنَّه كانَ يبادرُ إلى أخذِه ويسابقُ الملَكَ في قراءتِه ، فأمَرَهُ اللهُ ﷻ إذا جاءَه الملَكُ بالقرآنِ أنْ يسـتمعَ لـه ، وتكفَّلَ له أنْ يجمعَه في صـدرِه فيحفظَه ، وأنْ يُيسِّـرَه لأدائِه وتلاوتِه على الوجهِ الذي ألقاهُ عليه، وأنْ يلهمَه معناهُ ويبيِّنَه له .

فالحالـةُ الأولَـى جمعُهُ في صدرِه ، والثانيـةُ تلاوتُه ، والثالثةُ تفسيرُه وإيضاحُ معناهُ .

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ
﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ
﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ
﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ
أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا
هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا
وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٠ ٢١ يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ النـاسَ إنَّمـا يحملُهم علـى التَّكذيبِ بيومِ القيامةِ ومخالفةِ ما أنزلَه اللهُ ﷻ على رسولِه ﷺ مِنَ الوحيِ الحقِّ والقرآنِ العظيمِ أنَّ همَّتَهم منصرفةٌ إلى الدَّارِ الدنيا العاجلةِ ، وهم لاهونَ متشاغلونَ عنِ الآخرةِ .

٢٢ ٢٣ وجوهٌ يومَ القيامةِ حسنةٌ بهيَّةٌ مشـرقةٌ مسرورةٌ ، ترَى ربَّهـا عيانًا كما في صحيحِ مسـلمٍ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال : " إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ يقولُ اللهُ تعالَى : تريدونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيقولـونَ : ألَمْ تبيِّضْ وجوهَنا ؟، ألَمْ تدخلْنا الجنَّةَ وتنجينا مِنَ النـارِ ؟، قـالَ : " فيُكشَـفُ الحجـابُ ، فما أُعطوا شـيئًا أحبَّ إليهم مِنَ النَّظرِ إلى ربِّهم " ، وقد تواترتِ الأخبارُ عنْ رسـولِ اللهِ ﷺ بما دلَّ عليه سياقُ الآيةِ الكريمةِ .

٢٤ ٢٥ ثم أخبرَ تعالَى عن وجوهِ الفُجَّارِ يومَ القيامةِ وأنَّها كالحةٌ عابسةٌ ، تستيقنُ أنْ يُفعلَ بها شرٌّ ، وأنَّها هالكةٌ بدخولِ النارِ .

٢٦ ٢٧ ٢٨ يخبرُ اللهُ ﷻ عنْ حالِ احتضارِ الإنسـانِ ، حينَ يكـونُ في آخـرِ يومٍ مِنْ أيـامِ الدنيا وأوَّلِ يومٍ مِـنْ أيامِ الآخرةِ ، فتُنتَـزَعُ روحُه مِنْ جسـدِه حتَّـى تبلُـغَ العظامَ المكتنفَـةَ لثغرةِ نحرِه، ويقولُ مَنْ حولَه : هل مِنْ راقٍ يرقيهِ أو طبيبٍ يداويهِ؟ ، [فلم يُغنوا عنه مِنْ أمرِ اللهِ الذي قد نزَلَ به ، وأيقنَ هو أنَّ الذي نزَلَ به هو فراقُ الدنيا والأهلِ والمالِ والولدِ] .

٢٩ ٣٠ تلتقِي الشدَّةُ بالشـدَّةِ وتلتفُّ حينئذٍ الساقانِ وتموتُ الرجـلانِ اللَّتـانِ كان عليهمـا جـوالاً ، ويجتمعُ عليـه النـاسُ يجهِّـزونَ جسـدَه ؛ والملائكـةُ يجهِّـزونَ روحَـه فترفعُها إلى السماءِ وإلى اللهِ يومئذٍ المرجعُ والمآبُ .

٣١ ٣٢ ٣٣ في هـذهِ الآيـاتِ إخبـارٌ عـنِ الكافرِ الـذي كان في الـدَّارِ الدنيا مكذِّبًـا للحقِّ بقلبِه ، متوليًا عـنِ العملِ بقالبِه ، مختـالاً بَطِـرًا ؛ لا همَّةَ له ولا عملَ ، ولا خيـرَ فيه لا باطنًا ولا ظاهرًا .

٣٤ ٣٥ ثم قالَ اللهُ تعالَى على سبيلِ التهكُّمِ والتهديدِ : يحقُّ لك أيُّها الكافرُ المتبختِرُ في مشـيتِه أنْ تمشِي هكذا وقد كفرتَ بخالقِكَ وبارئِكَ .

٣٦ ليسَ يُترَكُ الإنسانُ في هذه الدنيا مهملاً ؛ لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى ، ولا يُترَكُ في قبرِه سدًى ؛ لا يُبعَثُ ، بل هو مأمورٌ منهيٌّ في الدنيا محشورٌ إلى اللهِ في الدَّارِ الآخرةِ ، والمقصودُ هنا إثباتُ المعادِ ، والرَّدُّ على مَنْ أنكرَه مِنْ أهلِ الزَّيغِ والجهلِ والعنادِ .

٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ثـم قال ﷻ مسـتدلاً علَى الإعـادةِ بالبداءةِ في الخلقِ: أما كانَ الإنسـانُ نطفةً ضعيفةً مِنْ ماءٍ مهينٍ ، فصارَ علقةً ثم مضغةً ، ثم شُـكِّلَ ونُفِخَ فيه الروحُ ، فصارَ خلقًا سويًا سليمَ الأعضاءِ بإذنِ اللهِ ؟ ، أليسَ الذي أنشأَ هذا الخَلْقَ السويَّ مِنْ هذه النُّطفةِ الضعيفةِ بقادرٍ على أنْ يعيدَه كما بدأَه ؟ .

سورةُ الإنسانِ ... وهيَ مكّيَّةٌ

جـاءَ في صحيـحِ مسـلمٍ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ كان يقـرأُ في صلاةِ الصبحِ يومَ الجمعةِ سورةَ السجدةِ والإنسانِ.

١ ٢ يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّه أوجدَ الإنسانَ بعدَ أنْ لم يكنْ شيئًا يُذكرُ ؛ لحقارتـِه وضعفِه ، ثم بيَّن ذلك فأخبرَ أنَّه خلقَهُ مِنْ ماءِ الرجلِ وماءِ المرأةِ إذا اجتمعَا واختلطَا ، ثم ينتقلُ مِنْ طورٍ إلى طورٍ وحالٍ إلى حالٍ ؛ ابتلاءً واختبارًا ، فجعلَ له سمعًا وبصرًا يتمكَّنُ بهما مِنَ الطَّاعةِ والمعصيةِ .

٣ يقـولُ اللهُ ﷻ : إنَّا بيَّنَّا للإنسـانِ طريـقَ الخيرِ ووضَّحناه له وبصَّرناه به ، فهو في ذلك إمَّا شـقيٌّ وإمَّا سـعيدٌ كما في صحيحِ مسـلمٍ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـالَ : " كلُّ الناسِ يغدُو فبائعٌ نفسَـه فمعتِقُها أو موبِقُها " .

٤ في هـذه الآيـةِ يخبـرُ تعالَى عمَّـا أرصـدَه للكافريـنَ مِنَ السَّلاسلِ والأغلالِ واللهيبِ في نارِ جهنَّمَ .

٥ ولمَّا ذكرَ اللهُ تعالَى ما أعدَّه لهؤلاءِ الأشـقياءِ مِنَ السَّـعيرِ أخبرَ أنَّ الأبرارَ يشربونَ خمرًا ممزوجًا شرابُها بالكافورِ ، وقد عُلِـمَ ما في الكافورِ مِنَ التَّبريدِ والرائحـةِ الطيِّبةِ ، معَ ما يضافُ إلى ذلك مِنَ اللذاذةِ في الجنَّةِ .

٦ لمّـا أخبرَ تعالَى عن شُـربِ الأبرارِ مِنَ الـكأسِ التي مُزِجَ فيهـا الخمرُ بالكافورِ أخـبرَ أنَّ المقرّبينَ مِنْ عبادِ اللهِ يشـربونَ الخمـرَ بالكافورِ ؛ صرفًا بـلا مزجٍ فيروَوْنَ مِـنَ العينِ الجاريةِ التـي تنبعُ لهـم ، ويتصرَّفونَ فيهَا مِـنْ قصورِهم ومجالِسِـهم ومحالِّهم وحيثُ شاؤُوا .

٧ ثـم وصفَ اللهُ ﷻ هؤلاءِ بأنَّهم كانُـوا يتعبَّدُون للهِ في الدنيا بمَـا أوجبَه عليهم مِـنَ الطَّاعاتِ ، وبمَا أوجبُوه على أنفسِـهم بطريقِ النذرِ ، ويتركـونَ المحرَّماتِ التي نهاهُم اللهُ عنها خيفةً مِنْ سـوءِ الحسـابِ يومَ المعادِ ؛ لأنَّه اليومُ الذي يستطيرُ شرُّه فيعمُّ الناسَ إلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ .

٨ ٩ ١٠ وجـاءَ في وصفِ هؤلاءِ الأبـرارِ : أنَّهم يُطعِمونَ الطعـامَ وهـم يحبُّونَه ويشـتهونَه ويقدِّمونَه للمسكينِ واليتيمِ والأسيرِ ؛ قائلينَ بلسانِ الحالِ : إنَّما نطعمُكم رجاءَ ثوابِ اللهِ ورضاه ، فلا نطلبُ منكم مجازاةً تكافئُوننا بها ولا أنْ تشكرُونا عنـدَ الناسِ ، إنَّما نفعلُ هذا لعـلَّ اللهَ أنْ يرحمَنا ويتلقَّانا بلطفِه في أشدِّ الأيامِ وأطولِها بلاءً ، وقد علِمَ اللهُ ذلك مِنْ قلوبِهم وما قالُوه بألسنَتِهم فأثنَى عليهم ترغيبًا بفعلِهم .

١١ ثـم أخـبرَ اللهُ ﷻ أنَّه أمَّنَهُم في ذلك اليومِ ممَّا خافُوا منه ، ولقَّاهُم نضرةً في وجوهِهم وسرورًا في قلوبِهم ، وإنَّ القلبَ إذا سُرَّ استنارَ الوجهُ .

١٢ ١٣ ثم أخبرَ تعالَى أنَّه بسببِ صبرِ هؤلاءِ العبادِ في الدنيا علـى تركِ الشـهواتِ أعطاهُـم وبوَّأَهم منزلًا رحبًا وعيشًـا رغدًا ولباسًا حسنًا ، ويجلسُ الواحدُ منهم على الأريكةِ متربِّعًا ؛ لمَا هو فيـه مِنَ النَّعيمِ المقيمِ والفضـلِ العميمِ ، ومعَ ذلك فليسَ عندَهم حَرٌّ مزعجٌ ، ولا بردٌ مؤلمٌ ، بل هي مِزَاجٌ واحدٌ دائمٌ سرمديٌّ .

١٤ ثـم أخبرَ تعالَـى أنَّ أغصانَ الجنَّةِ قريبـةٌ إليهم ، متَى تعاطَى أحدُهم القطفَ دنا إليه وتدلَّى مِنْ أعلَى غصنِه ، فإنْ قامَ ارتفعَ معَه بقدرٍ وإنْ قعدَ أو اضَّطجعَ تدلَّى له حتى ينالَه ، كأنَّه سامعٌ طائعٌ .

١٥ ١٦ يطـوفُ الخـدمُ على أهلِ الجنَّـةِ فيطعمُونَهم بأوانٍ مِنْ فضَّةٍ ويسـقونَهم بأكوابٍ مِنْ فضَّةٍ في صفاءِ الزجاجِ شفَّافةٍ ، يُرَى ما في باطنِها مِنْ ظاهرِها ، مُعَدَّةٍ على قدْرِ رِيِّ صاحبِها ؛ لا تزيدُ عنه ولا تنقصُ ، وهذا أبلغُ في الاعتناءِ والشَّرفِ والكرامةِ .

١٧ ١٨ ويُسـقَى هـؤلاءِ الأبـرارُ في هـذه الأكـوابِ خمرًا ممزوجًـا بالزنجبيل ؛ فتـارةً يُمزَجُ بالكافورِ وهـو باردٌ ، وتارةً بالزنجبيـلِ وهو حارٌّ ، وأمَّـا المقربونَ فإنَّهم يشـربونَ مِنْ كلٍّ منهُما صِرْفًا مِنْ غيرِ مزجٍ ، والزنجبيلُ : اسـمُ "عينٍ" في الجنَّةِ تسـمَّى السَّلسَبيلَ ؛ لسلَاسةِ سيلِها وحدَّةِ جريِها ، وسلاسَتِها في الحلقِ .

١٩ يخـبرُ تعالَى أنَّه يطوفُ على أهلِ الجنَّـةِ للخدمةِ ولدانٌ مخلَّـدونَ لا تزيـدُ أعمارُهـم عن تلـكَ السِّـنِ ، إذا رأيتَهم في انتشارِهم وكثرتِهم وصباحةِ وجوهِهم وحُسْنِ ألوانِهم وثيابِهم

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

وحُليِّهم حَسِبْتَهم لؤلؤًا منثورًا .

ولا يكونُ في التشبيهِ أحسَـنُ مِنْ هذا ، ولا في المنظرِ أجملُ مِنَ اللؤلؤِ المنثورِ على المكانِ الحسَنِ .

٢٠ ثـم قالَ اللهُ لنبيِّـهِ مُحمَّدٍ ﷺ : وإذا رأيـتَ الجنَّةَ ونعيمَها وسـعتَها وارتفاعَها وما فيها مِنَ الحبْرَةِ والسـرورِ رأيتَ نعيمًا ومملكةً للهِ عظيمةً وسلطانًا باهرًا .

٢١ ثـم أخبرَ ﷻ عنْ زينةِ الظَّاهرِ والباطـنِ ، فأخبرَ بأنَّ لباسَ هـؤلاءِ الأبرارِ ممَّا يلي أبدانَهم : السُّـندسُ وهو رفيعُ الحريرِ ، ولباسُـهم ممَّا يلـي ظاهرَها : الإسـتبرقُ وهو حريـرٌ فيهِ بريقٌ ولمَعـانٌ ، ويُحلَّـونَ أسـاورَ مِنْ فضَّـةٍ ، وأمَّا المقرَّبـونَ فإنَّهم "يُحلَّـوْنَ فِيهَـا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُـؤًا" ، وأمَّا عنْ زينةِ الباطنِ فإنَّه قد سـقاهُم شرابًا يطهِّرُهم مِنَ الحقدِ والغلِّ وسائرِ الأخلاقِ الرَّديَّةِ .

٢٢ يقالُ لهم ذلكَ تكريمًا وإحسـانًا إليهـم ، وأنَّ اللهَ جزاهُم على عملِهم القليلِ بالكثيرِ .

٢٣ ٢٤ ٢٥ يقـولُ تعالَـى ممتنًّـا على رسـولِه ﷺ بما أنزلَه عليـه مِنَ القـرآنِ : كما أكرمتُكَ بما أنزلـتُ عليكَ فاصبرْ على قضائِي وقـدَرِي ، واعلمْ أنَّني سـأُدبِّرُكَ بحسْـنِ تدبيري ، ولا تطِعِ الكافرينَ والمنافقيـنَ إنْ أرادُوا صدَّكَ عمَّـا أُنزِلَ إليكَ ، والْهَجْ بذكرِ ربِّكَ أوَّلَ النَّهارِ وآخرَه .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

(٢٦) يأمرُ اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بصلاةِ التهجُّدِ، فيعبدُ ربَّه ويتلو كتابَه ويصلّي أكثرَ الليل.

(٢٧) ثم قالَ تعالَى منكرًا على الكفّارِ ومَنْ أشبَهَهُم في حُبِّ الدنيا والإقبالِ عليها، وتركِ الدارِ الآخرةِ وراءَ ظهورِهم: إنَّ هؤلاءِ يحبُّونَ العاجلةَ ويذرونَ وراءَهم يومًا ثقيلًا إذا جاءَتِ القيامةُ.

(٢٨) ثم قالَ تعالَى: نحنُ خلقناهُم وشددْنا خلقَهم، وإذا شئنَا بدَّلناهُم بغيرِهم وأتينا بقومٍ آخرينَ يطيعونَ ولا يعصونَ كما قال تعالَى: " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ".

(٢٩) (٣٠) ثم بيّنَ اللهُ ﷻ أنَّ هذه السُّورةَ تذكرةٌ يتذكَّرُ بها أولُو الألبابِ، فمَنْ شاءَ اهتدَى بالقرآنِ وجعلَه طريقًا ومَسْلكًا، ثم قيَّدَ اللهُ ذلك بمشيئتِه ﷻ فأخبرَ أنَّه لا يقدرُ أحدٌ أنْ يهدِيَ نفسَه ولا أنْ يدخلَ في الإيمانِ ولا أنْ يجرَّ لنفسِه نفعًا إلَّا أنْ يشاءَ اللهُ. واللهُ ﷻ عليمٌ بمَنْ يستحقُّ الهدايةَ فيُيسِّرُها له ويقيِّضُ له أسبابَها، وعليمٌ بمَنْ يستحقُّ الغوايةَ فيصرفُه عنِ الهدَى وله الحكمةُ البالغةُ؛ ولهذا قال: "إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا".

(٣١) ثم أخبرَ ﷻ أنَّه [يُدْخِلُ مَنْ يشاءُ في رحمتِه فيتوبُ عليه ويغفرُ له ذنوبَه ويدخلُه جنَّتَه، والذين ظلمُوا أنفسَهم فماتُوا على شركِهم أعدَّ لهم في جهنَّمَ عذابًا أليمًا مؤلمًا موجعًا.

سورةُ المرسلاتِ .. وهيَ مكّيَّةٌ

جاءَ في الصحيحينِ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ في صلاةِ المغربِ بالمرسلاتِ عرفًا، قالتْ أمُّ الفضلِ رضي الله عنها: " إنَّها لآخرُ ما سمعتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ يقرأُ بها في المَغربِ ".

(١) (٢) (٣) أقسمَ اللهُ ﷻ بالرياحِ التي تهبُّ شيئًا فشيئًا، وبالرياحِ التي تعصفُ بتصويتٍ، وبالرياحِ التي تنشرُ السَّحابَ في آفاقِ السماءِ.

(٤) (٥) (٦) وأقسمَ اللهُ تباركَ وتعالَى بالملائكةِ التي تنزِلُ بأمْرِ اللهِ على الرُّسلِ، تُفرِّقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، والهدَى والغيِّ، والحلالِ والحرامِ، وتُلقِي إلى الرُّسلِ وحيًا فيه إعذارٌ إلى الخَلْقِ، وإنذارٌ لهم بعقابِ اللهِ إنْ خالفُوا أمْرَهُ.

(٧) في هذهِ الآيةِ يبيِّنُ اللهُ تعالَى المقسَمَ عليه بهذهِ الأقسامِ، وهو ما وعدَ الناسَ به مِنْ قيامِ الساعةِ، والنفخِ في الصورِ وبَعْثِ الأجسادِ، وجمعِ الأوَّلينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ، ومجازاةِ كلِّ عاملٍ بعملِه إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ، وأنَّ هذا كلَّه كائنٌ لا محالةَ.

(٨) (٩) (١٠) إذا جاءَ يومُ القيامةِ ذهبَ ضوءُ النُّجومِ، وانشقَّتِ السماءُ وتدلَّتْ أرجاؤُها ووهَتْ أطرافُها، وذُهِبَ بالجبالِ فلمْ يبقَ لها عينٌ ولا أثرٌ كما أخبرَ اللهُ تعالَى عنها في قولِه: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ».

(١١) ثم أخبرَ اللهُ تعالَى أنَّ يومَ القيامةِ هو اليومُ الذي قد وُعِدَتْ فيه الرُّسلُ للحكمِ بينها وبينَ أممِها كما قال تعالَى: « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »، فكلُّ أمَّةٍ تُعرَضُ على اللهِ بحضرةِ رسولِها، وكتابُ أعمالِها موضوعٌ شاهدٌ عليهم.

(١٢) (١٣) ثم قالَ اللهُ ﷻ: لأيِّ يومٍ أُجِّلَتِ الرُّسلُ وأُرجِئَ أمرُها؟، فأجابَ بأنَّه مؤجَّلٌ حتَّى تقومَ القيامةُ فيفصلَ اللهُ ﷻ بينَ الخلائقِ بعدَ أنْ يجمعَهم بقدرتِه في صعيدٍ واحدٍ.

(١٤) (١٥) ثم قالَ تعالَى معظِّمًا شأنَ ذلك اليومِ: وما أدراكَ ما يومُ الفصلِ؟، ويلٌ للمكذِّبينَ غدًا مِنْ عذابِ اللهِ.

(١٦) (١٩) ثم قالَ اللهُ تعالَى: ألمْ نُهلكِ الأوَّلينَ مِنَ المكذِّبينَ للرُّسلِ المخالفينَ لمَا جاؤُوهم به؟، ثم نُتبِعُهُمُ الآخرينَ ممَّنْ أشبَهَهُم؛ ولهذا قال: " كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ "، ثم توعَّدَهُم فقال: ويلٌ للمكذبينَ غدًا مِنْ عذابِ اللهِ.

(٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) يقولُ اللهُ تعالَى ممتنًّا على خلقِه ومذكِّرًا لهم بالبداءَةِ على الإعادةِ : ألَمْ نخلقكُم مِنْ ماءٍ ضعيفٍ حقيرٍ مهينٍ فجمعناه في الرَّحمِ ، والرَّحمُ معدٌّ لذلك مهيأٌ له ، حافظٌ لمَا أُودِعَ فيه مِنَ الماءِ ؟ .

إذا استقرَّ الماءُ في الرَّحمِ انتقلَ مِنْ حالٍ إلى حالٍ ومِنْ صفةٍ إلى صفةٍ ، فيمكثُ أربعينَ يومًا نطفةً ، ثم تنقلبُ علقةً حمراءَ بإذنِ اللهِ ، فتمكثُ كذلكَ أربعينَ يومًا ، ثم تصيرُ كالقطعةِ مِنَ اللحمِ لا شكلَ فيها ولا تخطيطَ ، ثم تُصوَّرُ وتتشكَّلُ فتكونُ ذاتَ رأسٍ وصدرٍ وبطنٍ ويدينِ ورجلينِ ؛ بعظامِها وعصبِها وعروقِها ، فتبقَى مدَّةً معلومةً وأجلًا مُعيَّنًا ؛ ولهذا قال : «فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ»

(٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) وفي هذهِ الآياتِ يدعو اللهُ عبادَه إلى التأمُّلِ في مخلوقاتِه الدَّالَّةِ على عظمتِه فقالَ : ألَمْ نجعلْ بطنَ الأرضِ لأمواتِكُم وظهرَها لأحيائِكم ، وجعلنَا فيها جبالًا شامخاتٍ أرسَينَا بها الأرضَ لئلَّا تميدَ بكم وتضطَّرِبَ ، وأسقيناكُم ماءً عذبًا زُلالًا مِنَ السَّحابِ ، أو ممَّا أنبعَهُ اللهُ لكم مِنْ عيونِ الأرضِ؟ ، ثم قالَ اللهُ ﷻ : ويلٌ لمَنْ تأمَّلَ هذهِ المخلوقاتِ الدَّالَّةَ على عظَمَةِ خالقِها ثم بعدَ هذا يستمرُّ على تكذيبِه وكفرِه.

(٢٩) - (٣٤) خبرُ اللهُ تعالَى عنِ الكفارِ المكذبينَ بالمعادِ والجزاءِ والجنَّةِ والنارِ أنَّه يُقالُ لهم يومَ القيامةِ : انطلقوا إلى ما كنتُم به تكذِّبونَ ، انطلقوا إلى ظلِّ دخانٍ أسودَ منتنٍ منبعثٍ مِنْ لهبِ النارِ ، فمِنْ شدَّتِه وقوَّتِه أنَّ له ثلاثَ شعبٍ [يحيطُ بها مِنْ كلِّ جانبٍ] ، وظلُّ هذا الدُّخانِ لا ظليلَ هو في نفسِه ، ولا يقيهم حرَّ اللهبِ ، فيتطايرُ شررُ النارِ كالحصُونِ ، كلُّ شرارةٍ مِنْ لهبِ نارِ جهنَّمَ كأنَّها الإبلُ السُّودُ ؛ ولذلكَ قال بعدَها : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

(٣٥) (٣٦) (٣٧) هذا يومٌ لا يقدرونَ فيه على الكلامِ ولا يؤذَنُ لهم فيه ليعتذِروا ، بل قد قامَتْ عليهمُ الحجَّةُ ، ووقعَ القولُ عليهم بما ظلمُوا فهم لا ينطقُونَ .

وعرَصَاتُ القيامةِ حالاتٌ ، والربُّ تعالَى يخبرُ عنْ هذه الحالةِ تارةً ، وعنْ هذهِ الحالةِ تارةً ؛ ليدلَّ على شدَّةِ الأهوالِ والزلازلِ يومئذٍ ؛ ولهذا يقولُ بعدَ كلِّ فصلٍ مِنْ هذا الكلامِ : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

(٣٨) (٣٩) (٤٠) هذهِ مخاطبةٌ مِنَ الخالقِ ﷻ لعبادِه يقولُ : إنَّه جمعَهم بقدرتِه في صعيدٍ واحدٍ ، يُسمعُهم الدَّاعيَ وينفُذهم البصرُ ، ثم قال لهم في تهديدٍ شديدٍ : إنْ قدرتُم على أنْ تتخلصُوا مِنْ قبضتِي ، وتنجُوا مِنْ حكمِي فافعلُوا ، فإنَّكم لا تقدرونَ على ذلكَ ، ثم توعَّدَهم بقولِه : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٤١) (٤٢) (٤٣) ثم لمَّا ذكرَ تعالَى حالَ أولئكَ الأشقياءِ أخبرَ عنْ عبادِه المتَّقينَ الذينَ عبدُوه بأداءِ الواجباتِ وتركِ المحرَّماتِ : فهم يومَ القيامةِ في جنَّاتٍ وعيونٍ ، وفواكهَ ممَّا يشتهونَ مِنْ سائرِ أنواعِ الثِّمارِ ، ويُقالُ لهم على سبيلِ الإحسانِ إليهم : " كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " .

(٤٤) (٤٥) ثم أخبرَ اللهُ ﷻ خبرًا مستأنفًا فقال : هذا جزاؤنا لمَنْ أحسَنَ العملَ ، ثم توعَّدَ مَنْ يستمرُّ على تكذيبِه وكفرِه فقال : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

(٤٦) (٤٧) في هذا خطابٌ مِنَ اللهِ ﷻ للمكذبينَ بيومِ الدِّينِ ، حيثُ أمرَهُم أمْرَ تهديدٍ ووعيدٍ فقالَ : كلُوا وتمتَّعُوا مدَّةً قصيرةً ثم تُساقُونَ إلى نارِ جهنَّمَ كمَا قال تعالَى : " نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ " ؛ ولذلكَ قالَ بعدَها : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

(٤٨) (٤٩) يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّ هؤلاءِ الجهلةَ مِنَ الكفارِ إذا أُمِرُوا أنْ يكونُوا مِنَ المصلِّينَ معَ الجماعةِ امتنعُوا مِنْ ذلكَ واستكبرُوا عنه ؛ ولهذا قالَ تعالَى : " وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " .

(٥٠) ثم قال اللهُ ﷻ : إذا لم يؤمنْ هؤلاءِ الكفارُ بهذا القرآنِ الذي جاءَهم به مُحَمَّدٌ مِنْ عندِ اللهِ ولم ينقادُوا له ، معَ ما فيه مِنَ الحُجَجِ والبيِّناتِ المتضمِّنَةِ للحقِّ ، فبأيِّ كلامٍ يؤمنونَ ويصدِّقونَ ؟! .

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سُورَةُ النَّبَأ ... وهيَ مَكِّيَّةٌ

١ ٢ يقولُ اللهُ تعالَى منكِرًا على المشركينَ في تساؤلِهم عن يوم القيامةِ إنكارًا لوقوعِها : عن أيِّ شيءٍ يتساءَلونَ مِنْ أمْرِ القيامَةِ ، وهو الخبَرُ الهائِلُ المفظعُ العظيمُ الباهرُ ؟ .

٣ ٥ ثم أخبرَ اللهُ تعالَى أنَّ الناسَ في أمْرِ البعثِ بعدَ الموتِ بينَ مؤمنٍ بهِ وكافرٍ ؛ ولذلكَ قالَ متوعِّدًا منكرِي القيامةِ : " كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ " ، وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ.

٦ ٧ ثم بيَّنَ تعالَى قدرتَه العظيمَةَ على خَلْقِ الأشياءِ فقالَ : ألَمْ نجعلِ الأرضَ ممهَّدَةً للخلائقِ ذَلولاً لهم ، وجعلنَا الجبالَ أوتادًا فأرسَيناهَا بها وثبَّتناهَا حتى سكنَتْ وقرَّتْ ولم تضطرِبْ بمَنْ عليها ، وخلقْنَا مِنَ البشرِ ذكرًا وأنثَى يستمتعُ كلٌّ منهُما بالآخرِ ، ويحصلُ بينَهم التناسلُ .

٩ ١٠ ١١ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّه جعلَ النَّومَ قطعًا للحركَةِ؛ لتحصلَ به راحةُ الأبدانِ، فإنَّ الأعضاءَ والجوارحَ تكلُّ مِنْ كثرةِ الترددِ والسعيِ في المعايشِ في عرَضِ النهارِ ، فإذا جاءَ الليلُ غشيَ الناسَ ظلامُهُ وسوادُهُ، فتسكُنُ الحركاتُ وتستريحُ الأعضاءُ ، ويحصلُ النومُ الذي فيهِ راحَةُ البدنِ والرُّوحِ معًا .
وقد جعَلَ اللهُ النهارَ مشرقًا مُنيرًا مضيئًا ؛ ليتمكَّنَ الناسُ مِنَ التصرُّفِ فيهِ والذَّهابِ والمجيءِ للمعاشِ والتكسُّبِ والتِّجاراتِ وغيرِ ذلكَ .

١٢ ١٣ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّه بَنَى السَّمواتِ السَّبعَ في اتِّساعِها وارتفاعِها وإحكامِها وإتقانِها وتزيينِها بالكواكبِ ، وأنَّه جعَلَ الشمسَ منيرةً على جميعِ العالمِ يتوهَّجُ ضوْءُهَا لأهلِ الأرضِ كلِّهم .

١٤ ١٥ ١٦ وأخبرَ تعالَى أنَّه أنزلَ مِنَ السَّحابِ ماءً متتابعًا كثيرًا؛ ليُخرِجَ بهِ حبًّا يُدَّخرُ ونباتًا خضرًا يُؤكَلُ رطبًا ، ويُخرِجَ بهِ بساتينَ وحدائقَ مِنْ ثمراتٍ متنوِّعةٍ وألوانٍ مختلفةٍ وطعومٍ وروائحَ متفاوتةٍ ، وإنْ كانَ ذلكَ في بقعةٍ واحدةٍ مِنَ الأرضِ مجتمعًا .

١٧ ١٨ يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ يومَ القيامةِ مؤقَّتٌ بأجَلٍ معدودٍ، لا يُزادُ عليهِ ولا ينقصُ منه ، ولا يعلمُ وقتَهُ على التَّعيينِ إلا اللهُ ﷻ ، فإذا نُفِخَ في الصُّورِ في ذلكَ اليومِ جاءَ الناسُ زُمرًا ، كلُّ أمَّةٍ معَ رسولِها .
والمرادُ بالصُّورِ : قرنٌ يَنْفُخُ فيهِ إسرافيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثَ نَفَخاتٍ : نفخةُ الفزَعِ في آخرِ عمرِ الدنيا ، ثم بعدَ ذلكَ نفخةُ الصَّعْقِ التي تموتُ بها كلُّ الخلائقِ ، ثم بعد ذلك نَفْخَةُ البعثِ والنُّشورِ والقيامِ لربِّ العالمينَ .

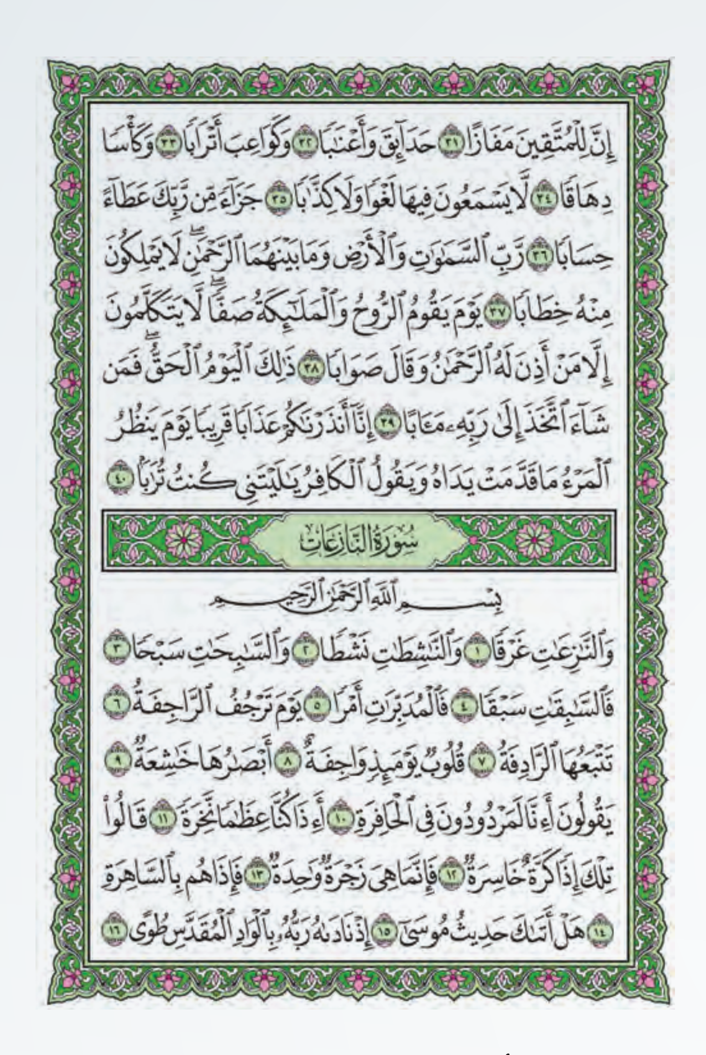
١٩ ٢٠ في يومِ القيامةِ تُفْتَحُ السماءُ فتكونُ طُرقًا ومسالكَ لنزولِ الملائكةِ ، وتُسَيَّرُ الجبالُ فتكونُ كالقطنِ المنفوشِ ، ويُخيَّلُ للنَّاظرِ أنَّها شيءٌ وليستْ بشيءٍ وتذهبُ بالكليَّةِ ، فلا عينَ ولا أثرَ .

٢١ ٢٢ ٢٣ يخبرُ تعالَى أنَّ جهنَّمَ مهيَّئةٌ مُعَدَّةٌ ؛ وأنَّها ستكونُ مرجِعًا ومُنْقلَبًا ومصيرًا ونُزُلاً للمَرَدَةِ العُصاةِ المخالفينَ للرُّسلِ ، فيكونونَ فيها زمانًا لا انقطاعَ لهُ كلَّما مضَى حُقُبٌ جاءَ حُقْبٌ بعدَه ، والحُقْبُ هو : المدَّةُ مِنَ الزَّمانِ تقاربُ الثَّمانينَ سنةً .

٢٤ ٢٥ ٢٦ لا يجدُ هؤلاءِ المَردَةُ العُصاةُ في جهنَّمَ بردًا لقلوبِهم ولا شرابًا طيِّبًا يتغذَّونَ بهِ إلَّا الماءَ الحميمَ الذي انتهَى حَرُّهُ ، أو الصَّديدَ الذي لا يُستطاعُ شربُهُ مِنْ شدَّةِ بردِهِ ولا يُواجَهُ مِنْ نتنِهِ ، وإنَّما كانَ هذا الذي صاروا إليهِ مِنْ هذهِ العقوبَةِ وفقَ أعمالِهم الفاسدةِ التي كانوا يعملونَها في الدنيا .

٢٧ ٢٨ يخبرُ تعالَى أنَّ هؤلاءِ الكفرةَ لم يكونوا يعتقدونَ أن ثمَّ دارًا يجازَوْنَ فيها ويحاسَبُونَ ، وكانوا يكذِّبونَ بحُججِ اللهِ ودلائلِهِ على خَلْقِهِ التي أنزَلَها على رُسُلِهِ ، فيقابلونَها بالتكذيبِ والمعانَدةِ .

٢٩ ٣٠ ثم قالَ اللهُ ﷻ : قد علِمْنَا أعمالَ العبادِ كلِّهم وكتبناها عليهِم وسنجزيهم على ذلكَ ، إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًا فشرٌّ ، ثم يُقالُ لأهلِ النارِ : ذوقوا ما أنتم فيه ، فلنْ نزيدَكم إلَّا عذابًا .
وقد قيلَ : إنَّه لم ينزلْ على أهلِ النارِ آيةٌ أشدُّ مِنْ هذهِ الآيةِ ، فهم في مزيدٍ مِنَ العذابِ أبدًا .



إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

٣١ ٣٢ ٣٣ خبرٌ تعالَى عنِ السعداءِ وما أَعَدَّ لهم مِنَ الكرامةِ والنَّعيمِ المقيمِ بعد أنْ فازوا بالنجاةِ منَ النـارِ ، فهم يتنزَّهون في بساتينِ النخيلِ والأعنابِ ، ويتنعَّمـون بالحُـورِ النَّواهِدِ المتحبِّباتِ إلى أزواجهنَّ بالحلاوةِ والظرافةِ والملاحةِ ، أبكارٌ حِسَانٌ في كلامهنَّ وتبعُّلِهنَّ ، يأتلفنَ جميعًا ويلعبنَ جميعًا في سنٍّ واحدةٍ وعمرٍ واحدٍ ، وليس بينهنَّ تباغُضٌ ولا تحاسُدٌ .

٣٤ ٣٥ هـؤلاءِ السعداءُ في الجنَّـةِ يتعاطَـونَ كأسَ الخمرِ الصافيةِ ؛ مترعـةً متتابعـةً ، خاليةً مـن صداعِ الـرأسِ ووجعِ البطنِ وإزالـةِ العقلِ ، ولا يحملُهم الشـربُ منها على الكلامِ السيِّئِ المتضمِّـنِ هَذيانًا وفحشًـا وقولَ الباطلِ ، فقـد نزَّهَ اللهُ خمرَ الآخرةِ عن قـاذوراتِ خمرِ الدنيا وأذاها ؛ لأنَّ الجنَّةَ دارُ السَّلام .

٣٦ ثـم أخبرَ تعالَى أنَّ هذا الذي ذكرَه هو جزاؤُهم ، جازاهُمُ اللهُ بـهِ وأعطاهموه بفضلِه ومَنِّهِ وإحسـانِه ورحمتِه ؛ عطاءً منه كافيًا وافرًا كثيرًا .

٣٧ يخبرُ اللهُ عن عظمتِه وجلالِه وأنَّه ربُّ السمواتِ والأرضِ ومـا فيهما وما بينهما ، وأنَّه الرحمنُ الذي شـملَتْ رحمتُهُ كلَّ شـيءٍ ، وأنَّه لا يقـدِرُ أحَدٌ من الخلقِ على ابتـداءِ مخاطبتِه إلَّا بإذنِه كما قال اللهُ ﷻ عن يومِ القيامةِ : "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ" .

٣٨ ثـم بيَّنَ تعالـى أنَّ بني آدمَ والملائكةَ يقومـونَ يومَ القيامةِ بيـنَ يـدَي اللهِ صفًّـا واحـدًا سـاكتينَ ، قـد وقفَـتْ قلوبُهم في حناجِرِهم من الخوفِ ، لا يتكلَّمُ منهم إلَّا مَنْ أَذِنَ له الرحمنُ ، ولا تتكلَّمُ يومئذٍ نفسٌ إلَّا بإذنِه ، ولا تقولُ إلَّا الحقَّ ، وقد جاءَ في الصحيحين عن رسـولِ اللهِ ﷺ في حديثِ الشفاعةِ أنَّه قالَ : " ولا يتكلَّم يومئذٍ إلَّا الرُّسُـلُ ودعوى الرُّسـلِ يومئذٍ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ » .

٣٩ ثـم أخـبرَ اللهُ ﷻ أنَّ ذلكَ اليومَ كائنٌ لا محالةَ ، فمَنْ شـاءَ اتَّخذَ إلى ربِّهِ طريقًا ومرجعًا يهتدي إليه ، ومنهجًا يمرُّ به عليه.

٤٠ أنـذرَ اللهُ عبـادَه عذابَ يـومِ القيامةِ ، ولتأكُّـدِ وقوعِهِ صارَ قريبًا ؛ لأنَّ كلَّ ما هوَ آتٍ فهو قريبٌ وكائنٌ لا محالَةَ ، وفي ذلكَ اليـومِ يُعرَضُ على المرءِ جميعُ أعمالِهِ خيرُها وشـرُّها قديمُها وحديثُهـا فيودُّ الكافرُ يومئـذٍ أنَّه كانَ في الـدارِ الدنيا ترابًا ولم يكُـنْ خُلِقَ ولا خـرَجَ إلى الوجودِ ، وذلك حيـنَ عايَنَ عذابَ اللهِ، ونظَرَ إلى أعمالِهِ الفاسدةِ قد سُطِّرَتْ عليه بأيدي الملائكةِ السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَةِ .

سُورةُ النَّازِعاتِ .. وهيَ مَكِّيَّةٌ

١ ٢ ٣ [أقسـمَ ربُّنا جلَّ جلالُـهُ] بالملائكةِ التي تنزعُ أرواحَ بني آدمَ ، فمنهم مَنْ تأخذُ روحَه بعُنفٍ فتُغرِقُ في نزعِها، ومنهم من تأخُذُ روحَهُ بسـهولةٍ [فتنشـطُها كما ينشطُ العقالُ من البعيرِ إذا حُلَّ عنه] ، وأقسَمَ اللهُ ﷻ بالملائكةِ السَّابحاتِ بينَ السماءِ والأرضِ .

٤ ٥ ثـم أخبرَ تعالى عنِ الملائكةِ السـابقاتِ إلى الإيمانِ باللهِ والتصديقِ به ، والملائكةِ التي تدبِّرُ الأمرَ من السـماءِ إلى الأرضِ بأمرِ ربِّها ﷻ .

٦ ٧ ٨ ٩ [حينَ يأمُرُ اللهُ ﷻ إسـرافيلَ بالنفخةِ الأولى ترجـفُ الأرضُ والجبـالُ ، فتصيـرُ الأرضُ بيضـاءَ مستويةً ليـسَ فيها وادي ولا رابيةٌ ، ثم تتبعُهـا النفخةُ الثانيةُ لبعثِ يومِ القيامـةِ]، فتكونُ القلوبُ يومئذٍ خائفةً ، أبصارُ أصحابِها ذليلةٌ حقيرةٌ ممَّا تُعاينُ مِن الأهوالِ .

١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ يقولُ المكذِّبونَ بيومِ المعادِ والمنكرونَ البعـثَ : أَبَعْـدَ المصيـرِ إلى القبـورِ وتمزُّقِ الأجسادِ وتفتُّتِ العظـامِ ؛ هـل نحن مـردودون للحيـاةِ إذا كُنَّا عظامًـا باليةً ؟، لئِـنْ أحيانَا اللهُ بعدَ أنْ نموتَ لتكونَنَّ رجعةً خاسـرةً لا أخسَرَ منها ؛ فلذلكَ أخبرَ تعالَى أنَّ البعثَ أمرٌ مِنَ اللهِ لا استثناء فيه، حيث يُؤمَرُ إسـرافيلُ بنفخـةٍ واحدةٍ في الصُّورِ ، فـإذا الأوَّلونَ والآخِرونَ على وجهِ الأرضِ قيامٌ بين يدَي الربِّ ﷻ ينظرونَ .

١٥ هل سـمعتَ يا محمَّدُ بخبرِ موسَـى عليه السلام حينَ ابتعَثَهُ اللهُ إلى فرعونَ وأيَّدَه بالمعجزاتِ ، ومعَ هذا اسـتمرَّ فرعونُ على كفرِه وطغيانِه حتَّى أخذَهُ اللهُ أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ ؟ .

ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سورة عبس

١٦ ١٧ لمَّا خرجَ موسَى عليه السلام مِنْ ديارِ مَدينَ قاصدًا بلادَ مصرَ تاهَ في الطريقِ، فرأى نارًا ظهرَتْ له مِنْ جانبِ جبلِ الطورِ، فلمَّا أتَى واقتربَ منها ناداه اللهُ تباركَ وتعالَى بوادي " طُوى " المطهَّرِ يخبرُ أنَّه اختارَه واصطفاه، وأمَرَهُ أنْ يذهبَ إلى فرعونَ ملكِ مصرَ؛ لأنَّه تجبَّرَ وتمرَّدَ وعتَا.

١٨ ١٩ أمَرَ اللهُ موسَى أنْ يقولَ لفرعونَ: هل لكَ أنْ تجيبَ إلى طريقةٍ تزكُو بها فتسْلَمَ وتطيعَ، وأدُلَّكَ إلى عبادةِ ربِّكَ فيصيرُ قلبُكَ خاضعًا له مطيعًا خاشعًا بعدَمَا كانَ قاسيًا بعيدًا منَ الخيرِ؟.

٢٠ ٢١ ثم أظهرَ موسى لفرعونَ حُجَّةً قويَّةً ودليلًا واضحًا على صدقِ ما جاءَه به مِنْ عندِ اللهِ، وذلكَ حينَ ألقَى العصَا فصارَتْ ثُعبانًا عظيمًا، وحينَ أخرجَ يدَه مِنْ جنبه فصارَتْ بيضاءَ مِنْ غيرِ سوءٍ، لكنَّ فرعونَ كذَّبَ بالحقِّ وخالَفَ ما أمَرَه بِه منَ الطاعةِ.

٢٢ ٢٣ ٢٤ ثمَّ إنَّ فرعونَ أدبرَ يسعى في مقابلةِ الحقِّ بالباطلِ، فجمعَ السَّحَرَةَ ليقابلُوا بسحرِهم ما جاءَ به موسَى مِنَ المعجزاتِ وجمعَ قومَهُ وأتباعَهُ فنادَى بصوتِه العالي متبجِّحًا مفتخِرًا فقالَ: أنا ربُّكُمُ الأعلَى!.

٢٥ ٢٦ لمَّا طغَى فرعونُ وتَمرَّدَ وافترَى دَعْوَى الإلهيَّةِ انتقَمَ اللهُ عز وجل منه انتقامًا جعَلَهُ بِهِ عبرةً ونكالًا في الدنيا والآخرةِ، وهكذا تكونُ عاقبةُ أمثالِهِ منَ المتمرِّدينَ وممَّنْ خالفَكَ وكذَّبَ ما جئْتَ به يا مُحَمَّدُ، وفي هذا عبرةٌ لمنْ يتَّعِظُ وينزجِرُ.

٢٧ ٢٨ ٢٩ بيَّنَ اللهُ عز وجل لمنكرِي البعثِ حُجَجَهُ في إعادةِ الخلقِ فقالَ: أأنتم أشدُّ خلقًا أمِ السَّماءُ؟! بل السماءُ أشدُّ خلقًا كما قالَ عز وجل: " لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ "، فقد سوَّى اللهُ السماءَ فجعلَهَا عاليةَ البناءِ، مستويةَ الأرجاءِ، مكلَّلةً بالكواكبِ في الليلةِ الظلماءِ، وجعَلَ ليلَهَا مظلِمًا أسودَ حالِكًا، ونهارَها مضيئًا مشرقًا نيِّرًا واضِحًا.

٣٠ ٣١ ٣٢ لمَّا اكتملَتْ صورةُ المخلوقاتِ الأرضيَّةِ ثم السماويةِ دَحَا اللهُ بعدَ ذلكَ الأرضَ، فأنبعَ عيونَهَا وأظهرَ مكنونَهَا وأخرجَ أرزاقَهَا وأجرَى أنهارَهَا وأنبتَ زروعَهَا وأشجارَها وثمارَها، وثبَّتَ جبالَها لتستقرَّ بأهلِهَا ويقرَّ قرارُها. وقد خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيامٍ: فخلَقَ الأرضَ في يومينِ، ثم خلَقَ السماءَ في يومينِ آخرَينِ، ثم بعد ذلكَ دَحَا الأرضَ في يومينِ غيرِهما.

٣٣ يخبرُ اللهُ عز وجل أنه أخرجَ الماءَ والمرعَى متاعًا للناسِ وللأنعامِ التي يأكلونَهَا ويركبونَهَا مُدَّةَ احتياجِهم إليها في هذهِ الدارِ.

٣٤ ٣٥ ٣٦ الطَّامَّةُ مِنْ أسماءِ يومِ القيامةِ فإذا جاءَ تذكَّرَ ابنُ آدمَ جميعَ عملِهِ خيرَه وشرَّه وما كان أسلَفَهُ في قديمِ دهرِه وحديثِه، وأُظهِرَتْ فيه نارُ الجحيمِ للناظرينَ، وكشفَ عنها فراَها الناسُ عيانًا.

٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ثم أخبرَ اللهُ عز وجل أنَّ مَنْ تمرَّدَ وعتَا وقدَّمَ الحياةَ الدنيا على أمرِ دينِه وأخراهُ فإنَّ مصيرَه الجحيمُ ومطعَمَهُ الزَّقُّومُ ومشربَهُ الحميمُ، وأمَّا مَنْ خافَ القيامَ بين يدَي اللهِ عز وجل، وخافَ حُكْمَ اللهِ فيه، ونَهَى نفسَهُ عن هواهَا وردَّهَا إلى طاعةِ مولاهَا فإنَّ مُنقلَبَهُ ومصيرَهُ ومرجِعَهُ إلى الجنَّةِ الفيحاءِ.

٤٢ ٤٣ ٤٤ يسألُكَ يا مُحَمَّدُ كفارُ مكَّةَ عن آخرِ مدَّةِ الدنيا ووقتِ يومِ القيامةِ، فقُلْ: ليسَ علمُ الساعةِ إليَّ ولا إلى أحدٍ مِنَ الخلْقِ، بل مردُّها ومرجِعُهَا إلى اللهِ، هو الذي يعلمُ وقتَها على التَّعيينِ والتَّحديدِ.

٤٥ ثم قالَ اللهُ لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: إنَّما بعثتُكَ يا مُحَمَّدُ لتنذِرَ الناسَ وتحذِّرَهُم مِنْ بأسِ اللهِ وعذابِهِ، فمَنْ خَشِيَ اللهَ وخافَ مقامَهُ ووعيدَهُ اتَّبعَكَ فأفلَحَ وأنجَحَ، والخيبةُ والخَسَارُ على مَنْ كذَّبَكَ وخالَفَكَ.

٤٦ ثم أخبرَ تعالَى أنَّ الناسَ إذا قامُوا مِنْ قبورِهِم وعايَنُوا الآخرةَ كأنَّ وقتَ الدنيا في أعيُنِهم ما بينَ الظهرِ إلى غروبِ الشمسِ، أو ما بينَ طُلوعِ الشمسِ إلى نصفِ النهارِ؛ استقصارًا منهم لمدَّةِ الحياةِ الدنيَا.

سُورَةُ عَبَسَ ... وهي مَكِّيَّةٌ

بينما كانَ رسـولُ اللهِ ﷺ يومًا يخاطِبُ أحدَ عظماءِ قريش إذ أقبـلَ عبـدُ اللهِ ابنُ أمِّ مكتومِ الأعمَى وكان ممَّنْ أسـلمَ قديمًا ، فجعلَ يسـألُ رسـولَ اللهِ ﷺ عن شـيءٍ ويلحُّ عليه ، فعبسَ في وجهِـهِ وأعرَضَ عنه وأقبلَ على الآخرِ طمعًا في هدايتِه ، فأنزلَ اللهُ ﷻ هذهِ الآياتِ .

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ في هـذهِ الآيـاتِ عتابٌ مـن اللهِ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ حينَ أعرضَ عن ابنِ أمِّ مكتومٍ وعبسَ في وجههِ ، وقال له: ومـا يُدْرِيكَ يـا مُحَمَّدُ لعلَّه يُحصِّلُ زكاةً وطهارةً في نفسِـهِ ، أو يحصلُ له اتِّعاظٌ وانزجارٌ عنِ المحارمِ .

﴿٥﴾ - ﴿١٠﴾ ثم أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ ألا يخصَّ بالإنذارِ أحدًا ، بل يسـاوى فيه بينَ الشـريفِ والضعيفِ والفقيرِ والغنيِّ والرجالِ والنساءِ ثمَّ اللهُ يهدِي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ وله الحكمَةُ البالغَـةُ ، وفي هذه الآيـة يقول اللهُ ﷻ : إنك يـا محمدُ تتعرَّضُ للغنـيِّ بمالِـه من عظماءِ المشـركينَ لعلَّـهُ يهتـدِي ، وما أنت بمطالَـبٍ به إذا لم تحصل له زكاة ، وأمَّا مَـنْ يقصدكَ ليهتدِيَ بما تقولُ له فأنتَ عنه تُعْرِضُ وتتشاغَلُ !.

﴿١١﴾ - ﴿١٦﴾ هذه السـورةُ وهذِهِ العظـةُ مكتتبةٌ في الملأ الأعلى في صحـفٍ معظَّمَةٍ عاليةِ القـدرِ ، مطهَّرَةٍ منَ الدَّنَـسِ والزيادةِ والنَّقـصِ ، وهي بأيدِي ملائكةٍ تنزلُ بالوحيِ ، سـفراءَ بينَ اللهِ وبيـنَ خلقِـهِ ، أخلاقُهم كريمةٌ حَسَـنَةٌ وأفعالُهم بـارَّةٌ طاهرةٌ ، وهكذا ينبغِي لحاملِ القرآنِ أنْ يكونَ في أفعالِه وأقوالِه .

وقـد اسـتنبطَ العلماءُ مـنْ هذهِ الآيـةِ : أنَّ المحـدِثَ لا يمسّ المصحَفَ ؛ لأنَّ الملائكةَ يُعظِّمونَ المصاحِفَ المشتملةَ على القرآنِ في الملأ الأعلَـى ، فأهلُ الأرضِ بذلك أولَى وأحرَى ؛ لأنَّـه نزلَ عليهم وخطابُـهُ متوجِّهٌ إليهم ، فهم أحـقُّ أنْ يقابلُوه بالإكرامِ والتَّعظيمِ .

﴿١٧﴾ - ﴿٢٢﴾ يقولُ تعالَى ذامًّا مَنْ أنكرَ البعثَ والنشـورَ من بني آدمَ: لُعِنَ الإنسـانُ المكذِّبُ بالمعادِ ، فأيُّ شـيءٍ جعلَهُ يكفرُ ، وما الذي حَمَلَه على التَّكذيبِ ؟.

ثـم بيَّـنَ اللهُ ﷻ كيـفَ خلقَهُ ، وأنَّه قادرٌ علـى إعادتهِ كما بدأَهُ فقـالَ : خَلَقَ هذا الإنسـانَ مِنْ نُطفَةٍ فقدَّرَ أجلَهُ ورزقَهُ وشـقيٌّ أو سـعيدٌ ، ثم يسَّـرَ عليهِ خروجَهُ منْ بطنِ أمِّهِ ، وبيَّن له طريقَ الخيرِ وأوضحَهُ وسـهَّلَه عليـهِ ، وبعد أنْ يعيـشَ أجلَهُ المقدَّرَ يقبـضُ روحَهُ ويمـوتُ ويجعلُه ذا قـبرٍ ، ثم يبعثُه يـومَ القيامةِ بعـدَ أنْ يبلَى منه كلُّ شـيءٍ إلَّا عجبَ الذنـبِ كما هو ثابتٌ في الصحيحين .

﴿٢٣﴾ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّه لا يبعثُ الإنسانَ الآنَ ، بل حتَّى تنقضِيَ المدَّةُ ويفرغَ القدرُ ممَّنْ كتبَ اللهُ من بنِي آدمَ أن سـيوجَدُ منهم ويخـرجُ إلى الدنيا ، وقـد أمَرَ به تعالَى كونًا وقدرًا ، فإذا تناهى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾

ذلك عندَ اللهِ أنشرَ اللهُ الخلائِقَ وأعادَهم كما بدأَهم .

﴿٢٤﴾ - ﴿٣٢﴾ في هـذهِ الآياتِ امتنانٌ منَ اللهِ ﷻ على عبادِه بتدبيرِ أمْـرِ طعامِهم ، واسـتدلالٌ بإحياءِ النَّباتِ على إحياءِ الأجسـامِ بعـدَ أنْ كانـتْ عظامًـا باليةً ، وذلـك أنَّ اللهَ ﷻ أنـزَلَ الماءَ منَ السماءِ على الأرضِ ، ثم أسكنَه فيها فدَخلَ في تُخومِها وتخلَّلَ في أجـزاءِ الحَـبِّ المودَعِ فيها ، فنبـتَ وارتفعَ وظهرَ على وجهِ الأرضِ، ونبـتَ بِهِ العنبُ والعلَفُ الـذي تأكلُهُ الدَّوابُّ رطبًا، وأنبـتَ بـه زيتونًـا يُعْتَصَـرُ منـه أُدْمٌ ، ويُسـتصبَحُ بـه ويُدَّهَنُ ، ونخلاً يُؤكَلُ منه بلحٌ وتمرٌ ويُعتَصَرُ منه دبسٌ وخلٌّ ، وبسـاتينَ ملتفةً حولَها الأشـجارُ الغلاظُ الطِّوالُ يتفكَّهُ الناسُ بثمارِها، وحشيشًـا تأكُلُـه البهائـمِ والـدوابُّ ؛ منـةً من اللهِ علـى خلقِهِ وعيشةً لهم ولأنعامِهم في هذه الدارِ .

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٧﴾ الصَّاخَّةُ من أسـماءِ يـومِ القيامةِ عظَّمَهُ اللهُ وحذَّرَهُ عبـادَهُ ، وفيـه يفرُّ المرءُ مِنْ أعـزِّ النَّاسِ وأحبِّهـم إليه وأقربِهم منـه : أخيهِ وأمِّهِ وأبيـهِ وزوجَتِه وبنِيهِ ، فحيـنَ يراهُم يفرُّ منهم ويبتعـدُ عنهـم ؛ لأنَّ الهولَ عظيـمٌ والخَطْبَ جليـلٌ ، وهو في شغلٍ شاغلٍ عن غيره .

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٢﴾ في ذلك الموقفِ يكونُ الناسُ فريقينِ : أهلُ الجنَّةِ: ووجوهُهُم يومئذٍ مسـتنيرةٌ فرحةٌ ، قد ظهرَ البِشْـرُ عليها ، بينَما يعلو السَّوادُ ويغشى وجوهَ كفرةِ القلوبِ فجرةِ الأعمالِ .

تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ التَّكوير ... وهي مَكِّيَّةٌ

روى مسلمٌ في صحيحِه أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ بسورةِ التَّكوير في صلاةِ الصبحِ ، وروى الترمذيُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " مَنْ سرَّهُ أنْ ينظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّهُ رأيُ عينٍ فلْيقرَأْ : " إذا الشمسُ كُوِّرَتْ ... " .

١ ٢ ٣ قبلَ يومِ القيامةِ تُلَفُّ الشمسُ ويُجْمَعُ بعضُها إلى بعضٍ فتضمحِلُّ ويذهبُ ضَوْءُها ، وتتغيَّرُ النجومُ وتتساقطُ ، وتزولُ الجبالُ عن أماكنِها فتقعُ على وجهِ الأرضِ ، وتكونُ الأرضُ سطحًا مستويًا لا واديَ فيه ولا جبَلَ ، فتفزَعُ الإنسُ والجنُّ ، وتختلطُ الدَّوابُّ والطيرُ والوحوشُ ، ويموجُ بعضُهم في بعضٍ.

٤ في ذلكَ اليومِ تُعطَّلُ خيارُ الإبلِ ؛ فتُتركُ الحواملُ منها بعدَ أنْ وصلَتْ في حَملِها إلى الشهرِ العاشرِ ، قد شُغلَ الناسُ عنها بعدَ ما كانُوا أرغبَ شيءٍ فيها ، بما دهمَهُم منْ أمرِ القيامةِ وانعقادِ أسبابِها .

٥ ٦ ٧ وفي يومِ القيامةِ تُبعثُ الوحوشُ وتُجْمَعُ ، فتوافي خالقَها فيقضي فيها بمَا يشاءُ ، ويبلُغُ منْ عدلِ اللهِ يومئذٍ أنْ يقتصَّ للجمَّاءِ منَ القرناءِ ، وتُوقَدُ البحارُ فتصيرُ نارًا تتأجَّجُ ، وتُحيطُ بأهلِ الموقفِ .

وفي ذلكَ الموقفِ تُزوَّجُ النُّفوسُ ، فيُجمَعُ كلُّ شيءٍ إلى نظيرِه، ويُجْمَعُ كلُّ رجلٍ معَ كلِّ قومٍ كانُوا يعملونَ عملَه ، ويُقرَنُ الصالحُ مع الصالحِ ، ورَجُلُ السوءِ مع رَجُلِ السوءِ .

٨ ٩ الموءودَةُ هي البِنْتُ التي كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يدفنونَها في الترابِ وهي حيَّةٌ ؛ خشيةَ العارِ ، وفي يومِ القيامةِ تُسأَلُ على أيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ ؟ ليكونَ ذلكَ تهديدًا لقاتِلِها ، فإذا سُئِلَ المظلومُ فما ظَنُّ الظالمِ إذًا ؟! .

١٠ ١١ ١٢ ١٣ في يومِ القيامةِ تُنشَرُ الصُّحُفُ بعدَ أنْ يُعرَضَ الناسُ على ربِّهم ، فيُعطَى كلُّ إنسانٍ صحيفتَه بيمينِهِ أو بشمالِهِ، وتنكشِطُ السماءُ وتذهَبُ ، وتوقَدُ نارُ الجحيمِ وتُسعَّرُ، وتقرَّبُ الجنَّةُ وتُدنَى إلى أهلِها .

١٤ وبعدَ أنْ أقسَمَ اللهُ بهذِهِ الأقسامِ جاءَ بجوابِ القسمِ وهو قولُه : "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ " ، فإذا وقعَتْ هذهِ الأمورُ حينئذٍ تعلمُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ .

١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ثم أقسَمَ اللهُ ﷻ بالنجومِ التي تخنسُ بالنهارِ وتظهرُ بالليلِ ، والتي تجري في فَلَكِها حتَّى في حالِ غيبوبتِها، وأقسَمَ اللهُ بالليلِ وظلامِهِ إذا أقبَلَ ، وبالفجرِ وضيائِهِ إذا أشرَقَ، وبالصبحِ إذا تبيَّنَ وطَلَعَ .

واللهُ ﷻ يقسِمُ بمَا شاءَ مِنْ خلقِهِ ، وقد يؤتَى بـ " لا " قبلَ القسَمِ أحيانًا ؛ لتأكيدِ النَّفيِ في المقسَمِ عليهِ .

١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ثم أشارَ اللهُ ﷻ في جوابِ القسَمِ إلى جبريلَ ﷺ فقالَ: إنَّ هذا القرآنَ لتبليغُ ملَكٍ شريفٍ بهيِّ المَنظَرِ ، شديدِ الخَلْقِ شديدِ البطشِ ، له مكانةٌ ومنزلةٌ رفيعةٌ عندَ اللهِ ﷻ ، وهو مُطَاعٌ في الملأِ الأعلَى ولـه وجاهَةٌ ، ثم وَصَفَهُ بالأمانَةِ ، وهذا عظيمٌ جدًّا أنَّ الرَّبَّ ﷻ يزكِّي رسولَهُ الملكِيَّ كما زكَّى رسولَهُ البشرِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ بقولِهِ : وما صاحِبُكُم بمجنونٍ .

٢٣ ولقد رأى محمَّدٌ ﷺ جبريلَ ﷺ -الذي يأتيهِ بالوحيِ عنِ اللهِ- بالأفقِ البيِّنِ على صورتِهِ التي خلَقَهُ اللهُ عليها لَه ستمائَةِ جناحٍ ، وهذِهِ هي الرؤيةُ الأولَى التي كانَتْ ببطحاءِ مكَّةَ .

٢٤ ٢٥ لَمْ يبخلْ مُحَمَّدٌ ﷺ بما أنزَلَهُ اللهُ إليهِ ، وما ضنَّ بهِ على أحَدٍ ، بل نَشَرَهُ وبلَّغَهُ وبذَلَهُ لكلِّ مَنْ أرادَهُ ، ثم أخبرَ تعالَى أنَّ هذا القرآنَ لا يقدرُ الشيطانُ على حملِهِ ، وليسَ هو مِنْ بُغيتِهِ ؛ لأنَّ مِنْ سجايَاهُ الفسادَ وإضلالَ العبادِ .

٢٦ ٢٧ فأينَ تذهَبُ عقولُكُم أيُّهَا الناسُ في تكذيبِكُم بهذا القرآنِ مع ظهورِهِ ووضوحِهِ وبيانِ كونِهِ جاءَ مِنْ عندِ اللهِ ﷻ؟، فإنَّ هذا القرآنَ ذِكْرٌ لجميعِ الناسِ يتذكَّرونَ بهِ ويتَّعِظُونَ .

٢٨ ٢٩ ثم بيَّنَ اللهُ ﷻ أنَّ مَنْ أرادَ الهدايَةَ فعليهِ بهذا القرآنِ فإنَّهُ منجاةٌ لهُ وهدايةٌ ، ولا هدايَةَ فيما سِواهُ ، ثم أخبرَ تعالَى أنَّ مشيئَةَ الناسِ ليسَتْ موكولةً إليهِم ، فمَنْ شاءَ منهم اهتدَى

سُورةُ الانفطارِ ... وهي مَكِّيَّةٌ

روَى الترمذيُّ وأحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " مَنْ سرَّهُ أنْ يَنظُرَ إلى يومِ القيامةِ كأنَّهُ رأيُ عينٍ فليَقرأْ : "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " و " إِذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ ... " ، وروى النَّسائيُّ حديثًا أصْلُه في الصحيحين أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ لمَّا صلَّى العشاءَ فأطالَ في الناسِ : " أَفتَّانٌ أنت يا معاذُ "، أينَ كنتَ عن " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى " و " إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ " ؟! .

١ - ٥ إذا السماءُ انشقَّتْ وتدلَّتْ أرجاؤُها ووهَتْ أطرافُها، والكواكِبُ هَوَتْ وتساقَطَتْ ، والبحارُ فُجِّرَ بعضُها في بعضٍ واختلَطَ عذبُها بمالِحِها ، وحُرِّكَتِ القبورُ وبُعْثِرَتْ فخرَجَ مَنْ فيها ، فإذا وقعَتْ هذهِ الأمورُ حينئذٍ تعلَمُ كلُّ نفسٍ جميعَ أعمالِها ؛ قديمَها وحديثَها ، صغيرَها وكبيرَها .

٦ ٧ ثم توعَّدَ اللهُ ﷻ ابنَ آدمَ فقال: ما غرَّكَ بربِّكَ الكريمِ ذي العَظَمَةِ حتى أقدَمْتَ على معصيتِهِ وقابلْتَهُ بما لا يليقُ ؟ ، وقد جعلَكَ اللهُ سويًا معتدِلَ القامةِ منتصِبها في أحسَنِ الهيئاتِ والأشكالِ .

وإنَّما أتَى باسمِهِ " الكريم " ؛ لينبِّهَ على أنَّه لا ينبغي أنْ يقابَلَ الكريمُ بالأفعالِ القبيحةِ وأعمالِ السوءِ .

٨ اللهُ تباركَ وتعالَى قادرٌ على خَلْقِ النطفةِ إذا استقرَّتْ في الرَّحِمِ على شكلٍ قبيحٍ منَ الحيواناتِ المنكَرَةِ الخَلْقِ ، ولكنْ بقدرتِهِ ولطفِهِ وحِلْمِهِ خلَقَ الإنسانَ على شكلٍ مستقيمٍ، حَسَنِ المنظرِ والهيئةِ .

٩ ثم قالَ اللهُ ﷻ : ليسَ الأمْرُ كما تزعمونَ بل إنَّما يحمِلُكُم على مواجَهَةِ الكريمِ ومقابلَتِهِ بالمعاصي تكذيبُكم بالمعادِ والجزاءِ والحسابِ .

١٠ ١١ ١٢ يخبرُ اللهُ ﷻ أنَّ على الإنسانِ ملائكةً حَفَظَةً كرامًا ، يحفظونَ بَدَنَ الإنسانِ ويحفظونَ عمَلَهُ ويُحْصُونَ عليه الكلمةَ والحركةَ ، فلا تقابلُوهُم أيُّها الناسُ بالقبائحِ ، فإنَّهم يكتبونَ جميعَ أعمالِكُم .

قالَ الحسَنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ : يا بنَ آدمَ ، وُكِّلَ بك مَلَكانِ كريمانِ ، أحَدُهما عن يمينِكَ يحفَظُ حسناتِكَ ، والآخَرُ عن يسارِكَ يحفَظُ سيئاتِكَ ، فاعملْ ما شئْتَ ، أقْلِلْ أو أكثِرْ ، حتى إذا متَّ طُوِيَتْ صحيفَتُكَ فجُعِلَتْ في عنقِكَ معَكَ في قبرِكَ ، حتى تخرُجَ يومَ القيامةِ كتابًا تلقاهُ منشورًا .

١٣ ١٤ ١٥ ١٦ يخبرُ اللهُ ﷻ عنِ النَّعيمِ الذي يصيرُ إليه الأبرارُ الذين أطاعُوا اللهَ ﷻ ولم يقابِلُوه بالمعاصي ، وعنِ الجحيمِ والعذابِ المقيمِ الذي يصيرُ إليهِ الفُجَّارُ يومَ الحسابِ والجزاءِ، فإنَّهم لا يغيبونَ عنِ العذابِ ساعةً واحدةً ، ولا يخفَّفُ عنهم مِنْ عذابِ الجحيمِ ، ولا يُجَابُونَ إلى ما يَسْألُونَ مِنَ الموتِ أوِ الراحةِ ، ولو كانَ ذلك يومًا واحدًا .



سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

١٧ ١٩ في هذا تعظيمٌ لشأنِ القيامةِ ، فيومُ الدينِ هو يومُ حسابِ الخلائقِ ، حيثُ يدينُهُم اللهُ بأعمالِهِم إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ ، ثم أكَّدَهُ بقولِهِ : " ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ " ؟، ثم فسَّرَهُ بقولِهِ : يومَ لا يقدِرُ أحدٌ على نفعِ أحدٍ ولا خلاصِهِ ممَّا هو فيهِ ؛ لأنَّ الأمْرَ كلَّهُ للهِ ﷻ لا ينازِعُهُ فيه يومئذٍ أحَدٌ .

سورةُ المُطفِّفينَ ... وهي مدنيَّةٌ

١ ٣ روَى النسائيُّ وابنُ ماجه أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قدِمَ المدينةَ كانُوا منْ أخبثِ الناسِ كيلاً فأنْزَلَ اللهُ هذِهِ الآياتِ ، فحَسَّنُوا الكَيلَ بعدَ ذلك .

وقد توعَّدَ اللهُ المطفِّفينَ بالخسارِ والهلاكِ ؛ لبَخْسِهِمُ الناسَ في المكيالِ والميزانِ ، إمَّا بالازديادِ إنِ اقتضَوْا منهم وإمَّا بالنقصانِ إنْ قَضَوْهُم ، وفي ضمنِ هذا أمْرٌ بالوفاءِ في الكَيلِ والوزنِ ، وقد أهلَكَ اللهُ قومَ شعيبٍ ودمَّرَهُم على بخسِهِمُ الناسَ في المكيالِ والميزانِ .

٤ ٥ ٦ ثم قالَ اللهُ تعالَى متوعِّدًا لهم : أمَا يخافُ أولئكَ مِنَ البعثِ والقيامِ بينَ يدَي مَنْ يعلَمُ السرائرَ والضمائرَ ، في يومِ عظيمِ الهولِ ، كثيرِ الفزَعِ ، جليلِ الخَطْبِ ، يقومُ الناسُ فيهِ حفاةً عراةً غُرلاً في موقفٍ صعبٍ حرجٍ ، ضَيِّقٍ ضَنْكٍ على المجرمِ ، ويغشاهُم مِنْ أمْرِ اللهِ ما تعجَزُ القُوَى والحواسُّ عنهُ .

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

(٧) (٨) يقـول الله ﷻ : حقًّـا إنَّ مصيرَ الفجّار ومأواهم تحت الأرض الســابعة ؛ في سـجنٍ مقيم وعذابٍ أليـم ، ولهذا عَظَّمَ أَمْرَهُ فقالَ : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ؟ " ، إذْ هو مكانٌ يجمع بين السُّفولِ والضِّيقِ والضَّنْك .

(٩) ولمَّـا أخبـرَ اللهُ ﷻ أنَّ مصيـرَ هؤلاءِ الفجَّارِ إلى سـجين ، أخبـرَ أنَّ ذلكَ المأوَى مكتوبٌ مرقـومٌ مفروغٌ منه ، لا يُزَادُ فيه أَحَدٌ ولا ينقُصُ منه أَحَدٌ .

(١٠) (١١) (١٢) ثـم توعَّـدَ اللهُ المكذِّبيـنَ بالهـلاكِ والدمارِ إذا صـاروا يـومَ القيامـةِ إلى مـا أوعَدَهم مـنَ السَّـجنِ والعذابِ المهينِ ، فهم لا يُصَدِّقونَ بوقوعِ يومِ القيامةِ ولا يعتقدونَ كونَهُ ويسـتبعدونَ أمْرَه ؛ ولذلك لا يُكـذِّبُ بيومِ الدينِ إلا كلُّ معتدٍ في أفعالِه وأثيمٍ في أقوالِه .

(١٣) إذا سَـمِعَ هذا المعتدِيَ في أفعالِه الأثيمَ في أقوالِه كلامَ اللهِ مِنْ رسـولِه ﷺ كذَّبَ بهِ ، وظنَّ بهِ ظنَّ السـوءِ وأنَّه مجموعٌ من كتبِ الأولينَ .

(١٤) ثـم قـالَ اللهُ تعالَى : ليسَ الأمْرُ كمَـا زعَمُوا ولا كمَا قالوا أنَّ هذا القرآنَ أساطيرُ الأوَّلينَ ، بل هو كلامُ اللهِ ووحْيُهُ وتنزيلُهُ على رسولِهِ ﷺ ، وإنَّما حجبَ قلوبَهُمْ عنِ الإيمانِ به ؛ ما عليها من الرَّيْنِ الذي قد لبسَ قلوبَهُم مِنْ كثرَةِ الذنوبِ والخطَايَا .

(١٥) (١٦) (١٧) ثـم قـالَ اللهُ ﷻ : ليـسَ الأمْـرُ كمَـا زعَمُوا ، بل لهم يومَ القيامةِ منزلٌ في سـجِّينٍ ، ثـم هم يومَ القيامةِ مع ذلك محجوبـونَ عن رؤيةِ ربِّهِمْ وخالِقِهِم ، ثم هم مع هذا الحرمانِ مِـنْ أهلِ النيرانِ ، ثـم يُقَالُ لهم على وجهِ التقريـعِ والتحقيرِ : هذا الذي كنتُم به تكذِّبونَ .

وقد قال الإمامُ الشـافعيُّ : هذِهِ الآيةُ دليلٌ على أنَّ المؤمنينَ يـرونَ اللهَ ﷻ يومئذٍ ، وهـو اسـتدلالٌ بمفهـومِ الآيـةِ في غايةِ الحُسْـنِ وقد دلَّتْ عليهِ الأحاديثُ الصِّحَاحُ المتواترةُ في رؤيةِ المؤمنينَ رَبَّهُمْ في الدارِ الآخرةِ .

(١٨) - (٢١) ثـمَّ لمَّا ذكَـرَ اللهُ تعالَى حالَ الفجّارِ وأنَّهم في ضيقٍ وسُـفُولٍ أخبـرَ عن حالِ الأبـرارِ فقالَ : حقًّـا إنَّ مصيرَ الأبرارِ إلى علِّيينَ ، وهو مأخوذٌ من العُلُوِّ ، وكلَّمَا عَلَا الشـيءُ وارتفعَ عَظُمَ واتَّسَـعَ ، ؛ ولهذا قال مُعظِّمًا أمْرَهُ ومُفخِّمًا شـأنَهُ : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّون » ، ثم قال مؤكِّدًا ما كتبَه لهم : إنَّ كتابَ الأبرارِ مَرْقُومٌ يشهَدُهُ المقرَّبونَ منَ الملائكةِ في السماءِ السابعةِ .

(٢٢) (٢٣) ثـم أخبـرَ تعالَى أنَّ الأبرارَ يـومَ القيامةِ في نعيمٍ مقيمٍ وجنَّـاتٍ فيهـا فَضْـلٌ عَميـمٌ ، وأنَّهم على سُـرُرِهِم وفُرُشِـهِم ينظـرونَ في مُلكِهِـم وما أعطَاهُمُ اللهُ مـنَ الخيرِ والفضلِ الذي لا ينقَضِي ولا يبيدُ ، وأنَّ أعلاهم منزلةً مَنْ ينظُرُ إلى اللهِ ﷻ .

(٢٤) (٢٥) (٢٦) ثـم قـالَ تعالَـى : إذا نظرْتَ إلى هـؤلاءِ الأبرارِ تعـرفُ في وجوهِهِم صفةَ الترافةِ والحشـمةِ والسـرورِ والدَّعةِ والرياسـةِ ممَّـا هم فيهِ مـنَ النَّعيمِ العظيمِ ، وقـد طيَّبَ اللهُ لهم الخَمْرَ في الجنَّةِ يُسْـقَونَ منه ، ويشـربونَ منه شـرابَهُمْ مخلوطًا بمسـكٍ ، وفي مثلِ هذه الحالِ فلْيَتَفَاخَرِ المتفاخرونَ ، ويستبِقْ إلى مثلِهِ المستبقونَ .

(٢٧) (٢٨) ثـم أخبـرَ تعالَى أنَّ هذا الرحيـقَ الموصوفَ يُمْزَجُ بشرابٍ من عينِ تسنيمٍ ، وهو أشرَفُ شرابِ أهلِ الجنَّةِ وأعلاهُ، وعينُ تسـنيمٍ يشـرَبُ منها المقرَّبونَ صِرْفًا من غيرِ مَزْجٍ، بينما هي تُمزَجُ لأصحابِ اليمينِ .

(٢٩) - (٣٢) كانَ المجرمـونَ في الدارِ الدنيَا يسـتهزئونَ بالمؤمنينَ ويحتقرونَهم ، وإذا مرُّوا بهم يتغامَزُونَ عليهم محتقرينَ لهم ، وإذا رَجَعَ هؤلاءِ المجرمونَ إلى منازِلِهم فهم في عيشةٍ هنيَّةٍ؛ يأكلونَ ما شاؤوا ويلبَسُونَ ما أحبُّوا ، وما شكَرُوا نعمةَ اللهِ عليهم .

(٣٣) (٣٤) (٣٥) إذا رأَى هـؤلاءِ المجرمـونَ عبـادَ اللهِ المؤمنينَ قالُوا: إنَّ هؤلاءِ لضالُّونَ ؛ لكونِهِم على غيرِ دينِنا ؛ فلذلكَ قالَ اللهُ ﷻ : ما أُرْسِلَ هؤلاءِ المجرمونَ حافظينَ على المؤمنينَ وما يَصْدُرُ مِنْ أعمالِهِمْ وأقوالِهِمْ ، ولا كلِّفُوا بهم ، فلِمَ اشتغلوا بهم وجعلوهـم نُصبَ أعيُنِهم ؟ ولهـذا أخبرَ تعالَى أنَّ المؤمنينَ في يـومِ القيامةِ يضحكونَ منَ الكافريـنَ في مقابلةِ ضحِكِهِم منهم في الدنيا .

٣٥ ٣٦ ولمَّـا أخبرَ اللهُ تعالَى عن قولِ مَنْ زَعَمَ مِنَ الكافرينَ بـأنَّ المؤمنيـنَ ضَالُّـونَ بيَّـنَ اللهُ ﷻ أنَّ هـؤلاءِ المؤمنينَ على السُّـرِرِ الفاخرةِ ينظرونَ إلى اللهِ، وأنَّهم ليسُـوا بضَالِّينَ بلْ هم أولياءُ اللهِ المقرَّبـونَ، ينظرونَ إلى ربِّهـم في دارِ كرامَتِهِ، فهل جُوزِيَ الكفَّارُ على ما كانُوا يقابلونَ بِهِ المؤمنينَ مِنَ الاستهزاءِ والتنقُّصِ أم لم يُجَازَوا ؟ ؛ بل قد جوزُوا أوفَرَ الجزاءِ وأكْمَلَهُ .

سُورَةُ الانْشِقاق ... وهي مَكّيَّةٌ

جاءَ في سـننِ الترمذيِّ ومُسْـنَدِ أحمدَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " مَنْ سَـرَّه أنْ ينظُرَ إلى يوم القيامةِ كأنَّه رأْيُ عينٍ فلْيَقرَأْ : "إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ " و " إِذَا السَّـمَاءُ انفطَـرَتْ " و " إِذَا السَّـمَاءُ انْشَقَّتْ " .

١ ٢ يخبرُ تعالَى أنَّ السـماءَ تنشَـقُّ وتنفَطِرُ مِنْ شدَّةِ الأمْرِ وهولِ القيامةِ، فتنتشِـرُ نجومُها وتنخسِـفُ شَمْسُـهَا وقمرُها، وحُقَّ للسـماءِ أنْ تسـتَمِعَ لربِّهـا ﷻ وتطيعَهُ فيمـا أمَرَها به مِنَ الانشـقاقِ ؛ لأنَّه العظيمُ الذي لا يُمانَـعُ ولا يُغَالَبُ ، وقهَرَ كلَّ شيءٍ وذلَّ له كلُّ شيءٍ .

٣ ٤ ٥ وفي ذلـك اليـومِ تُبسَـطُ الأرضُ وتُفرَشُ ، وتمدُّ مـدَّ الأديـمِ ويُزَادُ في سَـعَتِهَا ، وتُلقِي ما في بطنِهَـا منَ الأمواتِ وتتخلَّى منهم، وحُقَّ للأرضِ أنْ تطيعَ أمْرَ اللهِ الذي لا يُخالَفُ ولا يُمانَعُ .

٦ يا أيُّها الإنسانِ إنَّك عاملٌ وساعٍ إلى ربِّكَ سعيًا ، وسوفَ تلقـى مـا عملتَ مـن خيـرٍ أو شـرٍّ ، ويُجازيك ربُّـك بعملِكَ ويكافِئُكَ على سعيكَ .

٧ ٨ ٩ مـن النـاسِ مَنْ يُعطَى كتـابَ أعمالِهِ بيدِهِ اليمينِ يومَ القيامةِ ويُحاسَـبُ حساباً سَهْلاً بلا تعسيرٍ ، حيثُ ينظُرُ اللهُ ﷻ في كتـابِ أعمالِـهِ ويتجاوَزُ عنـه ، وقد روَى الإمـامُ أحمدُ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـالَ : " يُعْـرَضُ النـاسُ يـومَ القيامةِ ثلاثَ عرضـاتٍ، فأمَّا عرضتانِ فجـدالٌ ومعاذيرُ وأمَّـا الثالثةُ : فعندَ ذلـكَ تطيـرُ الصُّحُفُ في الأيـدِي فآخِـذٌ بيمينِهِ وآخِذٌ بشـمالِهِ "، فالحِسَـابُ اليسيرُ هو العرْضُ علـى اللهِ تعالَى ، ثم يرجعُ المؤمنُ إلى أهلِهِ في الجنَّةِ فرحانَ مغتبطًا بمَا أعطاهُ ربُّهُ ﷻ .

١٠ ١١ ١٢ ومنَ الناسِ يومئذٍ مَنْ يُعطَى كتابَه بيدِهِ الشـمالِ مِـنْ وراءِ ظهرِهِ ، فتُثنَى يَـدُهُ إلى ورائِهِ ويُعطَى كتابَهُ بها كذلكَ، [فينادِي بالخسارةِ والهلاكِ يقولُ : واثبوراهُ واويلاهُ ، ويَرِدُ نارَ جهنَّمَ فيحترِقُ فيها] .

١٣ ١٤ ١٥ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ عن هذا الشـقيِّ أنَّه كانَ في أهلِهِ فرِحًا لا يفكِّرُ في العواقِبِ ، ولا يخافُ ممَّا أمامَهُ ، فأعقبَهُ ذلكَ الفرحُ اليسيرُ الحُزْنَ الطويلَ ؛ لأنَّه كانَ يعتقدُ أنَّه لا يرجعُ إلَى اللهِ ولا يعيـدُهُ بعدَ موتِهِ ؛ فلذلكَ قالَ اللهُ ﷻ : بلَى سَـيعيدُهُ اللهُ كمَـا بَدَأَهُ ، ويجازيـهِ على أعمالِهِ خيرِها وشـرِّها ، فإنَّه كانَ به

فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦)

سُورَةُ الانْشِقَاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ (٢١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)

عليمًا خبيرًا .

١٦ - ١٩ أقسَـمَ اللهُ ﷻ بالشـفقِ الذي هو بقيةُ ضوءِ الشـمسِ حينَ تأتِي الحُمرَةُ بعدَ غروبِها ، وأقسَـمَ بالليلِ إذا أقبَلَ بظلامِهِ فيذهَبُ حينَئِذٍ كلُّ شـيءٍ إلى مأواهُ ، وأقسَـمَ بالقمَرِ إذا تكامَلَ نورُهُ فصارَ بدْرًا .

وقد يُؤتَى بـ " لا " قبلَ القسَمِ أحيانًا ؛ لتأكيدِ النَّفيِ في المُقْسَمِ عليه ، ثم قالَ اللهُ ﷻ في جوابِ القسَمِ : لتركَبُنَّ أيُّها الناسُ حالاً بعـدَ حالٍ وأمْرًا بعدَ أمْرٍ ؛ مِنْ شـدائِدَ وأحوالٍ وأهوالٍ تلقَوْنَها يومَ القيامةِ .

٢٠ ٢١ ثـم قـالَ اللهُ ﷻ : فمـاذا يمنَـعُ هـؤلاءِ أن يؤمنوا باللهِ ورسـولِهِ واليـومِ الآخـرِ ؟ ، وما لهـم إذا قُرِئَـتْ عليهم آياتُ الرحمنِ وكلامُهُ لا يسجُدُونَ إعظامًا وإكرامًا واحترامًا ؟، وقد جاءَ في صحيحِ البخاريِّ ومسلمٍ أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه قرَأَ في صلاةِ العشـاءِ سورَةَ: "إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ " فسجدَ ، ثم قال : سجدنا خلفَ أبي القاسمِ ﷺ ، فلا أزالُ أسجدُ بها حتى ألقاهُ " .

٢٢ - ٢٥ مِنْ سَـجيَّةِ الكافرينَ التكذيـبُ والعنادُ والمخالَفَةُ للحـقِّ واللهُ أعلَـمُ بمَـا يكتمـونَ في صدورِهِـم ، فأخبِرْهُـم يا مُحَمَّدُ بأنَّ اللهَ قد أعَدَّ لهم عذابًا أليمًا ، ثمَّ استثنى فقالَ : إلَّا الذيـنَ آمنُوا بقلوبِهم وعمِلُوا الصالحاتِ بجوارِحِهم لهم أجْرٌ في الدارِ الآخرةِ غيرُ منقوصٍ ولا مقطوعٍ .

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورةُ البُرُوجِ ... وهيَ مَكّيّةٌ

روَى الإمامُ أحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ "كانَ يقرأُ في الظهرِ والعصرِ بالسماءِ ذاتِ البروجِ والسماءِ والطارقِ".

١ أقسَمَ اللهُ ﷻ بالسماءِ ذاتِ الخَلْقِ الحَسَنِ وما زيَّنَهَا بِهِ مِنَ الكواكبِ والنجومِ العِظَامِ، وما جعلَه فيها من منازلَ وبُروجٍ للشمسِ والقمرِ.

٢ ٣ وأقسَمَ اللهُ ﷻ باليومِ الموعودِ وهو يومُ القيامةِ [الذي وعَدَ فيهِ عبادَهُ فَصْلَ القضاءِ بينَهُم.

وأقسَمَ اللهُ بكلِّ شاهدٍ وبكلِّ مشهودٍ]، فاللهُ ﷻ شاهدٌ، ومُحَمَّدٌ ﷺ شاهدٌ، ويومُ الجمعةِ ويومُ عرفةَ ويومُ القيامةِ أيامٌ مشهودةٌ.

٤ - ٧ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ عن قومٍ منَ الكفَّارِ عَمَدُوا إلى مَنْ عندَهُم منَ المؤمنينَ باللهِ فقهرُوهُم، وأرادُوهُم أنْ يرجعُوا عن دينِهِم فأبَوا عليهِم، فحفرُوا لهم في الأرضِ أُخْدُودًا وأجَّجُوا فيهِ نارًا، وأعَدُّوا لها وقودًا يسعِّرونها به، ثم أرادُوهم فلمْ يقبلُوا منهم فقذفُوهُم فيها، وهذِهِ القصَّةُ كانَتْ في زَمَنِ الفترَةِ التي كانَتْ بينَ عيسى ومُحَمَّدٍ عليهمَا مِنَ اللهِ السَّلامُ، وجاءَ في صحيحِ مسلمٍ قصَّةُ الغلامِ المؤمنِ وأصحابِ الأخدودِ، ويحتَمَلُ أنَّ ذلكَ وقَعَ في العالَمِ كثيرًا.

٨ ٩ وما كانَ لهؤلاءِ الكافرينَ على المؤمنينَ ذَنْبٌ ولا إساءَةٌ إلَّا أنَّهم آمَنُوا باللهِ العزيزِ الذي لا يُضامُ مَنْ لاذَ بجنابِهِ، الحميدِ في جميعِ أفعالِهِ وأقوالِهِ وشرعِهِ وقَدَرِهِ، المالكِ لجميعِ السمواتِ والأرضِ وما فيهمَا وما بينَهُمَا الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ ولا تخفَى عليهِ خافيةٌ، وإنْ كانَ اللهُ قدَّرَ على عبادِهِ هؤلاءِ ما وقعَ بهم بأيدِي الكفَّارِ فهو العزيزُ الحميدُ وإنْ خفِيَ سببُ ذلك على كثيرٍ منَ الناسِ.

١٠ ثم قالَ اللهُ ﷻ: إنَّ الذينَ حرَقُوا المؤمنينَ بالنارِ ثمّ لمْ يُقْلِعُوا عمَّا فعَلُوا ولم يندَمُوا على ما أسلَفُوا فلهُم عذابُ جهنَّمَ ولهم عذابُ الحريقِ؛ وذلكَ أنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، ومعَ هذا فإنَّ اللهَ ﷻ لا يُقَنِّطُ عبدًا من رحمتِهِ وإنْ عَظُمَتْ ذنوبُهُ وكَثُرَتْ؛ ولذلكَ قالَ الحَسَنُ البصريُّ: "انظُرُوا إلى هذا الكرَمِ والجودِ قَتَلُوا أولياءَهُ وهوَ يدعُوهُم إلى التوبةِ والمغفرةِ".

١١ ولمَّا أخبرَ اللهُ ﷻ بمَا أعَدَّ لأعدائِهِ مِنَ الحريقِ والجَحِيمِ أخبرَ أنَّ لعبادِهِ المؤمنينَ جنَّاتٍ تجرِي من تحتِهَا الأنهارُ؛ ولهذا قالَ: "ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ".

١٢ ١٣ ثم قالَ تعالَى: إنَّ بطشَ ربِّكَ وانتقامَهُ مِن أعدائِهِ لشديدٌ عظيمٌ قويٌّ؛ فإنَّه تعالَى ذو القوَّةِ المتينُ، وما شاءَ كانَ كمَا يشاءُ في مثلِ لمحِ البَصَرِ أو هو أقربُ؛ ولهذا أخبرَ أنَّ مِنْ قوَّتِهِ وقدرتِهِ التَّامَّةِ أنَّه يُبدِئُ الخَلْقَ ثم يُعيدُهُ كما بَدَأَهُ بلا مُمَانعٍ ولا مُدَافعٍ.

١٤ ١٥ ١٦ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّه هو الذي يغفِرُ ذَنْبَ مَنْ تابَ إليهِ وخَضَعَ لديهِ، ولو كانَ الذنْبُ من أيِّ شيءٍ كانَ، وهو الحبيبُ ذو المحبَّةِ، صاحِبُ العرشِ المعظَّمُ العالِي على جميعِ الخلائقِ، وهو الممَجَّدُ في ذاتِهِ وصفاتِهِ، وهو الفعَّالُ لما يشاءُ القادِرُ على ما يريدُ، فمهما أرادَ شيئًا فعلَه لا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ، ولا يُسْأَلُ عمَّا يفعَلُ؛ لعظمَتِهِ وقهرِهِ وحكمَتِهِ وعدلِهِ.

والعرشُ أعظَمُ المخلوقاتِ وسقفُها، وهو كالقُبَّةِ ممَّا يلي رؤوسَ الناسِ، وقد جمعَ بينَ العظمةِ في الاتِّساعِ والعلوِّ والحُسنِ الباهرِ، وله قوائِمُ وحَمَلَةٌ مِنَ الملائكةِ يحملُونَهُ.

١٧ ١٨ ولمَّا أخبرَ عن بطشِهِ وانتقامِهِ من أعدائِهِ الذينَ كذَّبُوا رُسُلَهُ؛ قالَ مقرِّرًا لرسولِهِ ﷺ: هل بلَغَكَ يا مُحَمَّدُ ما أحَلَّ اللهُ بفرعَونَ وقومِ ثمودَ مِنَ البأسِ؟، فقد أنزَلَ عليهِم مِنَ النقمةِ ما لم يردَّها عنهم أحدٌ، وإنَّ اللهَ إذا أخذَ الظالمَ أخذَهُ أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ.

١٩ ٢٠ ثم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّ الكافرينَ في شكٍّ ورَيْبٍ وكفرٍ وعنادٍ، واللهُ قادرٌ عليهِم قاهرٌ لهم، لا يفوتونَه ولا يعجِزُونَه.

٢١ ٢٢ ثم أخبرَ تعالَى أنَّ هذا القرآنَ عظيمٌ كريمٌ وأنَّهُ مكتوبٌ مضبوطٌ في لوحٍ في الملأِ الأعلَى؛ محفوظٌ مِنَ الزيادةِ والنقصِ والتحريفِ والتبديلِ، وما من شيءٍ قضاه اللهُ -القرآنُ وما قبلَهُ وما بعدَهُ- إلَّا وهوَ في اللوحِ المحفوظِ.

سورةُ الطَّارقِ ... وهي مكّيّةٌ

روى الإمـامُ أحمـدُ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ: " كان يقـرأُ في الظهرِ والعصرِ بالسماءِ ذاتِ البروجِ والسماءِ والطارقِ ونحوِهما من السورِ " .

(١) (٢) (٣) يقسـمُ اللهُ تعالى بالسـماءِ ذاتِ البهاءِ والجمالِ ومـا جعلَ فيها من الكواكبِ النيِّرةِ ، وما زيَّنها به من الكواكبِ والنجومِ العظامِ ، [وأقسـم ربُّنـا ﷻ بالطَّارقِ الذي يطرقُ ليلاً مـن النجـومِ المضيئةِ ويَخْفَى نهارًا ، ثم قـالَ اللهُ لنبيِّهِ ﷺ : وما أشعرَكَ يـا محمَّدُ ما الطَّـارقُ الذي أقسمْتُ بهِ ؟ ، ثم فسَّرهُ بالنجمِ الذي يتوقَّدُ ضياؤه ويتوهَّجُ ويحرقُ الشياطينَ] .

(٤) (٨) أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّ كلَّ نفسٍ عليها من اللهِ حافظٌ يحرُسُها من الآفاتِ ، ثم نبَّهَ الإنسانَ على ضعْفِ أصلِهِ الذي خُلِقَ منه، فإنَّـهُ خُلِقَ من المنـيِّ ؛ يخرجُ دفقًا من صلـبِ الرجلِ وترائبِ المرأةِ –وهي صدرُها–، فيتولَّدُ منهما الولدُ بإذنِ اللهِ ، واللهُ ﷻ قادرٌ على رجْعِ هذا الإنسـانِ المخلوقِ من مـاءٍ دافقٍ وإعادَتِهِ وبعثِـهِ إلـى الدارِ الآخـرةِ ؛ لأنَّ مَنْ قـدرَ على البـدءِ قدرَ على الإعادةِ، وفي هذا إرشادٌ للخلقِ إلى الاعترافِ بالمعادِ .

(٩) (١٠) وفي يـومِ القيامـةِ تُبلَـى السـرائرُ والمخبَّـآتُ فتظهـرُ وتبدو، ولا يكونُ للإنسانِ في ذلكَ اليومِ من قوَّةٍ في نفسِهِ تنقذُهُ من عذابِ اللهِ ، وليسَ له ناصرٌ منْ خارجِهِ يستطيعُ أنْ ينصرَهُ .

(١١) (١٢) (١٣) (١٤) ثم أقسمَ اللهُ ﷻ بالسماءِ ذاتِ المطرِ النَّازلِ كلَّ عامٍ، وبالأرضِ ذاتِ الانصـداعِ عن النباتِ أنَّ هذا القرآنَ هو قولٌ حقٌّ وحكمٌ عدلٌ ، وما هو بالهزْلِ .

(١٥) (١٦) (١٧) ثـم أخـبرَ اللهُ عـن الكافريـنَ بأنَّهـم يكذبونَ به ويصـدُّونَ عـن سبيلِهِ ، ويمكـرونَ بالنـاسِ في دعوتِهـم إلى خلافِ القـرآنِ، ثم قال : فأنظِرْ هؤلاءِ يا محمَّدُ ولا تسـتعجلْ لهُـم ، أنظِرْهُمْ قليلاً وترى مـاذا أُحلُّ بهم من العذابِ والنكالِ والعقوبةِ والهلاكِ .

سورةُ الأعلَى ... وهي مكّيّةٌ

جاءَ في الصحيحينِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ لمَّا صلَّى العشـاءَ فأطـالَ في النـاسِ : " أفتانٌ أنتَ يـا معاذُ "، هلَّا صليتَ بسبحِ اسمَ ربكَ الأعلَى، والشمسِ وضُحَاها، والليلِ إذا يغشَى، فإنَّه يصلِّـي وراءَكَ الكبيـرُ والضعيفُ وذو الحاجـةِ "، وفي صحيحِ مسـلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأُ بها معَ الغاشـيةِ في العيدينِ ويومَ الجمعةِ، وعند أحمدَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقرأُ بها في الوترِ .

(١) (٢) [يقـولُ اللهُ ﷻ لنبيِّـهِ ﷺ : عظِّمْ ربَّكَ الأعلَى ونزِّهْهُ، فإنَّـه لا ربَّ أعلَى منه و لا أَعْظَمُ]، وهو الـذي خلقَ الخليقةَ وسوَّى كلَّ مخلوقٍ في أحسنِ الهيئاتِ .



سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾

(٣) (٤) (٥) وهـو الذي قـدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبـلَ أنْ يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسـينَ ألفَ سنةٍ وهَدَى الخلائقَ إليه، وهو الذي أخرجَ المرعَى من جميعِ صنوفِ النباتاتِ والزروعِ، فجعلَهُ هشيمًا يابسًا متغيرًا .

(٦) (٨) في هذه الآيةِ إخبارٌ من اللهِ ﷻ ووَعْدٌ منه لنبيِّهِ ﷺ بأنَّه سيُقرِئُهُ قراءَةً لا ينسـاها إلَّا ما شاءَ اللهُ أن ينسِّـيه إيَّاه ،إنَّه يعلمُ ما يجهَرُ به العبادُ وما يخفونَهُ من أقوالِهم وأفعالِهم ، لا يخفَى عليه من ذلك شـيءٌ ، وأنَّه سيسهِّلُ عليه أفعالَ الخيرِ وأقوالَه ، ويشرعُ له شرعًا سهلاً سمحًا مستقيمًا لا حَرَجَ فيه ولا عُسْرَ .

(٩) (١٠) ذكِّرْ يا محمَّدُ حيثُ تنفعُ التذكرةُ، فسـيتَّعظُ بما تبلِّغهُ مَـن قلبُهُ يخشَـى اللهَ ويعلَمُ أنَّـه ملاقِيه، ومن هـذهِ الآيةِ يؤخَذُ الأدبُ في نشرِ العلمِ ، فلا يضعُهُ عند غيرِ أهلِهِ .

(١١) (١٣) ثم أخبرَ اللهُ تعالَى أنَّ الأشـقَى سـيتجنَّبُ الذكرَى ، وهـو الذي يَرِدُ نارَ جهنَّمَ الكبرَى ، ثم لا يموتُ فيسـتريحُ ولا يحيَا فيها حياةً تنفعُهُ، بل هي مضرَّةٌ عليه؛ لأنَّه بسببِهَا يشعرُ بما يُعاقَبُ به من أليمِ العذابِ وأنواعِ النَّكالِ .

(١٤) (١٥) يقولُ اللهُ ﷻ : قد أفلحَ مَنْ طهَّرَ نفسَه من الأخلاقِ الرَّذيلَةِ وتابعَ ما أنزلَ اللهُ على رسـولِهِ ﷺ ، وذَكَرَ اسـمَ ربِّهِ فأقامَ الصلاةَ في أوقاتِها ؛ ابتغاءَ رضوانِ اللهِ وطاعةً لأمرِهِ وامتثالاً لشرعِهِ .

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾

١٦ ١٧ ثـم قـال اللهُ تعالَـى : بل إنَّكـم أيُّها النـاسُ تقدِّمونَ الحيـاةَ الدنيا على أمْـرِ الآخرةِ ، وتبدونَها على مـا فيه نفعُكم وصلاحُكم في معاشِكم ومعادِكم ، وثوابُ اللهِ في الدارِ الآخرةِ خيـرٌ من الدنيـا وأبقى ، فإنَّ الدنيـا دنيَّةٌ فانيةٌ والآخرةُ شـريفةٌ باقيةٌ ، فكيف يؤثِـرُ عاقلٌ ما يفنَى على ما يبقَى ويهتمُّ بما يزولُ عنه قريبًا ، ويتركُ الاهتمامَ بدارِ البقاءِ والخلْدِ ؟! ، وقد جاءَ في الدعـاءِ المأثورِ : « اللهم لا تجعلِ الدنيـا أكبرَ همِّنا ، ولا مبلغَ عِلمِنا » .

١٨ ١٩ ثـم أخبـرَ اللهُ ﷻ أنَّ مضمونَ هذا الـكلامِ في صحفِ إبراهيـمَ وموسَـى ؛ إشـارةٌ إلى قولِـه : " قَدْ أَفْلَحَ مَـنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْـمَ رَبِّـهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " .

سورةُ الغاشيةِ .. وهي مكّيّةٌ

ثبتَ في صحيحِ مسـلمٍ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ كان يقرأُ في العيدينِ وفي الجمعةِ بالأعلَى والغاشـيةِ ، وإذا اجتمعَ العيدُ والجمعةُ في يومٍ واحدٍ يقرأُ بهمَا أيضًا في الصلاتينِ ، وفي موطَّأ الإمامِ مالكٍ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ كان يقرأُ في صلاةِ الجمعةِ مع سورةِ الجمعةِ " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ " .

١ [يقـولُ اللهُ ﷻ لنبيِّه ﷺ : هل أتـاكَ يا محمَّدُ خبرُ القيامةِ وقصَّتُهـا ؟] ، وقـد سُـمِّيَتْ بالغاشـيةِ ؛ لأنَّهـا تغشَـى النـاسَ وتَعُمُّهُم .

٢ - ٧ وجوهٌ في ذلكَ اليومِ ذليلةٌ ؛ قد عملَتْ في الدنيا عملاً كثيرًا وتعبَتْ فيه ، وتصلَى نارًا شـديدةَ الحرِّ ، قد انتهَى حَرُّها وغَلَيَانُها ، وليسَ لهم فيها إلَّا شـرُّ الطعامِ وأبشَـعُه وأخبثُه ؛ لا يحصلُ به مقصودٌ ، ولا يندفعُ به محذورٌ .

٨ - ١١ ولمَّا ذكرَ اللهُ ﷻ حالَ الأشـقياءِ ثنَّى بذكرِ السـعداءِ فقال : وجوهٌ يومَ القيامـةِ ناعمةٌ يُعرفُ النَّعيمُ فيها ، قد رضِيتْ عملَها من طاعـةِ ربِّها ، وحصلَ لهـا النَّعيمُ بسـعيِها ؛ في جنَّةٍ رفيعةٍ بهيَّةٍ لا تسمعُ فيها كلمةَ لغوٍ ، وليسَ فيها كلامٌ عبثٌ خالٍ من المعنَى .

١٢ ١٣ في الجنَّةِ عيونٌ جاريةٌ تفجَّرُ من تحتِ جبالِ المسكِ ، وفيها سُـرُرٌ عاليةٌ ناعمةٌ كثيرةُ الفُرُشِ ، مرتفعةُ السَّمْكِ ، عليها الحـورُ العينُ ، [يرَى المؤمـنُ إذا جلَسَ عليها جميعَ ما خوَّلَه ربُّه منَ النَّعيمِ] .

١٤ ١٥ ١٦ وفي الجنَّـةِ أواني الشـربِ مُعـدَّةٌ لمَنْ أرادَها من أربابِهـا ، [علـى حافَّـةِ العيـنِ الجاريـةِ ، كلَّما أرادوا الشـربَ وجدُوها ملأَى] ، وفيها وسائدُ مصفوفةٌ وبُسُطٌ مفروشةٌ هاهنا وهاهنا ؛ لمَنْ أرادَ الجلوسَ عليها .

١٧ قـولُ اللهُ تعالَى آمرًا عبادَه بالنظـرِ في مخلوقاتِه الدَّالَّةِ على قدرتِـه وعظمتِه : أفلا ينظرونَ إلى الإبـلِ كيفَ خُلقَتْ ؟ فإنَّها خَلْـقٌ عجيبٌ وتركيبُها غريـبٌ ، وهي في غايةِ القوَّةِ والشِّـدَّةِ ، ومـع ذلـكَ تلينُ للحِمْلِ الثقيـلِ ، وتنقـادُ للقائـدِ الضعيفِ ، وتُؤْكَلُ ، ويُنْتَفَعُ بوبرِها ، ويُشْرَبُ لبَنُها .

١٨ ١٩ ٢٠ أفـلا ينظرُ العبادُ إلى السـماءِ كيفَ رفعَها اللهُ ﷻ هذا الرَّفْعَ العظيمَ ، وجعلَ الجبالَ منصوبةً قائمةً ثابتةً راسـيةً ؛ لئـلَّا تميـدَ الأرضُ بأهلِها ، وجعـلَ فيها ما جعلَ مـنَ المنافعِ والمعادنِ ، وكيفَ بسطَ الأرضَ ومدَّها ومهَّدَهَا ، فنبَّهَ البدويَّ إلى الاسـتدلالِ بما يشـاهدُه من بعيرِه الذي هـو راكبٌ عليهِ ، والسـماءِ التي فوقَ رأسِـهِ ، والجبلِ الذي تُجَاهَـهُ ، والأرضِ التـي تحتَه على قدرةِ خالقِ ذلـكَ وصانعِه ، وأنَّهُ الرَّبُّ العظيمُ الخالقُ المتصرِّفُ ، الذي لا يستحقُّ العبادةَ سواهُ .

٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ثـم قـالَ اللهُ ﷻ : فذكِّرْ يـا محمَّدُ الناسَ بما أُرْسِلْتَ به إليهم ، فإنَّما عليكَ البلاغُ وعلينا الحسابُ ، ولستَ تخلُقُ الإيمـانَ في قلوبِهم ، ولا بالذي تُكرِهُهُم على الإيمانِ ، لكنَّ مَنْ تولَّى عن العملِ بأركانِه وكفرَ بالحقِّ بجنانِه ولسـانِه [يعذِّبُه اللهُ على كفرِه في الدنيا عذابَ جهنَّمَ في الآخرةِ] .

٢٥ ٢٦ ثـم قالَ اللهُ ﷻ : إنَّ إلينـا مرجِعَهم ومُنقلبَهُم ثم نحن نحاسِـبُهم على أعمالِهم ونجازِيهم بهـا ؛ إنْ خيرًا فخيرٌ ، وإنْ شرًّا فشرٌّ .

سورةُ الفجرِ .. وهي مكيّةٌ

(١) (٢) (٣) (٤) أقسمَ اللهُ ﷻ بالصبحِ وضيائِه إذا أسفرَ ، وبعشرِ ذي الحجَّةِ التي هي أحبُّ الأيامِ إلَى اللهِ ، وأقسمَ بالشفعِ الذي هو يومُ النحرِ ؛ لكونِه العاشرَ ، وبالوترِ الذي هو يومُ عرفةَ ؛ لكونِه التاسعَ ، وأقسمَ تعالَى بالليلِ إذا أقبلَ بظلامِهِ .

وهذا الإقسامُ بأوقاتِ العبادةِ، وبنفسِ العبادةِ من حجٍ وصلاةٍ وغيرِ ذلكَ من أنواعِ القُربِ التي يتقرَّبُ بها إليهِ عبادُهُ المتَّقونَ المطيعونَ له الخاشعونَ لوجهِهِ الكريمِ .

(٥) [إنَّ في هذا القَسَمِ مكتفى لمَنْ عَقَلَ عن ربِّهِ ، فهل فيما أقسَمَ به من هذهِ الأمورِ مقنعٌ لذي عقلٍ ولبٍّ ودينٍ ؟ ؛] وإنَّما سُمِّيَ العقلُ حِجرًا لأنَّه يمنعُ الإنسانَ من تعاطِي ما لا يليقُ به منَ الأفعالِ والأقوالِ .

(٦) (٧) (٨) ثم أخبرَ تعالَى كيف أهلكَ قومَ عادٍ الذين بُعِثَ فيهم نبيُّ اللهِ هودٌ ، وقد كانوا متمرِّدينَ عُتاةً جبَّارينَ ، خارجينَ عن طاعتِهِ مكذبينَ لرسلِهِ جاحدينَ لكتبِهِ ، فدمَّرَهُم وجعلَهم أحاديثَ وعِبرًا .

وقد كانت مساكنُ قبيلةِ إرَمَ في جبالِ الرملِ ، قريبةً من حضرموتَ ، ويسكنونَ بيوتَ الشَّعرِ التي تُرْفَعُ بالأعمدةِ الشِّدادِ ، وكانوا أشدَّ الناسِ في زمانِهم خِلْقَةً وأقواهُم بطشًا ، ولم يُخْلَقْ مثلُ خِلْقَتِهِم في بلادِهم ؛ لقوَّتِهم وعِظَمِ تركيبِهِم ، فلمَّا كذَّبوا نبيَّهم وخالفُوهُ أنْجاه اللهُ ومَنْ معه ، وأهلَكَهم بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ، وقد ذكرَ اللهُ قصَّتَهم في القرآنِ في غيرِ موضعٍ ليعتبِرَ بمصرعِهم المؤمنونَ .

(٩) ثم أخبرَ اللهُ ﷻ عن قومِ ثمودَ الذين بُعِثَ فيهم نبيُّ اللهِ صالحٌ عليه السلام ، فقد كانوا يتخذونَ البيوتَ المنحوتةَ في الجبالِ أشرًا وبطرًا وعبثًا ، وكانوا حاذقِينَ متقنينَ لنحتِها ونقشِها ، كما هو المُشَاهَدُ من حالِهم لمَنْ رأى منازِلَهم ، وقد كانت مساكنُهم فيما بينَ الحجازِ والشامِ ، في مدائنِ الحِجرِ بين تبوكَ والمدينةِ .

(١٠) (١١) (١٢) (١٣) ثم أخبرَ اللهُ ﷻ عن فرعونَ ذي الجنودِ الذينَ يشدُّونَ له أمْرَهُ ، وهو ملكُ ديارِ مصرَ على أمَّةِ القِبْطِ ، فتمرَّدَ هو وجنودُه وعاثُوا في الأرضِ بالإفسادِ والأذيَّةِ للناسِ ، فأنزلَ اللهُ عليهم رجزًا من السماءِ ، وأحلَّ بهم عقوبةً لا يردُّها عن القومِ المجرمينَ .

(١٤) إنَّ ربَّكَ يسمعُ ويرَى ويرصُدُ خلْقَهُ فيما يعملونَ ، ويجازِي كُلًّا بسعيِه في الدنيا والأخرَى ، وسيُعْرَضُ الخلائِقُ كُلُّهم عليه ، فيحكُمُ فيهم بعدلِه ، ويقابِلُ كُلًّا بما يستحقُّهُ ، وهو المنزَّهُ عن الظلمِ والجَوْرِ .

(١٥) (١٦) يقولُ تعالَى منكرًا على الإنسانِ إذا وسَّعَ عليه في الرِّزقِ ؛ أن يعتقدَ أنَّ ذلكَ من اللهِ إكرامٌ له ، وكذلكَ في الجانبِ الآخرِ إذا ضيَّقَ عليه في الرِّزقِ ؛ اعتقدَ أنَّ ذلكَ منَ اللهِ إهانةٌ له .

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

(١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) ثم أخبرَ تعالَى أنَّ الأمرَ ليسَ كما زَعَمَ ، لا في هذا ولا في هذا، بل هو ابتلاءٌ وامتحانٌ يختبرُهُ فيه ، فإنَّ اللهَ يعطِي المالَ مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ ، ويضيِّقُ على مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ، والمدارُ في ذلك على طاعةِ اللهِ في كلٍ من الحالينِ ، إذا كانَ غنيًا بأنْ يشكرَ اللهَ على ذلك وإذا كانَ فقيرًا بأنْ يصبرَ .

[ثم أخبرَ تعالَى أنَّه إنَّما أهانَ مَنْ أهانَ مِنْ أجلِ أنَّه لا يكرِمُ اليتيمَ] ، ولا يأمُرُ بالإحسانِ إلى الفقراءِ والمساكينِ ، ويأكُلُ الميراثَ منْ أيِّ جهةٍ حصلَتْ ؛ منْ حلالٍ أو حرامٍ ، ويُحِبُّ جمعَ المالِ حبًّا كثيرًا .

(٢١) (٢٢) (٢٣) يخبرُ تعالَى عمَّا يقعُ يومَ القيامةِ منَ الأهوالِ العظيمةِ إذا مُهِّدَتِ الأرضُ وسُوِّيَتِ الجبالُ ، وقامَ الخلائقُ من قبورِهم لربِّهم ، فيستشفعونَ بسيِّدِ ولدِ آدمَ مُحمَّدٍ ﷺ في أنْ يأتيَ اللهُ ﷻ لفصلِ القضاءِ ، فيذهبُ فيشفعُ عندَ اللهِ فيشفِّعُهُ اللهُ في ذلكَ، فيجيءُ الرَّبُّ تعالَى لفصلِ القضاءِ كما يشاءُ ، والملائكةُ يجيئونَ بينَ يديهِ صفوفًا صفوفًا ، وقد روَى مسلمٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: " يُؤْتَى بجهنَّمَ يومَئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ ، معَ كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرُّونَها " ، في ذلكَ اليومِ يتذكَّرُ الإنسانُ عملَهُ وما كان أسلَفَهُ في قديمِ دهرِهِ وحديثِهِ ، وحينئذٍ لا تنفعُه الذِّكرَى ؟ .

وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

(٢٤) في هـذهِ الآيةِ يخبرُ تعالَى [عنْ تلهُّفِ ابن آدمَ يومَ القيامةِ، وتندُّمِـه علـى تفريطِهِ في الصَّالحـاتِ منَ الأعمـالِ التي تورثُه نعيمًـا لا انقطـاعَ لهُ حيـثُ يقولُ : يـا ليتنِي قدَّمـتُ من صالحِ الأعمـالِ لحياتِي التي لا موتَ بعدَها ما ينجِّينِي من غضبِ اللهِ ويوجبُ لِي رضوانَه]، قال محمَّدُ بنُ أبي عميرةَ رضي الله عنه: " لو أنَّ عبدًا خرَّ علـى وجهِهِ من يوم وُلِدَ إلى أنْ يموتَ هرمًا في طاعةِ اللهِ، لحقرَ عملَه يومَ القيامةِ، ولودَّ أنَّه يُرَدُّ إلى الدنيا كيمَا يزدادَ من الأجرِ والثَّوابِ " .

(٢٥) (٢٦) ثم قالَ اللهُ تعالَى في حقِّ المجرمينَ والظالمينَ : ليسَ أحدٌ أشـدَّ عذابًا يومَ القيامةِ من تعذيبِ اللهِ لمَنْ عصاه ، وليس أحدٌ أشدَّ قبضًا ووثقًا من الزبانيةِ لمَنْ كَفَرَ بربِّهِمْ عز وجل .

(٢٧) (٢٨) ثـم ذكرَ اللهُ ما تبشِّـرُ به الملائكةُ النفـوسَ الزكيَّةَ عند الاحتضارِ ، وحين يقومُ المؤمنُ من قبره يومَ القيامةِ فتقولُ له : يا أيَّتُها النَّفْسُ المطمئنَّةُ ارجعِي إلى جوارِ ربِّكِ وثوابِه وما أعدَّ لعبادِهِ في جنَّتِه ، وقد رضيَتْ عنِ اللهِ ورضِي عنها وأرضَاها .

(٢٩) (٣٠) ثم يُقَالُ لهذِه النفسِ الساكنةِ الثابتةِ الدائرةِ مع الحقِّ: ادخلِـي أيَّتُهـا النفـسُ المطمئنَّةُ في جملـةِ عبـادي الصالحينَ وادخلِي جنَّتي .

" اللهمَّ إنِّي أسألُكَ نفسًا بكَ مطمئنَّةً، تؤمنُ بلقائكَ، وترضى بقضائِكَ، وتقنعُ بعطائِكَ " .

سورةُ البلدِ .. وهيَ مكِّيَّةٌ

(١) (٢) هذا قَسَمٌ منَ اللهِ بمكَّةَ أمِّ القرَى في حالِ كونِ الساكنِ فيها حلالاً ؛ ليُنبِّهَ على عظمةِ قدرِها في حالِ إحرامِ أهلِها ، وقد روَى البخاريُّ ومسـلمٌ أنَّ رسـولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّ هذا البلدَ حرَّمَه اللهُ يومَ خَلَقَ السـمواتِ والأرضَ، فهو حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلـى يـومِ القيامـةِ، لا يُعْضَدُ شـجَرُهُ ولا يُختلَى خَـلاَه ، وإنَّما أُحلَّتْ لي سـاعةٌ منْ نهارٍ، وقد عـادَتْ حرمتُها اليومَ كحرمتِها بالأمـسِ، ألا فليبلِّغِ الشـاهدُ الغائبَ " ، وفي لفـظٍ آخرَ : " فإنْ أحَدٌ ترخَّصَ بقتالِ رسـولِ اللهِ فقولوا: إنَّ اللهَ أذِنَ لرسولِهِ ولمْ يأذنْ لكُم " .

(٣) ولمَّا أقسَـمَ اللهُ عز وجل بأمِّ القرَى وهي أمُّ المساكنِ أقسَمَ بعدَه بالساكنِ ، وهو آدمُ أبو البشرِ وولَدُه .

(٤) ثـم أخـبرَ تعالَى جوابًا للقسَـمِ أنَّـه خلَقَ الإنسـانَ مكابدًا مضايـقَ الدنيـا وشـدائِدَ الآخرةِ ، فهـو في الدنيا يتكبَّدُ مشـاقَّ الخلقِ في مولدِه ونباتِ أسنانِه ورضاعِه ، وفي معيشتِه وفي أمورِ دنياه ، وكذلكَ هو في أمورِ الآخرةِ وشدائدِها ومشاقِّها .

(٥) (٦) (٧) يحسـبُ ابنُ آدمَ [أن لن يقهرَه أحدٌ ولن يغلبَهُ] ، ويظنُّ أنْ لنْ يسـألَه اللهُ عن هذا المالِ الكثيرِ منْ أينَ اكتسَـبَه وفيمَ أنفقَهُ؟ ، ويحسَبُ أنَّ اللهَ عز وجل لم يرَهُ حين أخَذَهُ وأنفقَه .

(٨) (٩) (١٠) ثـم قـالَ : ألَمْ نجعلْ لابنِ آدمَ عينينِ يبصرُ بهما، ولسـانًا ينطقُ به فيُعبِّرُ عمَّا في ضميره ، وشـفتينِ يسـتعينُ بهما علـى الـكلامِ وأكلِ الطعامِ ، وجمـالاً لوجهِهِ وفمِـهِ ، وبيَّنَّا له طريقَ الخيرِ وطريقَ الشَّرِّ ؟ .

(١١) - (١٦) ثـم أخـبرَ تعالَى عن اقتحامِ عقبَـةِ جهنَّمَ ، وأنَّ على ابنِ آدمَ أنْ يسلكَ الطريقَ التي فيها النجاةُ والخيرُ ، ثم بيَّن ذلك أنَّه بعتقِ الرقبَةِ المسلمَةِ، وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : " منْ أعتقَ رقبةً مسـلمةً، أعتقَ اللهُ بكلِّ عضوٍ منه عضوًا منَ النارِ " ، ويكونُ اقتحامُ العقبةِ بإطعامِ يتيمٍ ذي قرابةٍ، أو فقيـرٍ مدقعٍ في يـومٍ ذي مجاعةٍ ، وهو المطـروحُ في الطريقِ الذي لا بيتَ له ، ولا شيءَ يقيهِ منَ الترابِ .

(١٧) (١٨) ثـم أخـبرَ تعالَـى أنَّـه مع هـذه الأوصـافِ الجميلةِ الطاهرَةِ مؤمنٌ بقلبِه ، محتسـبٌ ثوابَ ذلك عندَ اللهِ عز وجل ، ومن المتواصِيـنَ بالصـبرِ علـى أذَى النـاسِ ، وعلـى الرحمةِ بهم، ثـم أخبرَ تعالَـى أنَّ هـؤلاءِ المتَّصِفينَ بهذهِ الصفـاتِ هم من أصحابِ اليمينِ .

(١٩) (٢٠) ثـم أخـبرَ اللهُ عز وجل أنَّ لأصحابِ الشـمالِ نـارًا مطبقةً عليهم ، لا محيدَ لهم عنها ، ولا خروجَ لهم منها آخرَ الأبدِ .

سورةُ الشمسِ .. وهيَ مكّيّةٌ

جاءَ في صحيحِ البخاريِّ ومسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لمعاذِ ابنِ جبلٍ رضي الله عنه لمّا صلّى العشاءَ فأطالَ في الناسِ : " أَفَتّانٌ أنتَ يا معاذُ؟ ، هلّا صلّيتَ بسبّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلَى، والشمسِ وضحاها، والليلِ إذا يغشَى، فإنّه يصلّي وراءَكَ الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجةِ » .

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ يقسِمُ اللهُ عز وجل بالشّمسِ وضوئِها ، وبالقمرِ إذا تبعَها في النصفِ الأولِ منَ الشهرِ ، وبالنهارِ إذا جلَّى الظلمةَ عنِ الأرضِ ، وبالليلِ حينَ يغشَى الخليقةَ بعدَ أنْ تغيبَ الشمسُ ، فتُظلِمَ الآفاقُ .

﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ويقسِمُ اللهُ عز وجل بالسماءِ ومَنْ بناها ، وبالأرضِ ومَنْ بسَطَها ، وبالنفسِ ومَنْ خلقَها سويَّةً مستقيمةً على الفطرةِ القويمةِ ، فبيَّن لها الخيرَ والشرَ ، وهداها إلى ما قُدِّرَ لها .

﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ قد أفلحَ مَنْ زكّى نفسَهُ بالطاعةِ ، وطهَّرَها منَ الأخلاقِ الدنيئةِ والرذائلِ ، وقد خابَ مَنْ أغوى نفسَهُ وأضلَّها ، فركبَ المعاصِي وتركَ طاعةَ اللهِ عز وجل .

﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ يخبرُ تعالَى عن قبيلةِ ثمودَ ، وهم عربٌ سكنُوا مدينةَ الحجرِ ؛ بينَ المدينةِ وتبوكَ ، فكذَّبوا رسولَهم بسببِ ما كانوا عليه منَ الطغيانِ والبغيِ ، وكانَ قُدارُ بنُ سالفٍ رجلاً عزيزًا مُطاعًا فيهم ، فثارَ وباشَرَ عَقْرَ الناقةِ بيدِه ، فكانَ هو أشقَى القبيلةِ .

﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ يخبرُ اللهُ عز وجل أنَّ نبيَّ اللهِ صالحًا عليه السلام قالَ لقومِه : احذرُوا ناقةَ اللهِ أنْ تمسُّوها بسوءٍ ، لا تعتدُوا عليها في سُقيَاهَا ، فإنَّ لها شربَ يومٍ ولكم شربُ يومٍ معلومٍ ، فكذَّبُوه فيما جاءَهم به ، وعقرُوا الناقةَ التي أخرجَها اللهُ منَ الصخرةِ آيةً لهم وحُجَّةً عليهم ، فغضبَ اللهُ عز وجل عليهم فدمَّرَهم ، وأنزلَ العقوبةَ بهم على السواءِ ، ولا يخافُ اللهُ تبعةَ أحدٍ منْ خلْقِه .

وقد أُسْنِدَ عَقْرُ الناقةِ إلى مجموعِ القبيلةِ ؛ وذلك أنَّ أُحيمرَ ثمودَ قدارَ بنَ سالفٍ طافَ عليهمْ كلِّهم فبايعُوه على قتلِها، فدلَّ على رِضَا جميعِهم بذلك ، فعاقبَهُم اللهُ على كفرِهم به وتكذيبِهم رسولَه ، فأخمَدَهم فكانوا كالزرعِ حينَ ييبَسُ ويحترقُ وتنسفُه الريحُ ، وبادُوا عن آخرِهم لم تبقَ منهم باقيةٌ .

سورةُ الليلِ .. وهي مكّيّةٌ

﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ أقسَمَ اللهُ تعالَى بالليلِ إذا أقبلَ وغشِيَ الخليقةَ بظلامِه، وبالنهارِ إذا ظهرَ بضيائِه وإشراقِه ، وأقسَمَ تعالَى بخلقِه الذكرَ والأنثَى ؛ [وإنّما أقسَمَ اللهُ بهذه الأشياءِ لعظَمِ شأنِها عندَه]، ولمّا كانَ القسَمُ بها متضادًا كانَ القسَمُ عليهِ أيضًا متضادًا ؛ ولهذا قالَ تعالَى : " إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى " ، وذلك أنَّ أعمالَ العبادِ التي اكتسبُوها متضادةٌ ومتخالفةٌ أيضًا، فمنهم فاعلُ خيرٍ ، ومنهم فاعلُ شرٍّ .



وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ فأمّا مَنْ أعطَى ما أُمِرَ بإخراجِه ، واتَّقَى اللهَ في أمورِه، وصدَّقَ بالمجازاةِ والخلَفِ منَ اللهِ ، فسنيسِّرُه لطريقِ الخيرِ [وسنهيِّئُه للعملِ بما يرضاه اللهُ منه في الدنيا ، ليُوجِبَ له في الآخرةِ الجنَّةَ] .

﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ وأمّا مَن بخلَ بما عندَه واستغنَى عن ربِّه، وكذَّبَ بالجزاءِ في الدارِ الآخرةِ فسنُيسِّرُهُ لطريقِ الشرِّ [وسنهيِّئُهُ للعملِ بما يكرَهُهُ اللهُ ولا يرضاه] ، وما يغنِي عنه مالُه إذا تردَّى في نارِ جهنَّمَ ، وإنَّ من ثوابِ الحسنةِ الحسنةَ بعدَها ومن جزاءِ السيِّئةِ السيئةَ بعدها واللهُ عز وجل يجازِي مَنْ قصَدَ الخيرَ بالتوفيقِ ، ومن قصَدَ الشرَّ بالخذلانِ ، وكلُّ ذلك بقدرٍ مقدَّرٍ .

﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ثم أخبرَ تعالَى أنَّ مَنْ سلكَ طريقَ الهدَى وصَلَ إلى اللهِ ، وقد أجرَى اللهُ الكريمُ عادتَه بأنَّ من قصَدَ الخيرَ وُفِّقَ له ويسَّرَهُ عليهِ ، ومَنْ نَوَى صالحًا ثبتَ عليه ، والدنيا والآخرةُ مُلْكُ اللهِ عز وجل وهو المتصرِّفُ فيهما ، فأنذرتُكم أيُّها الناسُ نارًا تتوهَّجُ ، وهي نارُ جهنَّمَ ، وقد روَى أحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يخطبُ ويقولُ : " أنذرتُكمُ النارَ ، أنذرتُكمُ النارَ ، أنذرتُكمُ النارَ] ، وروَى البخاريُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامةِ رجلٌ تُوضَعُ في أخمصِ قدميهِ جمرتانِ يغلِي منهما دماغُه " .



فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

(١٥) (١٦) يخبرُ اللهُ تعالَى أنَّ نارَ جهنَّمَ لا يدخُلها إلَّا الأشـقى، فتحيطُ به النارُ من جميعِ جوانبِه ؛ لأنَّه كذَّبَ بقلبِه ، وتولَّى عن العملِ بجوارحِه وأركانِه .

(١٧) (١٨) ثـم أخبرَ تعالَى أنَّه سـيُزَحزِحُ عن النـارِ التَّقيَّ النقيَّ الـذي يصرفُ مالَه في طاعةِ ربِّه ؛ ليزكِّيَ نفسَـهُ ومالَه وما وَهَبَهُ اللهُ من دينٍ ودنيا .

(١٩) (٢٠) (٢١) ثـم بيَّـنَ اللهُ ﷻ أنَّ هـذا التقيَّ لا يبـذُلُ مالَه في مكافأةِ من أسـدَى إليهِ معروفًـا ، فهو يعطِـي في مقابلِ ذلكَ ؛ وإنَّما يبذلُ مالَه طمعًا في أنْ يحصلَ له رؤيتُه في الدارِ الآخرةِ في روضاتِ الجنَّاتِ ، ولسوفَ يرضَى مَنِ اتَّصفَ بهذِه الصفاتِ .

وقـد ذكـرَ غيرُ واحدٍ مِـنَ المفسـرينَ أنَّ هذهِ الآيـاتِ نزلَتْ في أبِي بكـرٍ الصديقِ ﷺ، وقد كان تقيًا جـوادًا بذَّالاً لأموالِه في طاعةِ مولاه ونصرةِ رسولِ اللهِ ﷺ .

سورةُ الضُّحى .. وهي مكيَّةٌ

(١) (٢) (٣) روَى البخـاريُّ ومسـلمٌ أنَّ جبريـلَ أبطـأَ علـى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ المشركونَ : ودَّعَ محمَّدًا ربُّه ، فنزلَتْ هذهِ الآياتُ، وفيها يقسِـمُ اللهُ ﷻ بالضُّحَى وما جعلَ فيه من الضياءِ وبالليلِ إذا سـكَنَ فأظلَمَ وادْلَهَمَّ ، أنَّ ربَّك يا محمَّدُ ما تركَكَ وما أبغضَكَ .

(٤) (٥) ثـم أخـبرَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ أنَّ الدارَ الآخرةَ خيرٌ له من هذهِ الدارِ، وأنَّه سـيعطيهِ في الآخرةِ مِـنَ الكرامةِ ما يرضِيه ؛ فلذلكَ كانَ أزهدَ الناسَ في الدنيا ، وأعظمَهُم لها اطِّراحًا .

(٦) (٨) ثم قال تعالَى معدِّدًا نِعمَهُ عليه : ألَمْ يجدْكَ يا محمَّدُ يتيمًـا فآواكَ ؟ ، وكنتَ ضالاً لا تـدرِي ما الكتابُ ولا الإيمانُ فهداكَ ، وكنتَ فقيرًا ذا عيالٍ فأغناكَ اللهُ عمَّنْ سواهُ .

(٩) (١٠) (١١) ثـم قـال تعالَـى : فكمَـا كنـتَ يتيمًا يـا محمَّدُ فـآواكَ اللهُ فـلا تُذِلَّ اليتيـمَ ولا تنهرْهُ ولا تُهِنهُ ، ولكن أحسِـنْ إليـهِ وتلطَّفْ به ، وكمـا كنتَ ضالاً فهداكَ اللهُ فلا تَنْهَرْ سـائِلاً مسترشِـدًا ، ولا تكنْ جبارًا ولا متكـبرًا ولا فظًّا على الضعفاءِ مِـنْ عبادِ اللهِ ، وكما كنتَ عائِلاً فقيـرًا فأغناكَ اللهُ ، فحدِّثْ بما جاءَك مِنْ نعمةِ النبوَّةِ، واذكرْها وادْعُ إليها .

سورةُ الشَّرحِ .. وهي مكيَّةٌ

(١) (٢) (٣) يقولُ اللهُ تعالَى لنبيِّهِ ﷺ : أمَا شـرحنَا لكَ صدرَكَ يـا محمَّدُ، بأنْ نوَّرْناه وجعلنَاه فسـيحًا رحيبًا واسـعًا ، [وغفرْنا لكَ ما سـلَفَ مِنْ ذنوبِك ، وحطَطْنَا عنكَ ثقلَ أيامِ الجاهليَّةِ التي كنتَ فيها] ؛ فلذلكَ قالَ اللهُ له : " لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " ، وقد أوهَنَ الوزْرُ والذنبُ ظهرَكَ وأثقلَكَ حملُهُ .

وهذا فيه تشـريفٌ عظيمٌ لرسـولِ اللهِ ﷺ، وهـو صلواتُ اللهِ وسـلامُه عليهِ في جميعِ أمـورِه على الطاعةِ والبرِّ والاسـتقامةِ التي لم ينَلْها بشَرٌ سِواهُ، لا مِنَ الأولينَ ولا منَ الآخرينَ، وهو أكملُ البشرِ على الإطلاقِ، وسيِّدُهُم في الدنيا والآخرةِ .

(٤) ثـم أخـبرَ اللهُ تعالَى أنَّه رفـعَ ذِكرَ نبيِّهِ محمَّـدٍ ﷺ في الدنيا والآخـرةِ ، فليس خطيبٌ ولا متشـهدٌ ولا صاحـبُ صلاةٍ إلَّا ينادِي : أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ .

ضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمِهِ إذْ قالَ في الخَمْسِ المؤذِّنُ أشْهَدُ

(٥) (٦) أخبرَ تعالَى أنَّ معَ العسرِ يوجدُ اليسرُ ، ثم أكَّدَه فقالَ: إنَّ معَ العسـرِ يُسرًا ، والعسـرُ معرَّفٌ في الحالتينِ ، فالأوَّلُ هو عيـنُ الثاني ، وأمَّا اليسـرُ فهو مُنكَّرٌ فتعـدَّدَ ؛ فلذلكَ لنْ يغلبَ عسْرٌ يسرَينِ .

والمؤمـنُ يدعُـو بقربِ الفَـرَجِ والمخْرَجُ عندَ ضيـقِ الحالِ والشدَّةِ ، وكمَا تكونُ الشدَّةُ ينزلُ منَ النَّصرِ مثلُها .

(٧) (٨) ثـم قـالَ اللهُ لنبيِّـهِ ﷺ : فـإذا فرَغْتَ مِنْ أمـورِ الدنيا وأشـغالِها فانصَـبْ في العبادَةِ ، وقم إليها نشـيطًا فـارغَ البالِ ، وأخلِصْ لربِّكَ النيَّةَ ، واجعل رغبتَكَ إلى اللهِ ﷻ .

سورةُ التينِ .. وهي مكيَّةٌ

جاءَ في صحيحِ البخاريِّ ومسلمٍ وغيرِهما أنَّ البراءَ بن عازب رضي الله عنه قال: " كانَ رسولُ اللهِ ﷺ في سفرٍ فقرأَ في العشاءِ في إحدَى الركعتَينِ بالتينِ والزيتونِ، فما سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا أو قراءةً منه " .

(١) (٢) (٣) أقسَمَ اللهُ عز وجل بالتينِ والزيتونِ، وبجبلِ طورِ سيناءَ، وبمكَّةَ البلدِ الأمينِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أماكنَ ثلاثةٍ بعثَ اللهُ في كلِّ واحدٍ منها نبيًا مُرسلاً مِنْ أُولي العزمِ أصحابِ الشرائعِ الكبارِ، فالأولُ: بيتُ المقدسِ الذي بعثَ اللهُ فيه عيسَى عليه السلام، والثاني: طورُ سيناءَ الذي كلَّمَ اللهُ عليهِ موسَى عليه السلام، والثالثُ: مكَّةُ التي بعثَ اللهُ فيها محمَّدًا ﷺ؛ ولهذا أقسَمَ اللهُ عز وجل بالأشرفِ، ثم بالأشرفِ منه، ثم بالأشرفِ منهما .

(٤) (٥) (٦) في هذهِ الآيةِ ذكَرَ المقسَمَ عليهِ، وهو أنَّه تعالَى خَلَقَ الإنسانَ في أحسَنِ صورةٍ، وشكلٍ منتصبِ القامةِ سَويِّ الأعضاءِ، ثم بعدَ هذا مصيرُه إلى النارِ إنْ لمْ يُطِعِ اللهَ ويتَّبعِ الرسلَ؛ ولهذا استثنَى مَنْ آمَنَ بقلبِه وعمِلَ الصالحاتِ بجوارِحِه فلَه أجرٌ في الدارِ الآخرةِ لا منقوصٌ ولا مقطوعٌ.

(٧) (٨) أيُّ شيءٍ يجعلكَ يا بنَ آدمَ تُكذِّبُ بالجزاءِ والمعادِ وقد علمْتَ البداءَةَ، وعرفتَ أنَّ مَنْ قدِرَ عليها فهو قادرٌ على الرجعةِ بطريقِ الأولَى ؟، أليسَ اللهُ هو أحكمُ الحاكمينَ الذي لا يظلِمُ أحدًا، ومِنْ عدلِهِ أنْ يقيمَ القيامةَ فينتصفَ للمظلومِ في الدنيا ممَّنْ ظلَمَه .

سورةُ اقرأْ ... وهي مكّيَّةٌ

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) جاءَ في الصحيحينِ أنَّ أوَّلَ ما بُدِئَ به رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوحيِ: الرؤيا الصادقةُ، فكان لا يرَى رؤيا إلَّا جاءَت مثلَ فلَقِ الصبحِ، ثم حُبِّبَ إليهِ الخلاءُ، فكانَ يأتي غارَ حراءَ فيتعبَّدُ فيه الليالِيَ ذواتَ العددِ، حتى فجَأَه الحقُّ، وجاءَه جبريلُ فقالَ: اقرأْ باسْمِ ربِّكَ الذي خلَقَ .. ، فكانَ أوَّلَ شيءٍ نزَلَ مِنَ القرآنِ هذه الآياتُ الخمسُ المبارَكَاتُ .

وفيها تنبيهٌ على ابتداءِ خَلْقِ الإنسانِ مِنْ علَقَةٍ، وأنَّ اللهَ علَّمَه وشرَّفَه بالعلمِ، وهو القدرُ الذي امتازَ به أبو البريَّةِ آدمُ على الملائكةِ، والعِلمُ تارةً يكونُ في الأذهانِ، وتارةً يكونُ في اللسانِ، وتارةً يكونُ في الكتابةِ بالبَنَانِ؛ فهوَ ذِهنيٌ ولفظيٌّ ورسميٌّ، وقد جاءَ في الأثرِ: قيِّدوا العِلمَ بالكتابةِ .

(٦) (٧) (٨) يخبرُ اللهُ تعالَى عنِ الإنسانِ أنَّه ذو فرحٍ وأَشَرٍ وبَطَرٍ وطُغيانٍ إذا رأَى نفسَه قد استغنَى وكَثُرَ مالُه، ثم تهدَّدَهُ ووَعَظَهُ بأنَّ إلى ربِّه مصيرَه ومرجعَه وسيحاسِبُه على مالِه مِنْ أينَ جمَعَهُ وفيمَ صرَفَهُ ؟ .

(٩) (١٠) (١١) (١٢) جاءَ في صحيحِ البخاريِّ أنَّ هذهِ الآياتِ



ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب (٨)

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ (٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ (٧) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨)

سُورَةُ العَلَقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ (٨) أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠) أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ (١١) أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ (١٢)

نزلَتْ في أبي جهلٍ حينَ توعَّدَ النبيَّ ﷺ وقال: لئنْ رأيْتُ محمَّدًا يصلِّي عندَ الكعبةِ لأطَأَنَّ على عنقِهِ، فوعَظَهُ اللهُ أوَّلاً بالتي هيَ أحسَنُ فقالَ: فما ظنُّكَ إنْ كانَ هذا الذي تنهاهُ على الطريقِ المستقيمَةِ في فعلِهِ أو قولِهِ، وأنتَ تزجُرُه وتتوعَّدُه على صلاتِه ! .

(١٣) (١٤) (١٥) (١٦) ثم ألا يعلمُ هذا النَّاهي لهذا المهتدي أنَّ اللهَ يراهُ ويسمَعُ كلامَهُ وسيجازيهِ على فعلِهِ، ثم قالَ متوعِّدًا ومهدِّدًا أبا جهلٍ المكذِّبَ بالحقِّ المدبرَ عنه: كلَّا لئنْ لمْ يرجِعْ عمَّا هو فيهِ مِنَ الشِّقاقِ والعنادِ لنَسِمَنَّ ناصيتَه سوادًا يومَ القيامةِ فإنَّ ناصيتَه كاذبةٌ في مقالِها خاطئةٌ في فعالِها .

(١٧) (١٨) ثم قالَ اللهُ عز وجل: فليدعُ أبو جهلٍ قومَهُ وعشيرَتَه ويستنصرْ بهم، وسندعُو الزَّبانيةَ ملائكةَ العذابِ حتى يعلمَ مَنْ يغلِبُ: أحزبُنا أمْ حزبُه ؟ .

(١٩) ثم خاطبَ اللهُ نبيَّه ﷺ فقالَ: كلَّا يا محمَّدُ لا تُطعْهُ فيما ينهاكَ عنه مِنَ المداومَةِ على العبادةِ وكثرتِها، وصلِّ حيثُ شئْتَ ولا تبالِ به؛ فإنَّ اللهَ حافِظُكَ وناصِرُكَ، وهو يعصِمُكَ مِنَ الناسِ، واسجُدْ لربِّكَ واقترِبْ منهُ .

وقد روَى مسلمٌ في صحيحِه أنَّ أبا هريرةَ رضي الله عنه قالَ: "سجدْنَا معَ النبيِّ ﷺ في إذا السماءُ انشقَّتْ، واقرأْ باسْمِ ربِّكَ " .



أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

سورة القدْر .. وهي مكيَّةٌ

(١) يخبرُ اللهُ تعالى أنَّه أنزلَ القرآنَ في ليلَةِ القدْرِ ، وهي الليلَةُ المباركَـةُ التي قالَ اللهُ ﷻ عنها: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِـي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ "، وكانَ هـذا في شـهرِ رمضـانَ كما قـالَ تعالى : " شَـهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ " .

وقـد أنزلَ اللهُ القرآنَ جملَةً واحدَةً مِـنَ اللوحِ المحفوظِ إلى بيتِ العزَّةِ مِنَ السـماءِ الدنيا ، ثم نزَلَ مفصَّلاً بحسـبِ الوقائعِ في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً.

(٢) (٣) ثم قالَ اللهُ تعالَى معظِّمًا شـأنَ ليلةِ القدْرِ : وما أدراكَ مـا ليلـةُ القدْرِ ؟ ، ثم أخبرَ أنَّ ليلةَ القـدْرِ أفضلُ منْ عبادَةِ ألفِ شـهرٍ؛ عمَلُها وصيامُهـا وقيامُهَا ، وهـيَ تقاربُ عبـادَةَ ثلاثٍ وثمانينَ سنةً وأربعةَ أشهرٍ .

وقـد اقتضَـتْ حكمَةُ اللهِ ﷻ إبهامَ ليلـةِ القدْرِ لتعُـمَّ العبادَةُ جميعَ شـهرِ رمضانَ ، ويكونَ الاجتهادُ في العشرِ الأواخرِ منه ؛ ولهذا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ مِنْ رمضانَ حتى توفَّاهُ اللهُ ﷻ ، وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ عائشةَ قالَت : " كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخلَ العشـرُ أحيَا الليلَ وأيقظَ أهلَهُ وشدَّ المئزَرَ " ، والمستحبُ الإكثـارُ مِنَ الدعاءِ في شـهرِ رمضانَ ، وفي العشـرِ الأخيرِ منهُ، ومن هذا قولُ: " اللهمَّ إنَّكَ عفُوٌّ تحِبُّ العفوَ فاعْفُ عنِّي " .

وفي الصحيحيـنِ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قالَ: " مَنْ قـامَ ليلةَ القدْرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِه " ، وروَى الإمامُ أحمدُ والنسـائيُّ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال عن شـهرِ رمضانَ : " فيهِ ليلةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ ، مَنْ حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ " .

(٤) (٥) يكثرُ تنزُّلُ الملائكةِ في هذه الليلةِ لكثرةِ برَكَتِها ، وفيها ينزلُ الروحُ وهو جبريلُ عليه السلام صاحبُ الوحيِ ، فتُقضَى الأمورُ وتقدَّرُ الآجـالُ والأرزاقُ ، ويفصَّلُ مِنَ اللـوحِ المحفوظِ إلى الكَتَبَـةِ أمْرَ السـنَةِ ؛ قال تعالَى : " فِيهَـا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ " ، وليلَةُ القدْرِ خيرٌ كلُّها ، ليس فيها شرٌّ إلى مطلعِ الفجرِ .

سورة البيِّنَة .. وهي مدنيَّةٌ

(١) (٣) إنَّ الذين كفرُوا مِنَ اليهودِ والنصارَى ، والمشركينَ مِـنْ عَبَـدَةِ الأوثانِ والنيـرانِ ، لم يكونـوا منتهينَ عـنْ كفرِهـم وشِـركِهم حتى تأتِيَهُمُ البيِّنَةُ مِنَ الرسـولِ الذي يتلو عليهم مِنَ القـرآنِ ما هو مُكتَتَبٌ في الملأِ الأعلَـى حتى يتبيَّنَ لهمُ الحقُّ ، ثـم أخبرَ تعالَـى أنَّ في الصحفِ المطهَّرَةِ في المـلأِ الأعلى كتُبًا عادلةً مستقيمةً ليسَ فيها خطأٌ ؛ لأنَّها مِنْ عندِ اللهِ ﷻ .

(٤) لـمَّا أقامَ اللهُ ﷻ الحُجَجَ والبيِّناتِ على أهلِ الكُتُبِ المنزلةِ قبلَنَا ؛ تفرَّقُوا واختلفُوا في الذي أرادَه اللهُ مِنْ كتبِهم ، واختلَفوا اختلافًـا كثيـرًا كمَـا جـاءَ في السـننِ والمسـانيدِ: " أنَّ اليهـودَ اختلفُوا على إحدَى وسبعينَ فرقةً وأنَّ النصارَى اختلفُوا على اثنتينِ وسبعينَ فرقةً ، وستفترقُ هذهِ الأمَّةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً، كلُّها في النارِ إلَّا واحدةً » ، قالوا: مَنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟، قال : « ما أنَا عليهِ وأصحابِي » .

(٥) ومَـا أُمِـرَ النـاسُ إلَّا ليعبـدُوا اللهَ مخلصيـنَ لـه العبـادَةَ ويُفـرِدُوه بالدعاءِ والابتهالِ ، ولا يدعُـوا معه صنمًا ولا وثنًا ، بل هُمْ مُتحنِّفونَ عنِ الشـركِ مائلـونَ عنه قصْدًا ، مقبلونَ على الحقِّ لا يصدُّهمْ عنه صادٌّ ، ويقيمونَ الصلاةَ التي هيَ أشـرَفُ عبـاداتِ البدَنِ ، ويؤتـونَ الزكاةَ التي هيَ إحسـانٌ إلى الفقراءِ والمحاويجِ، وهذِه هي الملَّةُ المستقيمةُ المعتدلةُ ، وقد استدلَّ كثيرٌ مِنَ الأئمَّةِ بهذِه الآيةِ على أنَّ الأعمالَ داخلةٌ في الإيمانِ .

(٦) (٧) يخبـرُ تعالَـى عن مآلِ الفجَّارِ مِنْ كَفَـرَةِ أهْلِ الكتابِ والمشـركينَ المخالفينَ لكُتُبِ اللهِ المنزَلَةِ وأنبياءِ اللهِ المرسَلَةِ أنَّهـم يومَ القيامةِ في نـارِ جهنَّمَ ماكثينَ فيهـا ، لا يحولونَ عنها ولا يزولـونَ ، وهـم شـرُّ الخليقَةِ التـي برَأَهـا اللهُ وذرَأَها ، ثم أخبـرَ تعالَى عـن حالِ الأبـرارِ الذيـنَ آمنُوا بقلوبِهـم وعملُوا الصالحاتِ بأبدانِهم بأنَّهمْ خيرُ الخليقَةِ .

وقدِ استدلَّ بهذِه الآيةِ طائفةٌ مِنَ العلماءِ على تفضيلِ المؤمنينَ على الملائكةِ لقولِه : « أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » .

٨ جزاءُ هؤلاءِ المؤمنينَ في جنَّاتٍ لا انقضاءَ لها ولا انقطاعَ، يدخلونها يومَ معادِهم وقدومِهم على ربِّهم ﷻ، تجري فيها الأنهارُ في جميعِ فِجَاجِها وأرجائِها ومِنْ تحتِ أشجارِها وغرَفِها، في نعيمٍ سرمديٍّ أبديٍّ على الدَّوام، لا يحولونَ عنه ولا يزولونَ، ولا آخرَ له ولا انقضاءَ، ورِضَا اللهِ عن هؤلاءِ المؤمنينَ أعلى مِمَّا أُوتوه مِنَ النَّعيمِ المقيم، وقد رَضُوا عنه فيما مَنَحَهُم مِنَ الفضلِ العميم، ثم إنَّ هذا الجزاءَ حاصلٌ لمَنْ خشِيَ اللهَ واتَّقاهُ حقَّ تقْوَاهُ، وعَبَدَهُ كأنَّه يراه.

سورةُ الزَّلزَلَة .. وهي مكيَّةٌ

روَى الإمامُ أحمدُ أنَّ رجلاً جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: أقرِئني يا رسولَ اللهِ سُورَةً جامعةً فأقرَأه: " إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا " حتى إذا فَرَغَ منها قالَ الرجلُ: والذي بعثَكَ بالحقِّ لا أزيدُ عليها أبدًا "، فلمَّا أدبرَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " أفلَحَ الرويجِلُ! أفلَحَ الرويجِلُ! ".

١ ٢ في آخرِ عُمْرِ الدنيا وأوَّلِ أحوالِ القيامةِ تتحرَّكُ الأرضُ مِنْ أسفلِها وتضطرِبُ، وتُلْقِي ما في بطنِها مِنَ الأمواتِ الأوَّلينَ والآخرينَ، وتقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدِها أمثالَ الأسطوانِ مِنَ الذهبِ والفضَّةِ.

٣ ٤ إذا زُلزِلَتِ الأرضُ في ذلكَ اليومِ يستنكرُ الإنسانُ أمْرَهَا بعدَ ما كانتْ قارَّةً ساكنةً ثابتةً، وهو مستقرٌّ على ظهرِها، قد جاءَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما قد أُعِدَّ لها مِنَ الزلزالِ الذي لا مَحِيدَ لها عنه، وحينئذٍ يستنكرُ الناسُ أمْرَهَا، وتتبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ، وبَرَزُوا للهِ الواحدِ القهَّارِ.

٤ ٥ في ذلكَ اليومِ يأذَنُ اللهُ للأرضِ فتخبرُ بمَا عَمِلَ العاملونَ على ظهرِها، وتشهدُ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بمَا عَمِلَ عليها، وتقولُ: عَمِلَ كَذا وكَذا؛ يومَ كَذا وكَذا!.

٦ يرجعُ الناسُ في موقفِ الحسابِ أنواعًا وأصنافًا؛ ما بينَ سعيدٍ مأمورٍ بهِ إلى الجنَّةِ، و شقيٍّ مأمورٍ بهِ إلى النارِ؛ لِيُرِيَهُمُ اللهُ ما عمِلُوه في الدنيا من خيرٍ وشرٍّ ويجازِيَهُم عليه.

٧ ٨ [مَنْ عمِلَ في الدنيا وَزْنَ ذرَّةٍ مِنْ خيرٍ فإنَّه يرى ثوابَهُ يومَ الحسابِ، ومَنْ عمِلَ وَزْنَ ذرَّةٍ مِنْ شرٍّ فإنَّه يرى جزاءَهُ هنالكَ، وهذا حثٌّ لأهلِ الدنيا على العملِ بطاعةِ اللهِ، والزَّجرِ عن معاصيه]، وقد روَى البخاريُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: " هذهِ الآيةُ الفاذَّةُ الجامعةُ ".

وكانَ الناسُ يرونَ أنَّهم لا يُؤجَرونَ على الشَّيءِ القليلِ الذي أعطَوهُ، فيجيءُ المسكينُ إلى أبوابِهم فيستقلُّونَ أنْ يُعطُوهُ التمرةَ والكِسرةَ ونحوَ ذلكَ، وكانَ آخرونَ يرونَ أنَّهم لا يُلامُونَ على الذَّنبِ اليسيرِ كالكذبةِ والنَّظرةِ والغيبةِ وأشباهِ ذلكَ ويقولونَ: إنَّما وعَدَ اللهُ النارَ على الكبائرِ، فرغَّبَهُم في



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

القليلِ مِنَ الخيرِ أنْ يعملُوه فإنَّه يوشِكُ أنْ يكثرَ، وحذَّرهم اليسيرَ مِنَ الشَّرِّ فإنَّه يوشِكُ أنْ يكثرَ.

سورةُ العادياتِ .. وهي مكيَّةٌ

١ ٢ ٣ ٤ ٥ يقسِمُ اللهُ بالخيلِ إذا عَدَتْ وأُجْرِيَتْ في سبيلِه وسُمِعَ صوتُ حَمْحَمَتِها حينَ تعدُو، وبالخيلِ حينَ تقدَحُ النارَ بحوافرِها حينَ تَصطَكُّ بالصخرِ والحجرِ، وبالخيلِ تُغيرُ على العدوِّ وقتَ الصباحِ، فتثيرُ بحوافرِها غبارًا في معتركِ الخيولِ، فتتوسَّطُ بركبانِها مكانَ جَمْعِ العدوِّ.

وحبُّ الخيلِ على ثلاثةِ أقسامٍ: تارةً تُرْبَطُ للجهادِ في سبيلِ اللهِ، وتارةً تُرْبَطُ فَخْرًا ومناوأةً لأهلِ الإسلامِ، وتارةً تُرْبَطُ للتعفُّفِ واقتناءِ نسلِها.

٦ ٧ ٨ في هذهِ الآيةِ يذكُرُ اللهُ المقسَمَ عليهِ وهو: أنَّ الإنسانَ لِنِعَمِ ربِّه لَجَحُودٌ كَفُورٌ، ويشهَدُ لسانُ حالِه وفي أقوالِه وأفعالِه أنَّه يَعُدُّ المصائبَ وينسَى النِّعَمَ، وأنَّه شديدُ المحبَّةِ للمالِ، حريصٌ عليهِ بخيلٌ به.

٩ ثم قالَ اللهُ تعالَى مُزهِّدًا في الدنيا ومُرَغِّبًا في الآخرةِ ومنبِّهًا على ما هو كائنٌ بعدَ هذهِ الحالِ وما يستقبلُه الإنسانُ مِنَ الأهوالِ: أفلا يعلَمُ الإنسانُ كيفَ سيكونُ حالُه إذا أُخرِجَ ما في القبورِ مِنَ الأمواتِ؟.

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨

(١٠) (١١) ولـمَّـا زهَّـدَ اللهُ في الدنيا ورغَّبَ في الآخرةِ نبَّه إلى أنَّه سيُظهِرُ يومَ القيامةِ ما كانَ يُسِرُّ الناسُ في أنفسِهم مِنْ خيرٍ وشَرٍّ، وإنَّ ربَّهُم بهم يومئذٍ لعالِمٌ بجميعِ ما كانُوا يصنعونَ ويعملونَ، ومُجازِيهم عليهِ أوفَرَ الجزاءِ، ولَا يظلمُ ربُّكَ مثقالَ ذرَّةٍ .

سورةُ القارعَةِ .. وهي مكيَّةٌ

(١) (٢) القارعةُ مِنْ أسـماءِ يومِ القيامةِ ، [حيثُ يقرَعُ قلوبَ النـاسِ هولُها ، وعظيمُ ما ينزلُ بهـم مِنَ البلاءِ عندَها ؛ ولذلكَ قال: وأيُّ شيءٍ الساعةُ التي يقرعُ الخلْقَ هولُها ؟ ، فمَا أعظَمَها وما أفظعَهَا وما أهولَها] .

(٣) (٤) (٥) ثـم قـالَ اللهُ ﷻ مُعظِّمًا أمرَها ومهوِّلاً لشـأنِها : وما أدراكَ يا محمَّدُ أيُّ شـيءٍ القارعةُ ؟ ، ثم فسَّـرَ ذلكَ بقولِه: يـومَ يكونُ الناسُ في انتشـارِهم وتفرُّقِهـم وذهابِهم ومجيئِهم، مِـنْ حيرَتِهـم مِمَّا هـم فيهِ كأنَّهم فَـراشٌ منتشِـرٌ ، وقد صارَتِ الجبالُ كأنَّها الصوفُ الذي قد شَرَعَ في الذهابِ والتمزُّقِ .

(٦) (٧) ثـم أخـبرَ اللهُ تعالَى عمَّا يؤولُ إليـهِ عَمَلُ العاملينَ ، وما يصيـرونَ إليهِ مِنَ الكرامَةِ أو الإهانةِ ، بحسـبِ أعمالِهم : فأمَّا مَنْ رَجَحَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه فهو في الجنَّةِ .

(٨) (٩) وأمَّا مَنْ رَجَحَتْ سـيِّئاتُه فيهوِي في نارِ جهنَّمَ على أمِّ رأسِه ، فتكونُ هي مأواهُ ، أجارَنَا اللهُ منها بمنِّه وكرمِه .

(١٠) (١١) ثم قالَ اللهُ ﷻ مفسِّـرًا للهاويةِ : ومَا أدراكَ ما هيَ ؟، ثم أخبرَ أنَّها نارٌ حارَّةٌ شـديدةُ الحرِّ ، قويَّةُ اللهيبِ والسَّـعيرِ ، وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " إنَّ نارَكُم هذه التي تُوقِدونَ جزءٌ مِنْ سبعينَ جزءًا مِنْ نارِ جهنَّمَ " .

سورةُ التكاثرِ .. وهي مكيَّةٌ

(١) (٢) يقولُ اللهُ تعالَى : شغَلَكُم أيُّها الناسُ حبُّ الدنيا ونعيمُها وزهرَتُهـا عـن طلبِ الآخـرةِ وابتغائِها ، وتمـادَى بكم ذلك حتى جاءَكُمُ الموتُ وزرتُم المقابرَ ودُفِنتُم فيها وصِرتُم مِنْ أهلِها .

وقد روَى مسـلمٌ في صحيحِه أنَّ عبدَ اللهِ بنَ الشِّـخِّيرِ ؓ قال: انتهيـتُ إلى رسـولِ اللهِ ﷺ وهو يقرَأُ : " أَلْهَاكُـمُ التَّكَاثُرُ " ، ثم قـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ : يقولُ ابـنُ آدمَ : مالِي مالِـي ! ، وهل لكَ مِنْ مالكَ إلَّا ما أكلْتَ فأفنيْتَ ، أو لبستَ فأبليْتَ ، أو تصدَّقتَ فأمضيْتَ ؟ " ، وأمَّا سِـوَى ذلك فإنَّـكَ ذاهبٌ وتاركُه للناسِ ، وجـاءَ في البخـاريِّ ومسـلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : " يهـرمُ ابنُ آدمَ وتشبُّ منه اثنتانِ : حبُّ الدنيا وطولُ الأملِ " .

(٣) (٥) ثـم قـالَ اللهُ ﷻ في وعيدٍ بعدَ وعيدٍ : [ما هكذا ينبغِي أنْ تُلْهِيكُـمُ المباهاةُ بالأموالِ وكثرةِ العددِ ، فإنَّكم سـتعلمونَ غبَّ فعلِكُم واشـتغالِكم بالتكاثرِ في الدنيا عن طاعةِ ربِّكُم] ، ولـو علمتُم أيُّها الناسُ حقَّ العِلْمِ مـا ألهَاكُمُ التكاثُرُ عنْ طَلَبِ الدَّارِ الآخرةِ حتى صرتمْ إلى المقابرِ .

(٦) (٧) في هـذهِ الآيةِ تفسـيرُ الوعيدِ المتقـدِّمِ في قولِه : "كَلَّا سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ * ثُمَّ كَلَّا سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ " ، حيثُ توعَّدَهم برؤيـةِ نـارِ الجحيـمِ ، التي إذا زفرَتْ زفـرةً خرَّ كلُّ مَلَـكٍ مقرَّبٍ ونبيٍّ مُرْسَلٍ على ركبتيهِ ؛ مِنَ المهابَةِ والعظَمَةِ ومعاينةِ الأهوالِ .

(٨) يقولُ اللهُ ﷻ : ثـم لتُسْـألُنَّ أيُّها الناسُ يومئذٍ عن شكـرِ ما أنْعَـمَ اللهُ به عليكُم ؛ مِنْ صحَّةِ الأبدانِ والأسـماعِ والأبصارِ ، وما أنعمَ به مِنَ الأمنِ والرزقِ ، وعن كلِّ لذَّةٍ منْ لَذَّاتِ الدنيا .

وقـد روَى الإمـامُ مسـلمٌ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ لـمَّـا أكَلَ هـو وأبو بكرٍ وعُمَرُ من عِذقِ التمرِ والرطبِ وشـربُوا ، ومِنَ الشاةِ التي ذبحَها لهـم الأنصاريُّ ، قالَ ﷺ : " لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعيمِ يـومَ القيامةِ، أخرَجَكُم منْ بيوتِكُم الجوعُ، ثم لم ترجِعوا حتى أصابَكُم هذا النَّعيمُ " .

وروَى الإمـامُ أحمـدُ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـالَ : " يقولُ اللهُ ﷻ يومَ القيامةِ : يا بنَ آدمَ ، حملتُكَ على الخيلِ والإبلِ وزوَّجْتُكَ النساءَ وجعلتُكَ تربَعُ وترأَسُ ، فأينَ شكرُ ذلكَ ؟ " .

سورةُ العصْرِ .. وهي مكيَّةٌ

روَى الطبرانِيُّ عـن أبي مدينةَ الدارمِـيِّ رضي الله عنهما قـال : كان الرجـلانِ مِنْ أصحابِ رسـولِ اللهِ ﷺ إذا التَقيا، لـم يتفرَّقا إلَّا علـى أنْ يقـرَأَ أحدُهُمـا على الآخرِ سـورةَ العصْرِ، ثم يسـلِّمُ أحدُهُما على الآخرِ » ؛ ولذلك قال الشافعِيُّ : « لو تدبَّرَ الناسُ هذِهِ السورةَ لكفتْهُم » .

١ ٢ يقسِمُ اللهُ ﷻ بالعصرِ : وهو الزَّمانُ الذي يقعُ فيه حركاتُ بني آدمَ مِنْ خيرٍ وشرٍّ ؛ على أنَّ الإنسانَ لفِي خسارةٍ وهلاكٍ .

٣ ٤ ثم استثنَى اللهُ ﷻ عنِ الخسرانِ : الذيـنَ آمنُوا بقلوبهم وعملُـوا الصالحاتِ بجوارِحِهم ، وتواصَوا بـأداءِ الطاعاتِ وتَرْكِ المحرَّمَـاتِ ، وتواصَوْا بالصبرِ على المصائبِ والأقدارِ، وبالصبرِ على أذى مَنْ يُؤذِي مِمَّنْ يأمُرُونَه بالمعروفِ وينهَونَه عنِ المنكرِ .

سورةُ الهمزَةِ .. وهي مكيَّةٌ

١ ٢ ٣ يتوعَّـدُ اللهُ ﷻ بالهلاكِ والدمارِ كلَّ مَنْ يزدرِي الناسَ ويحتقِرُهم ، فيهمِزُ بيدِه وعينِه ، ويلمِزُ بلسانِه ؛ في وجهِ النـاسِ ومِن خلفِهم ، وإذا جمعَ المالَ أحصَـى عدَدَهُ وألْهاهُ ، ثـم ينامُ كأنَّه جيفةٌ ، أفيظُنُّ هـذا أنَّ جمْعَهُ المالَ يُخلِّدُهُ في هذهِ الدارِ ؟ .

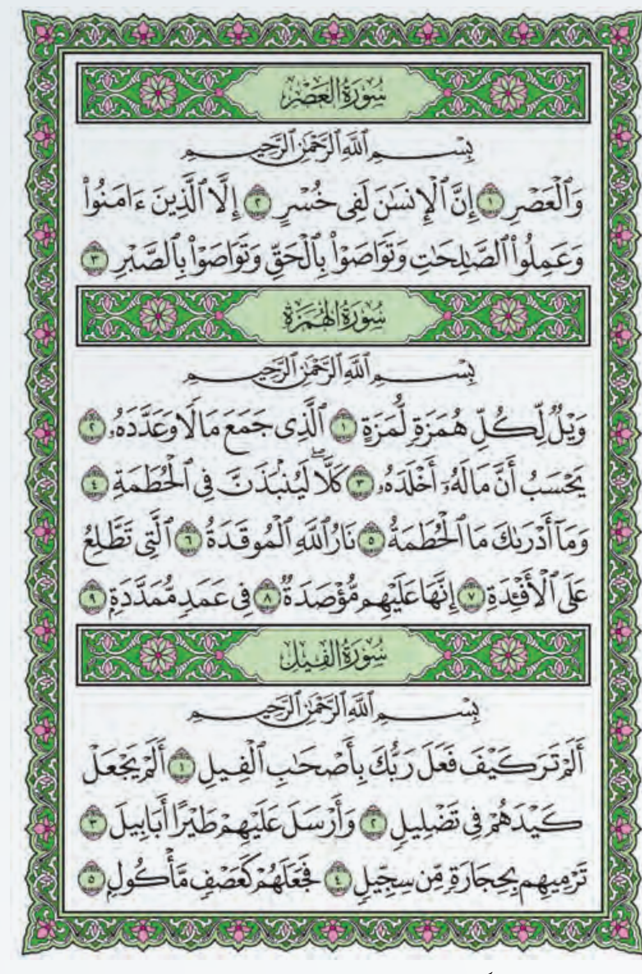
٤ ٥ ثم قالَ اللهُ ﷻ : ليسَ الأمْرُ كما زَعَمَ ولا كما حسِبَ ؛ ليُلقينَّ هذا الذي جمَعَ في الحُطَمَةِ ، وهي اسمٌ مِنْ أسماءِ النارِ؛ لأنَّها تُحطِّمُ مَنْ فيها ؛ ولهذا قال : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ " .

٦ ٧ ثـم أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّ الحُطَمَـةَ نـارُ اللهِ الموقـدةُ التـي تحرِقُهُـم وهُـم أحيـاءٌ ، فتأكُلُ كلَّ شـيءٍ مِنَ الجسَـدِ حتى تبلغَ الفؤادَ .

٨ ٩ ثـم أخبـرَ اللهُ تعالَـى أنَّ نـارَ جهنَّـمَ مغلَقَـةٌ أبوابُها ؛ فيُدخَلُونَ فيها وفي أعناقِهِمُ السلاسِلُ ، وتمدُّ بعمدٍ مِنْ نارٍ تُسَدُّ بها الأبوابُ ، فتكونُ مطبقةً عليهم ؛ لا ضوءَ فيها ولا فَرَجَ ، ولا خروجَ لهم منها آخِرَ الأبدِ .

سورةُ الفيلِ .. وهي مكيَّةٌ

لمَّا بنَى أبرهَةُ الأشْرَمُ كنيسـةً هائلةً بصنعـاءَ مِنْ أرضِ اليمنِ أرادَ أنْ يصـرِفَ حـجَّ العـربِ إليهـا ، فلمَّا علِمَ بغضـبِ قبائلِ العـربِ علـى فعلِـه وأحدَثُوا مـا أحدَثُوا ؛ أقسَـمَ ليَسـيرَنَّ إلى الكعبـةِ وليخرِّبنَّهـا حجَـرًا حجَـرًا ، فتأهَّـبَ في جيـشٍ كثيـفٍ عرمرمٍ، واسـتصحَبَ معَه فيلاً عظيمًا كبيرَ الجثَّةِ ليهدِمَ الكعبةَ، فلمَّـا قَربَ مِنْ مكَّةَ برَكَ الفيلُ ، وجعلُـوا لا يصرفونَه إلى جهةٍ مِنْ سائرِ الجهاتِ إلَّا ذهبَ فيها ، فإذا وجَّهوهُ إلى الحَرَمِ ربَضَ وصاحَ ، فأخـذُوا يضربونَه ويقهرونَه على دخـولِ الحَرَمِ وهو يأبَـى ، فبينَمـا هـم كذلك إذْ بعَـثَ اللهُ عليهِم طيرًا مِـنَ البحرِ أمثـالَ الخطاطيفِ ، تحملُ أحجارًا شـديدةً صلبـةً في مناقيرِها



سُورَةُ العَصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩

سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥

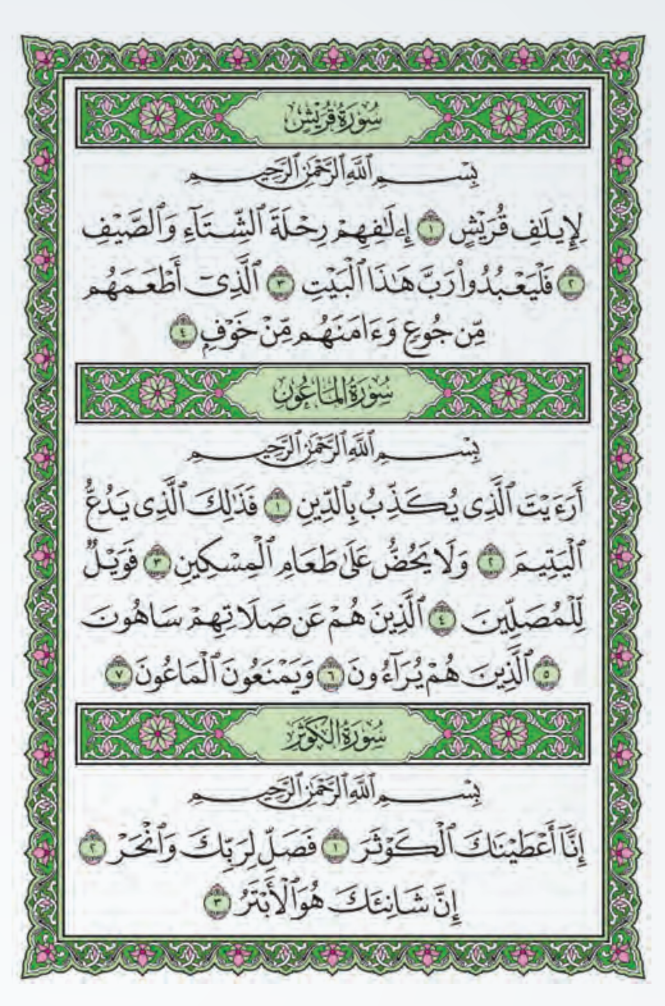
وأرجلِهـا، فحلَّقَـت عليهِم ، وأرسـلَـتْ تلكَ الأحجـارَ عليهِم فهَلَكُوا .

وكانَ هذا مِنْ بابِ الإرهاصِ والتوطِئَةِ لمبعثِ نبيِّ الرحمةِ ﷺ، فإنَّه في ذلك العامِ وُلِدَ .

١ ٢ لمَّـا بعـثَ اللهُ محمَّدًا ﷺ كان فيما يُعَـدُّ على قريشٍ مِـن نعمتِه عليهم وفضلِه، مـا ردَّ عنهم مِن أمرِ الحبشـةِ، لبقاءِ أمرِهِـم ومدَّتِهـم ؛ فلذلك قالَ : [ألَـمْ تنظرْ يا محمَّـدُ ما فعَلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ الذيـن قدِموا مِنَ اليمنِ يريدونَ تخريبَ الكعبـةِ؟ ، ألَـمْ يجعـلْ سـعيَهُم في تضليلِهـم عمَّـا أرادُوا مِن تخريبِها ؟] .

٣ ٤ ٥ يخبـرُ اللهُ ﷻ أنَّـه أرسَـلَ علـى جيشِ أبرهـةَ الحبشـيِّ الذي قدِمَ لهدمِ الكعبةِ ؛ جماعـاتٍ كثيرةً متتابعةً مِنَ الطيرِ ، تحمِلُ في مناقيرِها وأرجلِها أحجارًا شديدةً صلبةً أمثالَ الحِمِّصِ ؛ فأخذَتْ ترميهِم بها ، فما يقعُ حَجَرٌ على رأسِ رجلٍ إلَّا خـرَجَ مِـنْ دُبُرِه ، ولا على شـيءٍ مِنْ جسَـدِه إلَّا خرَجَ مِنَ الجانـبِ الآخَرِ ، فجعلَهُم اللهُ مثـلَ ورقِ الزرعِ إذا يبسَ وَداسَتْهُ البهائِـمُ، فأهلَكَهُـم اللهُ ودمَّرَهُـم، وردَّهُـم بكيدِهِـم وغيظِهِم لم ينالُوا خيرًا.

وهـذِه مِـنَ النِّعَـمِ التي امتـنَّ اللهُ بها على قريـشٍ ، حيثُ أبادَ أصحـابَ الفيـلِ ، وأرغَـمَ آنافَهُـم وخيَّـبَ سـعْيَهُم ، وأضلَّ



سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ٧

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣

سورةُ قريشٍ .. وهي مكيَّةٌ

قبائلُ قريشٍ هم : بنُو النَّضرِ بنِ كنانَةَ ، وهم خلاصةُ العربِ وبلُغتِهم نزَلَ القرآنُ ، وقد روى مسلمٌ في صحيحِهِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " إنَّ اللهَ اصْطَفَى كنانَةَ مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ ، واصْطَفَى قريشًا مِنْ كنانَةَ ، واصْطَفَى مِنْ قريشٍ بَنِي هاشمٍ ، واصْطَفَاني مِنْ بني هاشمٍ " .

وهذهِ السورةُ متعلِّقةٌ بمَا قبلَها ، والمعنَى : حبسْنَا عن مكَّةَ الفيلَ وأهلكنَا أهلَهُ لائتلافِ قريشٍ واجتماعِهم في بلدِهم آمنين ، وقد أجمعَ المفسِّرونَ على أنَّهما سورتانِ منفصلتَانِ .

١ ٢ امتنَّ اللهُ ﷻ على قريشٍ بالأمنِ في حالِ إقامتِهم في البلدِ فقالَ : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ " ، وأمَّا حالُهم في أسفارِهم ورحلتِهم فأخبرَ تعالَى عمَّا ألِفُوه مِنَ الرحلةِ في الشتاءِ إلى اليمنِ ، وفي الصيفِ إلى الشامِ مِنْ أجلِ التجارةِ وغيرِها ، ثم يرجعونَ إلى بلدِهم آمنينَ في أسفارِهم ؛ لعظمَتِهم عندَ الناسِ ، لكونِهم سكَّانَ حَرَمِ اللهِ ، فمَنْ عرَفَهُم احترَمَهُم ، ومَنْ سارَ معَهُم أَمِنَ بهم .

٣ ٤ ثم أرشَدَهُم اللهُ ﷻ إلى شكرِ هذهِ النِّعمةِ العظيمةِ ، فهو ربُّ البيتِ الذي أطعَمَهُم مِنْ جوعٍ ، وتفضَّلَ عليهم بالأمنِ ، فليفردُوه بالعبادَةِ وحدَه لا شريكَ له كمَا جعَلَ لهم حَرَمًا آمنًا وبيتًا محرَّمًا ، ولا يعبدُوا مِنْ دونِه صنمًا ولا نِدًّا ولا وثنًا ، فمَنِ استجابَ لهذا الأمرِ جَمَعَ اللهُ له بين أمْنِ الدنيا وأمْنِ الآخرةِ ، ومَنْ عصاهُ سلَبَهما منهُ .

سورةُ الماعونِ .. وهي مكيَّةٌ

١ ٢ ٣ أرأيتَ يا محمَّدُ الذي يُكذِّبُ بالمعادِ والجزاءِ والثوابِ؟ ، فذلكَ هو الذي يقهَرُ اليتيمَ ويظلمُهُ حقَّه ، ولا يطعمُه ولا يُحسِنُ إليه ، ولا يحضُّ نفسَه ولا غيرَه على طعامِ الفقيرِ الذي لا شيءَ له يقومُ بأوْدِه وكفايتِه .

٤ ٥ ثم توعَّدَ اللهُ ﷻ الذين يُصلُّون في العلانيَّةِ ولا يُصلُّون في السرِّ ، والمؤمنينَ الذين التزَمُوا بها لكنَّهم سَهَوا عنْ صلاةٍ فتركُوا فعلَها ، أو أخَّروهَا حتى ضاعَ وقتُها ، أو أخلُّوا بخشوعِها وتدبُّرِ معانِيهَا أو أدائِها على الوجهِ المأمورِ به ، فاللفظُ يشملُ هذا كُلَّه ، ولكلِّ مَنِ اتَّصفَ بشيءٍ من ذلك قسطٌ من هذهِ الآيةِ ، ومَنِ اتَّصفَ بجميعِ ذلك فقد تمَّ نصيبُه منها ، وكملَ له النفاقُ العمليُّ ، وكلُّ هذا مِنْ إضاعةِ الصَّلاةِ ، ولو كان تركًا للصَّلاةِ بالكلِّيَّةِ لكانَ كُفْرًا .

٦ ٧ ثم ذكَرَ اللهُ ﷻ أنَّ مِنْ صفةِ هؤلاءِ أنَّهم إنْ صلُّوا راءَوا بصلاتِهم ، وإنْ فاتَتْهم لم يأسَوا عليها ؛ فلا أحسَنُوا عبادَةَ ربِّهم ، ولا أحسَنُوا إلى خلْقِهِ حتى بإعارَةِ ما ينتفِعُ به ويُستعانُ به ، مع بقاءِ عينِه ورجوعِه إليهم ، كالمنخلِ والقِدْرِ والدَّلوِ والميزانِ والفأسِ والإبرةِ وغيرِها ، فهؤلاءِ لمنعَ الزكاةِ وأنواعِ القُرُباتِ أولَى وأولَى ، ويتركونَ المعاوَنَةَ سواءً بمالٍ أو منفعةٍ .

سورةُ الكوثرِ ... وهي مَدَنِيَّةٌ

روَى مسلمٌ في صحيحِه أنَّ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه قالَ : بينَا رسولَ اللهِ ﷺ بينَ أظهُرِنَا في المسجدِ ، إذ أغفَى إغفاءَةً ثم رفعَ رأسَهُ مبتسِمًا ، قلنَا : ما أضحكَكَ يا رسولَ اللهِ ؟ ، قالَ : " أُنزلَتْ علَيَّ آنفًا " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ... " ، ثم قالَ : " أتدرونَ ما الكوثرُ ؟ ، إنَّه نهرٌ وعَدَنِيهُ ربِّي ﷻ عليهِ خيرٌ كثيرٌ ، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يومَ القيامةِ ، آنيَتُهُ عَدَدَ النجومِ " ، وقدِ استدَلَّ بهذا كثيرٌ مِنَ القرَّاءِ على أنَّ هذهِ السورةَ مَدَنِيَّةٌ .

١ ٢ إنَّا أعطيناكَ يا محمَّدُ الخيرَ الكثيرَ في الدنيا والآخرةِ ، ومِنْ ذلكَ نهرُ الكوثرِ الذي تقدَّمَ صفتُه ، فأخلِصْ لربِّكَ صلاتَكَ المكتوبَةَ والنافلَةَ ، وانْحَرْ ذبيحَتَكَ على اسْمِهِ وحدَه لا شريكَ له .

٣ إنَّ مُبْغِضَكَ يا محمَّدُ ومُبْغِضَ ما جئتَ بهِ مِنَ الهُدَى والحقِّ والنورِ هو الأبترُ الأقلُّ الأذلُّ المنقطعُ الذِّكْرِ ، وقد أبْقَى اللهُ ذِكْرَ نبيِّهِ ﷺ إلى يومِ الحشرِ والمعادِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ دائمًا إلى يومِ التَّنادِ .

سورةُ الكافِرون .. وهي مكيَّةٌ

جاءَ في صحيحِ مسلمٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قرأَ بهذهِ السورةِ وبـ " قُلْ هوَ اللَّهُ أحدٌ " في ركعَتَي الطَّوافِ وفي ركْعَتَي الفجرِ ، وعندَ أحمَدَ وغيرِه أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ بهما في الركعَتَينِ قبلَ الفجرِ والركعَتَينِ بعدَ المغربِ .

١ ٢ هـذهِ السـورةُ خطـابٌ لكفارِ قريشٍ ، وفيهـا أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يتبرَّأَ مِنْ دينِ المشركينَ بالكليَّةِ ومِمَّا يعبدونَه مِنَ الأصنامِ والأندادِ ، وهي تشملُ كلَّ كافرٍ على وجهِ الأرضِ .

٣ ٤ أنتم يا معشـرَ المشـركينَ لا تعبُدونَ مَنْ أعبُدُه وهوَ اللهُ وحدَه لا شـريكَ له ، وأنا لا أعبُدُ عبادَتَكم ولا أسْلُكُها ولا أقتدِي بها ، وإنَّما أعبُدُ اللهَ على الوجهِ الذي يحبُّه ويرضاهُ .

٥ ٦ وأنتم معْشَرَ المشركينَ لا تقتدونَ بأوامرِ اللهِ وشرعِهِ في عبادَتِـه ، بل قد اخترعتُم شـيئًا مِـنْ تلقاءِ أنفسِـكُم ، وأتيتُمْ بعبادةٍ لم يأذَنْ بها اللهُ ؛ فلهذا قال الرسـولُ ﷺ : لستُم منِّي ولا أنا منكُم ، لكُمْ دينُكم الكفرُ ، وليَ دينُ الإسلامِ ، فإنْ أجبتُم ما أدعُوكُم إليهِ مِنْ توحيـدِ اللهِ بالعبادةِ فأنتُم منِّي وأنا منكُم، وإنْ كذَّبتُم فأنا براءٌ منكُم وأنتُم بُراءُ منِّي .

سورةُ النصرِ .. وهي مَدَنيَّةٌ

جاءَ في صحيحِ مسلمٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ هذهِ السورةَ آخرُ سورةٍ مِنَ القرآنِ نزلَتْ جميعًا .

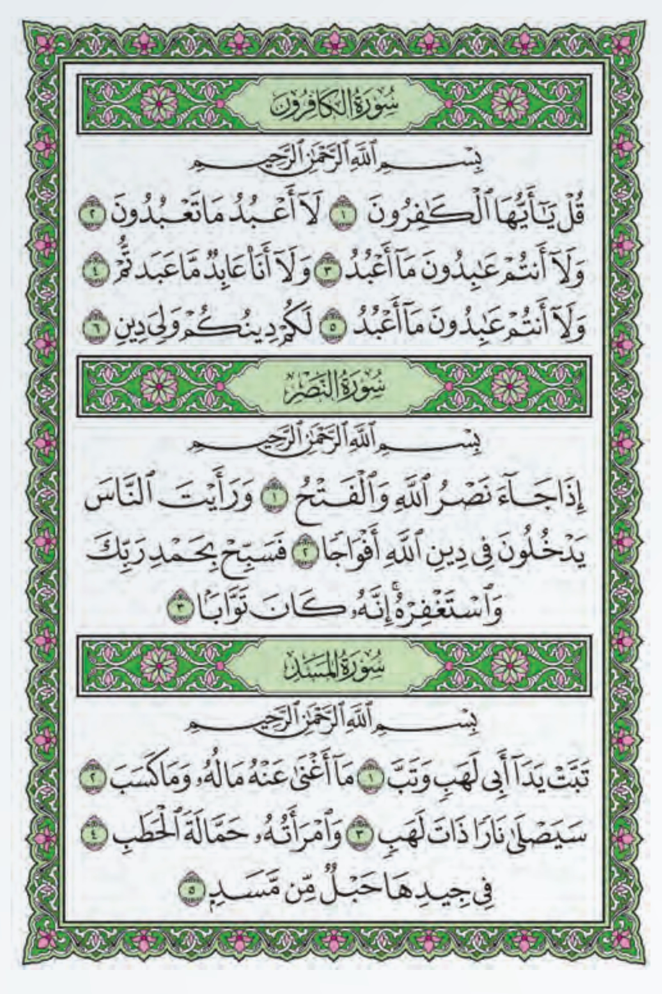
١ ٢ لمَّا فَتَحَ اللهُ على رسـولِه ﷺ مكَّةَ دَخَلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجًا ، وقد روَى البخاريُّ أنَّه لمَّا كانَ فتحُ مكَّةَ بادرَ كلُّ قومٍ بإسـلامِهِم إلى رسـولِ اللهِ ﷺ ، وكانَتِ الأحياءُ تتلوَّمُ بإسلامِها فتحَ مكَّةَ ، يقولونَ : دعُوه وقومَه ، فإنْ ظهَرَ عليهِم فهو نبيٌّ .

٣ في الآيةِ أُمِرَ بكثرةِ الذِّكرِ والاستغفارِ عندَ الفتحِ والنصرِ ، وهـو أمْـرٌ بالخضوعِ للهِ تعالَـى قولاً وفعـلاً ، وكانَ يَظهرُ على النبـيِّ ﷺ الخضوعُ جـدًا عندَ النصرِ ، وقد دخـلَ ﷺ عندَ فتحِ مكَّةَ خاضِعًا لربِّهِ ﷻ ، ثمَّ لمَّا دَخلَ البَلَدَ اغتسَـلَ وَصلَّى ثمانيَ ركَعَاتٍ ، وهكذا فعَلَ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه لمَّا دخلَ إيوانَ كسرَى .

وقد فسَّـرَ ابـنُ عباسٍ رضي الله عنهما بحضرةِ عمرَ بـنِ الخطابِ رضي الله عنه بأنَّ هـذه السـورةَ أمارةٌ علَـى اقترابِ أجلِ الرسـولِ صَلَواتُ اللهِ وسـلامُه عليهِ ، وأقـرَّه على ذلكَ عمـرُ رضي الله عنه ، ولا منافاةَ بينَ أنْ يكـونَ قد أُمِـرَ عندَ النصرِ بالصـلاةِ والاسـتغفارِ ، ونُعِيَتْ إليهِ روحُه الكريمةُ أيضًا .

سورةُ المسدِ .. وهي مكيَّةٌ

جـاءَ في صحيـحِ البخـاريِّ أنَّ النبـيَّ ﷺ لمَّا نـادَى في الناسِ واجتمَعَـتْ إليـهِ قريشٌ، قالَ: " إنِّي نذيـرٌ لكُم بينَ يَدَي عذابٍ شـديدٍ " ، فقامَ أبو لهبٍ ينفضُ يديهِ، وهو يقولُ: تبًّا لك سـائرَ



سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

اليوم ،ألِهذا جمَعْتَنَا ؟ ، فنزلَتِ السورةُ .

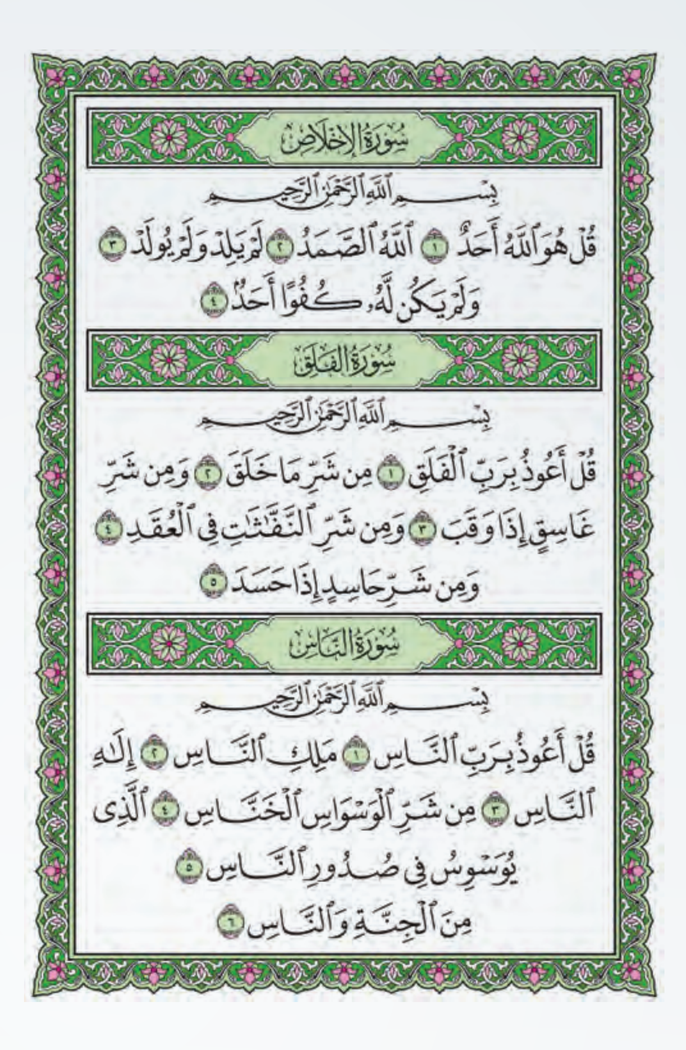
وأبـو لهـبٍ هو أحـدُ أعمامِ النبـيِّ ﷺ ، وكانَ كثيـرَ الأذيَّةِ له والازدراءِ به ، والتنقُّصِ له ولَدينِه .

١ في هذا دعاءٌ علَى أبي لهبٍ وخبرٌ عنه ، فالدُّعاءُ: خسِـرَتْ يـداهُ وخابَتْ ، وضـلَّ عملُه وسـعيُه ، والخبرُ : بأنَّـه قد تبَّ ، فتحقَّقَتْ خسارتُه وهلاكُه .

٢ ٣ لمَّـا دعَـا رسـولُ اللهِ ﷺ قومَه إلى الإيمـانِ، قال أبو لهـبٍ: إذا كانَ مـا يقولُ ابنُ أخِي حقًّا، فإنِّي أفتدِي نفسـي يومَ القيامـةِ مِـنَ العذابِ بمالِـي وولَدِي ، فقالَ اللهُ ﷻ : أيُّ شـيءٍ أغنَـى عنـه مالُه وولَـدُه ؟ ، سـيصْلَى نـارًا ذاتَ شَـرَرٍ ولهيبٍ وإحراقٍ شديدٍ .

٤ ٥ ولمَّـا كانَ أبـو لهـبٍ جاهِـدًا في عداوةِ الرسـولِ ﷺ وامرَأَتُه تعينُه في ذلكَ، فلذلكَ تَكونُ يومَ القيامةِ عونًا على عذابِه في نـارِ جهنَّمَ ، فتجْمَعُ على عنقِها الحطبَ في النارِ وتلقيهِ عليه، ليكونَ ذلكَ أبلَغَ في عذابِه مِمَّنْ هو أشفَقُ عليه ، وفي عنقِها حبلٌ دائمٌ تُرفَعُ به إلى شفيرِ جهنَّمَ ، ثم يُرمَى بها إلى أسفلِها .

وفي هذهِ السورةِ معجزةٌ ظاهرةٌ ، فإنَّه منذُ أخبَرَ عنهمَا بالشقاءِ وعـدمِ الإيمانِ ، لم يُقيَّضْ لهمـا أنْ يؤمِنَا لا ظاهِرًا ولا باطنًا ، فكانَ هَذا مِنْ أقوَى الأدلَّةِ الباهرَةِ على النبوَّةِ .


سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورةُ الإخلاصِ .. وهي مكّيّةٌ

روَى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : " والذي نفسِي بيدِه إنَّها لتعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ " ، وروَى أحمدُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " مَنْ قرأَ " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ " حتى يختِمَها ، عشْرَ مرَّاتٍ ، بنَى اللهُ له قصْرًا في الجنَّةِ " ، وروَى أحمدُ والبخاريُّ مُعلَّقًا مَجزومًا به أنَّ رجلاً جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ : إنِّي أحبُّ هذهِ السورةَ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : " حبُّكَ إيَّاها أدخلَكَ الجنَّةَ " .

(١) (٢) اللهُ ﷻ هـو الواحـدُ الأحَـدُ ، الـذي لا نظيرَ له ولا شـبيهَ ولا عديـلَ ، ولا يُطلَقُ هذا اللفظُ على أحـدٍ في الإثباتِ إلَّا علـى اللهِ ﷻ ؛ لأنَّـه الكاملُ في جميـعِ صفاتِه وأفعالِه ، وهو الذي قد كمُلَ في أنواعِ الشـرفِ والسؤددِ ويصمدُ الخلائقُ إليه في حوائِجِهم ومسائِلِهم .

(٣) (٤) اللهُ الصَّمَـدُ ليسَ له وَلَدٌ ولا والِدٌ ولا صاحِبَةٌ ، وهو مالكُ كلِّ شيءٍ وخالِقُه ، فكيفَ يكونُ له مِنْ خلقِه نظيرٌ يُساميه أو قريبٌ يُدانِيه ؟، تعالَى وتقدَّسَ .

وقد جاءَ في صحيحِ البخاريِّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : " لا أحَدَ أصبـرُ على أذًى سـمِعَه مِـنَ اللهِ ، إنَّهم يجعلونَ لـه وَلَدًا ، وهو يرزُقُهم ويعافِيهم " .

سورةُ الفلقِ .. وهي مَدَنِيَّةٌ

روَى مسـلمٌ في صحيحِـه أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـالَ : " آيـاتٌ أُنزلَـتْ هـذِه الليلةَ لمْ يُـرَ مثلُهنَّ قطُّ : " قُلْ أَعُـوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ، وجاءَ عندَ النَّسـائِيِّ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قالَ : " ما سأَلَ سائِلٌ بمثلِهما ، ولا استعاذَ مستعيذٌ بمثلِهما " ، وعنـدَ النَّسـائِيِّ أيضًا عـن عقبةَ بنِ عامرٍ ؓ قـالَ : قلْتُ يا رسـولَ اللهِ أقْرِئني سـورةَ هودٍ أو سـورةَ يوسـفَ ، فقالَ : " لن تقرأَ شيئًا أنفعَ عندَ اللهِ مِنْ : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " .

وجاءَ في صحيحِ البخاريِّ حديثٌ في الاستشفاءِ بهذِهِ السُّوَرِ ، فقـد كانَ النبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فراشِـه كلَّ ليلةٍ جمَعَ كفَّيهِ ، ثم نَفَـثَ فيهمـا فقرأَ فيهما : " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَـدٌ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " و " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " ، ثم يمسَـحُ بهما ما اسـتطاعَ مِنْ جسَـدِه ، يبدأُ بهما على رأسِه ووجهِه ، وما أقبَلَ مِنْ جسَدِه ، يفعلُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ " .

(١) (٢) (٣) أمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يستعيذَ بربِّ الصبحِ مِنْ شَرِّ جميـعِ المخلوقـاتِ ، ومِنْ شَـرِّ القمرِ إذا غـابَ ، وأقبَلَ الليلُ بالظلامِ ، والاسـتعاذةُ هي : الالتجاءُ إلى اللهِ ، والاسـتجارةُ به مِنْ شَرِّ كلِّ ذي شَرٍّ .

(٤) (٥) وأمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أنْ يستعيذَ مِنْ شَرِّ السَّواحِرِ إذا نفَثْنَ في العُقَدِ ، ومِنْ شرِّ عينِ كلِّ حاسِدٍ ونفسِه .

سورةُ الناسِ .. وهي مَدَنِيَّةٌ

(١) (٢) (٣) هـذِهِ ثـلاثُ صفـاتٍ مِـنْ صفـاتِ الـرَّبِّ ﷻ ؛ الربوبيَّـةُ ، والملْـكُ ، والإلهيَّـةُ : فهـو ربُّ كلِّ شـيءٍ ومليكُه وإلهُهُ ، فجميعُ الأشياءِ مخلوقةٌ مملوكةٌ له ، وهم عبيدُه .

(٤) (٥) (٦) أمَـرَ اللهُ المسـتعيذَ أنْ يتعوَّذَ بـاللهِ ﷻ المتَّصفِ بهذِهِ الصفاتِ ، مِنْ شَـرِّ الشـيطانِ الذي يوسوسُ مرَّةً ويخنسُ أخرَى إذا ذكَرَ العبدُ ربَّه ، وما مِنْ أحَدٍ مِنْ بني آدمَ إلَّا وله قرينٌ يُزيِّنُ له الفواحِشَ ، ولا يألوهُ جهدًا في الخبالِ ، والمعصومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ ﷻ ، لكنَّ العبدَ إذا ذكَرَ اللهَ تصاغرَ الشيطانُ وغُلِبَ ، وإذا لم يذكُرِ اللهَ تعاظمَ وغلَبَ .

والذي يوسوسُ في صدورِ الناسِ هم شياطينُ الإنسِ والجنِّ ، فكلٌّ منهُما يوسـوسُ ؛ فالشـيطانُ يكونُ مِنَ الجنِّ فيوسـوسُ في النفسِ ، ويكونُ مِنَ الإنـسِ فيقولُ كلامًا تسـمَعُه الأذنانِ ؛ قـالَ تعالَى : " وَكَذَلِـكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَـيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا " .

وقـد روَى أحمـدُ وأبـو داودَ وغيرُهمـا أنَّ رجـلاً جـاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ : يا رسـولَ اللهِ ، إنِّي أُحدِّثُ نفسِـي بالشيءِ لأنْ أخِـرَّ مِنَ السـماءِ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتكلَّمَ بـه ، فقال النبيُّ ﷺ : " اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ، الحمدُ للهِ الذي ردَّ كيدَه إلى الوسوسَةِ " .







أولاً : الطهارة عند قراءة القرآن :

١) قراءة القرآن عن ظهر قلب بغير وضوء جائزة باتفاق العلماء ، لكنها بوضوء أفضل ؛ لأنَّ من كمال تعظيم كلام الله ﷻ ألا يقرأ إلا على طهارة .

٢) يحرم على الجنب قراءة القرآن مطلقًا حتى يغتسل ، وهذا قول جمهور أهل العلم ، وبه يفتي الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد العثيمين ، وقد قال ابن تيمية : « لا يقرأ الجنب القرآن عند جماهير العلماء ؛ الفقهاء الأربعة وغيرهم كما دلَّت على ذلك السنَّة »[(١)] ، ويستثنى من هذا: الآية ونحوها للحاجة ، وكأذكار النوم وأذكار الصباح والمساء ، وقد "كان النبيُّ ﷺ يذكر الله على كلِّ أحيانه " رواه مسلم .

٣) يجوز للجنب الاستماع لقراءة القرآن لكن من دون مسِّ المصحف ، ومن دون أن يحرِّك لسانه بالقراءة[(٢)] .

د. يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن حفظًا ، وتعليمه لأولادها ، وكذا تدريس المعلمة طالباتها القراءات وأحكام التجويد وغيرها[(٣)] .

٤) فرَّق العلماء بين الجنب والحائض في الحكم ؛ لأن الجنب يملك رفع الحدث عن نفسه بخلاف الحائض والنفساء فإنَّ مدتها تطول ، ولم يثبت في منعها من قراءة القرآن حديث صحيح ، وأما الجنب فقد ثبت أنَّ النبيَّ r لم يكن يحجزه شيء عن القرآن سوى الجنابة، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء قولهم : « الجنب لا يمس المصحف ، ولا يقرأ القرآن ولا يعلمه الطلاب حتى يغتسل »[(٤)] .

ثانيًا : الطهارة عند مسّ المصحف :

١) إذا أراد المسلم مسَّ المصحف وجب عليه الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ، وهذا قول جمهور أهل العلم، وهو الذي عليه الأئمة الأربعة ، وقد جاء في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه النبيُّ ﷺ إلى أهل اليمن وفيه: « وألا يمس القرآن إلا طاهر »[(٥)] ، وقد صححه جماعة من الأئمة .

٢) لا يجوز للحائض ولا للنفساء مسُّ المصحف عند جمهور العلماء .

٣) من عليه جنابة إذا مرَّ بآية حال القراءة في كتب تفسير القرآن وكتب أهل العلم فلا تشترط الطهارة لا من الحدث الأصغر ولا الأكبر ؛ وذلك أنه يجوز تبعًا ما لا يجوز استقلالاً .

٤) ذهب جمهور الفقهاء إلى منع الكافر من مسِّ المصحف، وتحريم تمكينه منه ، وهو أولى بالمنع من المسلم ؛ لأنه يُخشى من امتهانه له ، لكن يجوز تمكينه من سماع القرآن ، وكتابة الآية والآيتين له كما فعل النبيُّ حين أرسل كتابًا إلى هرقل عظيم الروم وضمنه آية من القرآن ، وكذا يجوز مسُّ الكافر لترجمة معاني القرآن ، وبعض كتب العلم المضمنة بعض آيات القرآن .

٥) القراءة في المصاحف الرَّقمية التي في الهواتف الجوالة وفي الأجهزة الكفية والحواسيب، والتي يمكن للقارئ أن يتصفحها كما لو كان مصحفًا ورقيًا ، فهذه لا تأخذ حكم

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ١٢) .
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٠/ ١٥٢) .
(٣) فتاوى نور على الدرب للشيخ ابن باز (٢٦/ ١٦٥) ، مجموع فتاوى ابن عثيمين (١١/ ٢٧٣) .
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٥/ ٣٨٠) .
(٥) موطأ مالك برقم (٤٦٨) ، وسنن الدارمي برقم (٢٢٦٦) ، وقال الشيخ ابن باز : إسناده جيد .

المصحف ، فيجوز لمسها من غير طهارة ، ويجوز دخول الخلاء بها بعد غلقها ، وذلك لأن كتابة القرآن في الجوال ليس ككتابته في المصاحف .

٦ في قراءة القرآن من الجوال والأجهزة الكفيَّة تيسير للحائض ، ومن يتعذر عليه حمل المصحف ، أو كان في موضع يشقُّ عليه فيه الوضوء ، لعدم اشتراط الطهارة للمسه.

٧ يستحبُّ تعويد الأطفال وتنشئتهم على الطهارة عند مسِّ المصاحف ، لكن ذلك لا يجب على الراجح ؛ وذلك لمشقّة تكليفهم بالطهارة ورفعًا للحرج الذي يلحق بالمعلمين والمتعلمين ، ويكون مسُّ المصحف من جوانبه دون لمس حروفه ، أو بمتابعة قراءة الكلمات من خلال الإشارة بالقلم أو المسواك أو نحو ذلك .

ثالثًا : أحكام أخرى تتعلق بالمصحف وقراءة القرآن :

١ يستحبُّ عند جمهور العلماء أن القارئ إذا مرَّ بآية فيها سجدة أن يسجد ، وله أن يقول فيها مثلما يقول في سجود الصلاة : "سبحان ربي الأعلى" ، "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" ، "اللهم لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت" ، "سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، تبارك الله أحسن الخالقين"، وله أن يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة[1] ، وقد قال النبيُّ ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء " رواه مسلم .

٢ إذا بلِي المصحف فإنه يُدفنُ في مكانٍ طاهر، قال ابنُ تيمية: « المصحفُ العتيقُ، والذي تخرَّق وصار بحيث لا يُنتفَع به بالقراءة فيه، فإنه يُدفن في مكان يُصانُ فيه "[2]، وكذا إحراقه لمصلحة شرعية راجحة تعظيمًا له وخوفًا من إهانته وابتذاله ، وقد أمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بتحريق المصاحف المخالفة للمصحف الإمام حين جمع القرآن ، وكان هذا بمشهد من الصحابة .

٣ اتفق العلماء على استحباب الترتيل لمن يقرأ القرآن ما لم يخرجها عن حدِّ القراءة بالتمطيط ، وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بذلك فقال : « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » ، واتفقوا على استحباب تحسين الصوت بالقرآن كما قال النبيُّ ﷺ: (زيِّنوا القرآن بأصواتكم) رواه البخاري ومسلم ، وقال : (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن) رواه البخاري .

٤ يستحب إذا مرَّ بآية رحمة أن يسأل الله الرحمة والمغفرة، وإذا مرَّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله من عذابه وأليم عقابه. يستحب أن يقرأ بترتيب المصحف من الفاتحة إلى الناس؛ وذلك أنه ترتيب المصاحف اليوم تتوافق مع العرضة الأخيرة التي عارض فيها جبريل النبيَّ ﷺ قبل وفاته ، وهي بمنزلة المراجعة النهائية للكتاب الحكيم ، فيقرأ في الركعة الثانية سورة تلي ما قرأه في الركعة الأولى من حيث ترتيب المصحف ، كأن يقرأ سورة الأعلى ثم الغاشية .

٥ تختلف أفضلية القراءة من المصحف أو القراءة حفظًا باختلاف الأحوال والأشخاص ، والمعتمد في هذا الباب هو وجود الخشوع والتدبر وتفهم كلام الله ﷻ ، فقد تكون القراءة عن ظهر قلب أفضل في سكنة الليل عند هدوء الأصوات وقلة الشواغل ، وقد تكون القراءة من المصحف أفضل مع الضجيج وارتفاع الأصوات وكثرة الصوارف ؛ ولذلك قال الإمام النووي : " إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل،وإن استويا فمن المصحف أفضل »[3] .

٦ قراءة القرآن التي فيها مضاعفة الحسنات هي التي تكون بتحريك اللسان ، وقد قال الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٠/ ٤٤٨) .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٥٩٩) .

(٣) الأذكار للنووي (ص١٠٧) .

محمد العثيمين رحمهما الله : « لا يحصل للقارئ فضل القراءة إلا إذا تلفظ بالقرآن ؛ لأنه لا يسمى قولاً إلا ما كان منطوقًا به، ولا نطق إلا بتحريك الشفتين واللسان ، وأما النظر في القرآن للتدبُّر وتفهم الآيات فهو خير ، ولكنه لا يعتبر قراءة[1] .

٧ بعض الناس يلتزم قول : (صدق الله العظيم) في نهاية التلاوة ، والأولى بالمسلم ترك ما لم يدل عليه الدليل من الكتاب والسنة ، وقد أفتت اللجنة الدائمة بأنَّ التزامها دائما بدعة يجب تركها لقوله ﷺ : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ »[2] .

٨ الإنصات لقراءة القرآن كي تتحقَّق للمؤمن الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ ، وقد أوجب جمهور أهل العلم الإنصات حال الصلاة ، أما في غير الصلاة فالأمر على الندب والاستحباب.

لم يثبت في تقبيل المصحف حديث عن النبي ﷺ ، وقد قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : " لا نعلم دليلاً على شرعية تقبيله ، ولكن لو قبله الإنسان تعظيمًا واحترامًا عند سقوطه من يده أو من مكان مرتفع فلا بأس»[3] .

٩ البركة التي تنال بالقرآن هي بالعمل به ، وليس بتعليقه في المجالس أو السيارات أو وضعه أحرازًا على الصدور ، فإنَّ ذلك بدعةٌ لا أصل لها في الشرع .

١٠ - ينبغي للمسلم تعاهد القرآن وعدم هجره : وقد قال بعض أهل العلم أنَّ أكثر مدة يختم فيها القرآن هي أربعين يومًا ، لكن الصواب أنه كلَّما طالت المدَّة كلَّما تحقَّق الهجر.

رابعًا : آداب متعلقة بقراءة القرآن :

١ المصحف له خصوصيته لما اشتمل عليه من كلام الله تعالى، فينبغي التعامل معه بغاية الأدب والتوقير والتعظيم، وتربية الصغار على محبته وتعظيمه حتى ينشأ على توقيره ويرى ذلك في سلوك الكبار فيستقر هذا الأدب في نفسه .

٢ احترام المصحف وتعظيمه ، بحيث يرفع عن الأرض ولا تتخطاه الأقدام ، ولا يستدبر ، ولا تمدَّ الأرجل باتجاهه، إلا أنْ يكون على مكانٍ مرتفع عن المحاذاة ، ولا يوضع فوقه شيء ولو كانت كتب علم ، وبالحرص على نظافته، وعدم الكتابة عليه .

٣ من تكريم المصحف أن تكون اليد اليمين هي الوسيلة عند حمله للقراءة فيه إلا في القراءة الطويلة فيراوح بين يديه، وكذا يستحب التيامن عند أخذه وإعطائه، ويكون ذلك مناولة يدًا بيد ، فلا يسوغ أن ترميَ به إلى صاحبك ولو كان قريبًا منك ، حيث يظهرُ في هذا ضعف إجلالك وتعظيمك لكتاب ربك .

٤ من الأدب مع القرآن ألا يُعرِّضه الشخص للتَّلف، أو يضعه في مكانٍ تُصيبه حرارةُ الشمسِ كالسيارة مثلاً .

ينبغي للقارئ اجتناب اللغط، والحديث خلال القراءة، إلا كلامًا يضطرُّ إليه ، وأن يمسك عن القراءة إذا عرض له ريح أو تثاؤب.

خامسًا : أحكام تتعلق بالقراءات :

١ القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ هي من كلام الله ﷻ .

يجوز قراءة القرآن بالقراءات السبع المتواترة ، وبالقراءات العشر المجمع عليها ، ولا تجوز بالقراءات الشاذة ، وإذا ابتدأ بقراءة أحد القرَّاء فينبغي أن يستمرَّ على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطًا، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى ، والأولى دوامُه على الأُولى في هذا المجلس .

٢ **للقراءة الصحيحة ثلاثة شروط**[4] :

- أن توافق العربية ولو بوجه .

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٨/ ٣٦٣) ، ولقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين (٢٠/ ١٥).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ١٤٩) .
(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٢٨٩) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (ص ٢٥٨) .

- أن توافق المصحف العثماني ولو احتمالاً .
- أن تكون متواترة صحيحة السند .

ومتى اختلَّ شرط من هذه الشروط الثلاثة فهي قراءة شاذة أو باطلة .

٣ قراءة القرآن بكلِّ القراءات الصحيحة جائز من حيث الأصل في الصلاة وفي غيرها، وقد يقال: مستحبة، لا سيما إن قُصد بها تعريف الناس من العوام وغير المتخصصين بهذه القراءات التي هي من كلام الله ، لكن قد يُعدل عن هذا الأصل سدًّا لذريعة الفتنة التي يبتلى بها بعض العامة عند سماعهم لقراءة لم تعتدها أسماعهم ولم تألفها نفوسهم .

٤ القراءات الصحيحة سنة متَّبعة يلزم قبولها والمصير إليها ، وأما القراءات الشاذة إذا صحَّ سندها فلا تعتبر قرآنًا ، لكن يمكن الاستفادة منها والعمل بما دلت عليه ؛ تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد[1] .

سادسًا : خصائص القرآن الكريم وفضل تعلمه وتعليمه :

١ أنه شفاء و رحمة قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢.

٢ أنه فرقان بين الحقِّ والباطل قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

٣ أن فيه المخرج من كلِّ فتنة قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إبراهيم: ١ .

٤ القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة قالﷺ: « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » رواه مسلم .

٥ القرآن سبب الرفعة في الدنيا و الاخرة قال ﷺ: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين » رواه مسلم .

٦ معلِّم القرآن و متعلِّمه هم خير الناس لقوله النبيِّ ﷺ: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " رواه البخاري .

سابعًا : الاستعاذة والبسملة لمن أراد قراءة القرآن له حالات:

١ قبل البدء بالقراءة يستحبَّ عند جمهور من العلماء أن يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، سواء ابتدأ القراءة من أوَّل السورة أم من وسطها ؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨ .

٢ يستحبُّ في بداية كلِّ سورة عدا سورة براءة أن يقول : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، وقد نزلت البسملة للفصل بين سور القرآن ، وأما إذا كانت قراءته من وسط السورة فهو مخير بين قراءة البسملة وتركها ، وجمهور العلماء والقرَّاء يجيزون ذلك .

٣ من يقرأ سورًا متتالية فإنه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أوِّل القراءة فقط ، ولا يستحبُّ له أن يستعيذ مع بداية كلِّ سورة ، بل بالبسملة وحدها .

---

(١) قواعد التفسير للدكتور خالد السبت .



مقاصد القرآن الكريم

مقاصد القرآن هي : المعاني والغايات والحِكم التي أنزل الله ﷻ القرآن من أجلها .

فائدة المقاصد القرآنية : معرفة مقاصد القرآن وتحقيقها في واقع الحياة هو من الغايات الكبرى للمؤمن، وهو المعين على فهم كتاب الله العزيز ، وامتثال أوامره ونواهيه ، وتدبُّر آياته والانتفاع بعظاته .

مقاصد هذا الكتاب السماويّ:

إنَّ من أهمِّ وأعظم ما جاء به القرآن الكريم بيان أصول الدين ومعاقد الملة ؛ كإثبات وحدانية الله ﷻ وإفراده بالعبادة ، وإثبات ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وتقرير البعث والجزاء والنبوات ، وتصحيح العقائد والتصورات، وتزكية النفوس البشرية، وإقامة العدل بين الناس، وغير ذلك من المعاني والغايات الجليلة .

وقد اعتمد القرآن في إثبات هذه الأصول ؛ الحجج القطعية والبراهين اليقينية والدلالات العقلية ، مع ما امتاز به من السهولة والوضوح وتيسير الفهم ، وبناءً على هذا فيمكن أن يقال على جهة التفصيل إنَّ من أبرز وأجلِّ المقاصد التي جاء بها القرآن الكريم ما يلي :

١ تقرير الإيمان بالله ﷻ والدعوة إلى توحيده :

حيث جاءت الآيات القرآنية تحثُّ على الإيمان بالله والدعوة إليه ا وتبيِّن أنَّ له ﷻ الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وتخبر عن عرشه وملائكته وخلقه السموات والأرض وغير ذلك ، وتُعرِّف العباد بخالقهم وفاطرهم، وتربطهم بمتولي شؤونهم ومدبِّر أمورهم ، وأنه وحده المستحقُّ للتعظيم والإذعان والعبادة والإيمان .

ومما يندرج تحت هذا المقصد : تصحيح عقائد الناس وتخليصها من الشرك والخرافة ، وإصلاح عبادات الناس وتخليصها من البدع والضلالات .

٢ إثبات رسالة نبينا محمد ﷺ ورسالات الأنبياء قبله :

أخبر الله ﷻ برسالات أنبيائه ، وذكر معجزاتهم وأحوالهم مع أقوامهم ، وأن نبينا محمدًا ﷺ هو امتداد للرسالات التي يصطفي لها من يشاء من عباده ، وأنه ﷺ أتى بمثل ما أتوا به من أصول الاعتقاد وأركان الإيمان وأصول الأخلاق ، مع إيمانه بهم وإخباره بصدق رسالتهم ونبوتهم وشرائعهم ، وأنه ﷺ دعا إلى ما دعوا إليه من العدل والصدق والصلاة والزكاة وترك الظلم والفواحش وغير ذلك مما جاءت به جميع الشرائع السماوية .

وقد جاء في القرآن من آيات نبوَّة محمد ﷺ وبراهين رسالته ما يقطع بأنه رسول الله حقًّا وصدقًا ، وأتى فيه من الدلائل والحجج والشواهد ما يدعو إلى الإيمان به ونصرته وتأييده واقتفاء أثره والعمل بسنته والسير على هديه .

وقد أخبر بقصص السابقين التي لا سبيل للعلم بها ومعرفتها إلا عن طريق الوحي ، كخبر عيسى عليه السلام وأمه وولادتهما ونشأتهما، وقصة موسى عليه السلام وولادته ونشأته مما أدهش أهل الكتاب وغيرهم، وأخرس ألسنتهم حتى لم يقدر أحد منهم ممن كان في وقته، ولا ممن كانوا بعده أن يكذِّبوا بشيء منه . وقد تضمَّن من أخبار الأولين والآخرين ما لا يعلمه اليهود ولا غيرهم .

وقد أظهر الله على يديه من المعجزات، وأجرى له من الخوارق والكرامات ما يشهد أنه رسول الله الذي يجب على الناس اتِّباعه والإيمان به .

وأخبر الله ﷻ في هذا القرآن أنه يحفظ نبيَّه ويعصمه من

جميع الخلق، فلم يستطع الأعداء مع كثرتهم أن ينالوا منه ، ولا أن يهزموه مع تكالبهم عليه، وجِدّهم في الإيقاع به بكلِّ ما في وسعهم، فقد عصمه الله ومنعه منهم ونصره على الأمم الذين هم أقوى أهل الأرض يومئذ .

٣ تقرير القيامة وبعث الناس من قبورهم وعرضهم للجزاء والحساب :

أكثر الله من ذكر القيامة في كتابه وقرّره بطرق كثيرة وأساليب متنوِّعة، وأقسم عليه في مواضع من القرآن ، وأوجد لهم من البراهين الشرعية والحجج العقلية والأدلة الفطرية ما يقرِّر به بعث الناس من قبورهم ، وأنه لا يترك خلقه سدى مهملين، بل أخبر أنه سيبعثهم ويجازيهم على أعمالهم ، وذكَّر العباد بالنشأة الأولى، وأنَّ الذي أوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكوراً، لابد أن يعيدهم كما بدأهم .

وقرَّر بسعة علمه وكان من عظيم قدرته وكمال حكمته أن أرى بعض عباده إحياء الموتى كما في قصة صاحب البقرة والألوف من بني إسرائيل، والذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم الخليل مع الطير، وإحياء عيسى بن مريم للأموات وغيرها ؛ وذلك ليعلموا أنه قوي ذو اقتدار، وأن العباد لابد أن يَرِدوا دار القرار، إما إلى جنة وإما إلى نار .

٤ الدعوة إلى تزكية النفوس وإصلاح الأخلاق :

من مقاصد القرآن الكريم : الدعوة إلى تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق ، وقد عُنِيَ القرآن في العهد المكي بالقضاء على ما ورثه الناس عن آبائهم، وما ابتدعوه من عند أنفسهم من عادات سيئة ومعتقدات فاسدة كسفك الدماء وأكل مال اليتيم ووأد البنات والتطفيف في الكيل والوزن، وغير ذلك من الرذائل ، ثم دعاهم إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهانًا عمليًّا على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد ، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠ .

وقد جاء في كتاب الله بيان الأغذية النافعة التي تصح بها القلوب والأرواح وتكون سببًا للقرب من الله والأنس به، وقد أخبر الله ﷻ أنَّ هذا القرآن هو كتاب هداية العقول وتربية النفوس ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ الإسراء: ٩، وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ الإسراء: ٨٢ .

وقد كان النبيُّ ﷺ يمتثل كلام الله ﷻ ويعمل به ، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: " كان خلقه القرآن"[1] ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" [2] ، وقد قال الحقُّ جلَّ شأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ الجمعة: ٢ ، وأخبر أنه إنما أنزل القرآن على نبيه ﷺ لأجل إصلاحهم وتزكية نفوسهم كما قال تعالى : ﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ الأعراف: ١٥٧ .

٥ الاعتصام بحبل الله والتزام جماعة المسلمين ونبذ الفرقة وحفظ نظام الأمة :

من المقاصد العظمى التي قررها القرآن الكريم : الاعتصام بحبل الله ، والاجتماع على دينه ، والاحتماء بالحقِّ الذي فيه ، والتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على أعداء الله وأعداء المسلمين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأنَّ ذلك من أسباب القوة والعزة والأمن والتمكين لأمة الإسلام ، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ آل عمران: ١٠٥ .

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٠٦٤٢) ، وهو صحيح على شرط الشيخين .

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٥٩٨) ، وهو صحيح على شرط الشيخين .

وقد كشفت الآيات في العهد المدني عن أحوال المنافقين الذين كانوا أشدَّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من مكر وخداع، وإعلام المسلمين باتخاذ الحيطة والحذر من كيدهم وإرجافهم بالمسلمين ، ومراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، ومجاهدتهم بالحجة والبرهان، والإغلاظ عليهم في القول والمعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله والتمسُّك بدينه .

وقد تضمَّنت كذلك دعوة أهل الكِتَاب إلى الإسلام ومجادلتهم بالحُجَّة والبرهان في معتقداتهم الباطلة، وشبههم الزائفة، وبيان جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردِّهم عن غيِّهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام .

٦ الإخبار بسنن الله في الآفاق والأنفس والأمم :

أخبر الله ﷻ في كتابه بتسيير أمور هذا الكون على نظام غاية في الإحكام والانتظام ، والثبات والاطراد ، على أساس من العدل التام والعلم المحيط والقدرة النافذة ، وقد خصَّ الإنسان بنظام يلائم طبيعته ووظيفته ، وأمره بالسَّير في الأرض والنظر والاعتبار في أحوال السابقين .

وإنَّ من سنته ﷻ في هذا الكون أن ربط بين الأسباب والمسبَّبات ، وربط النتائج بالمقدِّمات ، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب ، والله ﷻ خالق الأسباب والمسبَّبات [(١)] .

وقد قصَّ الله ﷻ من أحوال الأمم وما حلَّ بهم ؛ لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم فيصيبنا ما أصابهم ، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٧ - ١٣٨ ، ولولا اطراد هذه السنن لما أمكن الاتعاظ والاعتبار ؛ فإنَّ ما جرى لهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم .

وقد أخبر تعالى في القرآن بقصص الأنبياء مع أممهم ، وأخبر بقصص كثيرة كقصة أصحاب الكهف والملك ذي القرنين وقارون ونمروذ وشدّاد وأصحاب الفيل وغيرهم، وفي كلِّ واحدة منها من العِبَر والعظات وبيان سنة الله تعالى في هلاك المكذبين ونجاة المؤمنين ما لا يُعدُّ ولا يُحصى ، قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٢ .

٨ تشريع الأحكام وبيان الحقوق والواجبات :

لما قام أمر الإيمان في القلوب وتحقق في الصدور أنزل الله أحكامه وشرائع دينه كي يتعبد الناس بها لربهم ويمتثلوا أمره ونهيه ، وقد ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا، وغير ذلك .

وقد أقام القرآن العظيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ، يبدأ بتربية الفرد حيث يحرِّر وجدانه بعقيدة التوحيد ، ويأمره بأداء العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ويدعوه إلى الأخلاق الحسنة كالإيثار والجود والكرم والصبر والأمانة ، ويغرس في نفسه المسئولية الفردية، وينتقل به إلى بناء الأسرة ؛ لأنها نواة المجتمع فيشرع الزواج ويقيم رباط الأسرة على الودِّ والرحمة والعشرة بالمعروف ، ثم يقرِّر كيفية قيام الدولة التي تسود المجتمع، وأنها تقوم على الشورى وعلى العدل ومراعاة الضرورات الخمس ؛ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض، والمال؛ حتى يسود العدل والأمن بين الناس ، ثم يقرِّر العلاقات الدولية في الحرب والسلم في أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية .

وهذه الأصول دعا إليها القرآن في الفترة المكية ، وفصَّلها في العهد المدني ، ووضع لها القواعد والضوابط، فما نزل بالمدينة تابع لما نزل بمكة في أصوله العامة .

---

(١) ـ انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٧٠) .



قواعد في تدبر كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ

المراد بتدبر القرآن :

التأمل والنظر في معاني الآيات بقصد معرفة الحق واعتقاد ما تضمنته، والعمل به.

خطاب القرآن موجه لقلب الإنسان :

جاء خطاب القرآن موجه لقلب الإنسان فإذا انتفع القلب انتفعت جميع الجوارح، والمقصود الأعظم من تنزيل القرآن تدبر آياته قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ ، وقد جاء في القرآن أربع آيات حاثة على تدبر كلام الله ﷻ وهي بالإضافة للآية السابقة قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٦٨

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤

من قواعد تدبر القرآن :

القاعدة الأولى: استشعارُ أن القرآن كلام الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٧٤ ، وكتاب الله لا تنقضي عجائبه، فإذا عَظُمَ في صدرِك تعظيمُ القرآن ومحبته لم يكن عندك شيءٌ أرفعُ، ولا أنفعُ من استماعِ كلام الله ﷻ وتدبره ، قال الحسن بن علي رضي الله عنه: (إنَّ مَنْ كان قَبْلَكُمْ رأوا القرآنَ رسائلَ مِنْ ربِّهِمْ، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويَتَفَقَّدُونَها في النهار)[١]

القاعدة الثانية: أن يكون القصد من التلاوة التعلم والعمل :

قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ ، وقال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧، وقال ابن مسعود رضي الله عنه (إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين) ، وقال رضي الله عنه في بيان المراد بقوله تعالى: (يتلونه حق تلاوته) قال : (والذين نفسي بيده ، إن حق تلاوته أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله)[٢] .

القاعدة الثالثة: الحرص على حضور القلب أثناء التلاوة :

حضور القلب وإلقاء السمع وتكرار الآية مما يعين المؤمن على استحضار المعاني الكثيرة ، ولقد قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ، وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ المائدة: ١١٨ ، قال ابن القيم : (إذا أردْت الِانْتِفَاع بِالْقُرْآنِ فاجمع قَلْبك عِنْد تِلَاوَته وسماعه وألْقِ سَمعك واحضر حُضُور من يخاطبه بِهِ من تكلّم بِهِ سُبْحَانَهُ ، فانه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ)[٣] .

القاعدة الرابعة: : اليقين أن القرآن حق وصدق :

كل من تدبر كتاب الله تعالى بصدق أوجب له علماً ويقيناً قال الله تعالى : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ الإسراء:١٠٥(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) ، ولذا عوتب المنافقين على إعراضهم عن طاعة الرسول ﷺ بعدم تدبرهم لكتابه فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ ، وقال الله تعالى في شأن أهل العلم والإيمان: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ سبأ: ٦ .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٤٥

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥١٣

(٣) الفوائد لابن القيم ص ١

القاعدة الخامسة: فهم معنى الآية وتفسيرها ومراعاة مواضع الوقف والابتداء.

من أعظم الأسباب المعينة على التدبر فهم معنى الآية من جميع جوانبها من أجل تحقيق المقصود من التدبر، وبعض الأحيان يترك للعقل مطلق التأمل والتدبر في ما لم يذكر كما في قول الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ١ - ٢.

قال الشوكاني: (ولم يقل : الهاكم التكاثر عن كذا ، بل أطلقه؛ لأن الإطلاق أبلغ في الذمّ؛ لأنه يذهب الوهم فيه كلّ مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام، ولأن حذف المتعلق مشعر بالتعميم)[١].

القاعدة السادسة: التأني والتمهل عند القراءة لكي يلين القلب ويخشع :

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣ ، والتأني عند القراءة أدعى للفهم والتدبر كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤ ، قال ابن كثير في تفسيرها: (اقرأه على تمهُّل، فإنَّه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبُّره)، وقالت حفصة رضي الله عنها : (كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسُّورة فيُرتّلها حتَّى تكون أطول من أطول منها) رواه مسلم .

القاعدة السابعة: الوقوف عند عظات القرآن وقصصه وأخباره :

كتاب الله تعالى اشتمل على وعد ووعيد وقصص ، وأخبار وأهوال يوم القيامة ونهاية الحياة الدنيا ، فتدبرها يعين على طاعة الله والتمسك بدينه قال الله تعالى:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩.

ثمرات التدبر

لتدبر كتاب الله ثمرات كثيرة منها:

معرفة معاني أسماء الله وصفاته فمن عرف ربه وعبده حق عبادته وامتثل أمره واجتنب نهيه تحققت له السعادة التي يجد أثرها في نفسه وحياته.

حصول تقوى الله والقُرْبِ مما يحبُّه الله ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال: ٢٩ ، فالعلمُ نورٌ يقذفه الله في قلوب عباده، وكلما ابتعدَ المسلمُ عن المعاصي كان أقربَ إلى التلذذ بمعاني التنزيل الحكيم والصراط المستقيم لأن القرآن العظيم نور ، وفهمه يحتاج إلى نورٍ من الله قال الله تعالى :﴿لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور: ٤٠ .

حصول الهداية والاعتبار وزيادة الإيمان وانشراح الصدر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤ ، وقال الله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢ ، قال السعدي: (ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويُحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ومما يزداد به الإيمان)[٢].

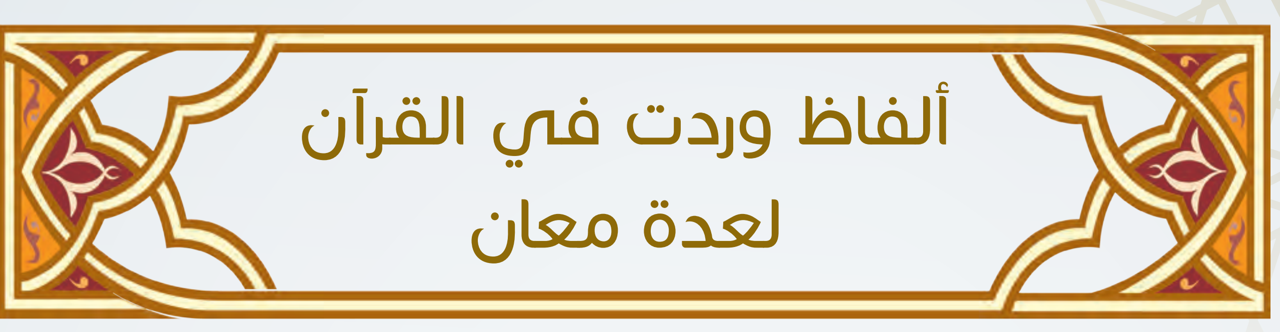
حصول خشية الله ورجائه والخوف منه ورقة القلب وخضوعه قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝١٠٦ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩.

تدبر القرآن يورث العمل بأوامره واجتناب نواهيه استجابة لله ورسوله ﷺ قال جل وعلا : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾ المائدة: ٨٣ .

---

(١) فتح القدير للشوكاني ج٥ص ٧٩٥

(٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٥١٣



ألفاظ وردت في القرآن لعدة معان

بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أُفرد دلَّ على المعنى العام المناسب له ، وإذا قُرن مع غيره دلَّ على بعض المعنى، ودلَّ ما قُرن معه على باقيه ، وإذا كان للاسم الواحد معانٍ عدَّة حُمل في كلِّ موضع على ما يقتضيه ذلك السياق ، ومن أمثلة ذلك :

الأمّة:

جاءت في القرآن بمعنى :

الإمام الجامع لخصال الخير، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ النحل: ١٢٠.

الطائفة ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ فاطر: ٢٤.

الملَّة والدِّين ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المؤمنون: ٥٢.

المدَّة الطويلة ، قال تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ يوسف: ٤٥

السلطان:

أكثر استعماله في القرآن بمعنى الحجة، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ يونس: ٦٨، وقوله : ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ إبراهيم: ١٠ ﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ الحاقة: ٢٩ .

ويأتي بمعنى التسلط والسيطرة مثل قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ٩٩ - ١٠٠ .

اللسان:

ورد في القرآن بمعنى الجارحة مثل قوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ القيامة: ١٦، وقوله : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ الفتح: ١١.

ويأتي بمعنى اللغة كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ﴾ إبراهيم: ٤ ، وقوله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥ .

وبمعنى الثناء الحسن كقوله : ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ الشعراء: ٨٤.

استوى:

وردت في القرآن على ثلاثة أوجه :

تارة تُعدَّى بعلى فتدل على العلو والارتفاع مثل قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٩ ، وقوله : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ الزخرف: ١٣ .

وتعدَّى بإلى فتدل على القصد مثل قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٩ .

وتأتي بلا تعدية بحرف فتدل على الكمال، ومنه قوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ القصص: ١٤.

أي: كمل في عقله وأحواله كلها.

التأويل:

أكثر وروده في القرآن بمعنى عاقبة الشيء وما يؤول إليه ووقت وقوعه مثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾ الأعراف: ٥٣ أي: وقوع المخبر به من العذاب ، وقوله : ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ يوسف: ١٠٠

أي: هذا ما آلت إليه وهذا وقوعها.

وقد يأتي بمعنى التفسير وهو قليل، ومنه على أحد التفسيرين: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٧ أي: تفسيره، وعلى القول الآخر يكون من المعنى الأول، أي:

وما يعلم حقيقة المخبر عنه إلا الله وحده، فعلى هذا المعنى يتعين الوقوف على (اللهِ) ، وعلى المعنى الأول الذي بمعنى التفسير يعطف عليه: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧

أي: فما يعلم تفسير المتشابه الذي يتشابه فهمه على أذهان أكثر الناس إلا الله وإلا أهل العلم، فإنهم يعلمون تأويله بهذا المعنى.

الغافل:

ورد في القرآن بمعنى الجاهل مثل قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يس: ٦ .وبمعنى النسيان لذكر الله وذكر طاعته، كقوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠٥، وقوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ الكهف: ٢٨ .

المعية:

وهـي إخبار الله أنه مع عباده ، وهـي ترد في القرآن على أحد معنيين: المعية العامة، كقولـه تعالـى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ المجادلة: ٧ أي: هو معهـم بعلمه وإحاطته. المعية الخاصة، وهي أكثر ورودًا في القـرآن، وعلامتها أن يقرنهـا الله بالاتصـاف بالأوصاف التـي يحبُّهـا، والأعمال التـي يرتضيها مثـل قوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ البقـرة: ١٩٤ ، وفي أخـرى : مـع المحسـنين ومـع الصابريـن ، وقولـه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبـة: ٤٠ ، وقولـه : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ طـه: ٤٦ ، وهـذه المعية تقتضي العناية من الله والنصر والتأييد والتسديد بحسب قيام العبد بذلك الوصف الذي رتبت عليه المعية.

العبد :

يرد في القرآن على نوعين:

النـوع الأول: العبوديـة العامة مثل قولـه تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ مريـم: ٩٣ أي: معبَّـدا مملوكًا لله .

النوع الثاني: العبودية الخاصة، وهي تقتضي أن العبد بمعنى العابد المتعبِّد لربه القائم بعبوديته، وذلك مثل قوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الفرقان: ٦٣ ، وقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ الفرقان: ١وقوله : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ الزمر: ٦٣، فبحسب قيام العبد بعبودية ربه تحصل له كفاية الله.

القنوت :

يرد في القرآن على قسمين:

قنوت عام مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ الروم: ٢٦ أي: الـكل عبيـد خاضعـون لربوبيتـه وتدبيره.

النوع الثاني: وهو الأكثر في القرآن: القنوت الخاص، وهو دوام الطاعة لله على وجه الخشـوع مثل قوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ الزمر: ٩ ، وقوله : ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨، وقوله : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى ﴾ آل عمران: ٤٣، وقوله : ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ الأحزاب: ٣٥ ونحوها.

اليقين :

ذكـر الله اليقيـن في مواضـع كثيـرة مـن القـرآن في المحل العالي من الثناء، وأخبر أن اليقين هو غاية الرسـل بقوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ الأنعام: ٧٥ ، وأنـه بالصبـر واليقين تنال الإمامة في الديـن، وأن الآيات إنما ينتفع بها الانتفاع الكامل (الموقنـون)، فحقيقة اليقين هو العلم الثابت الراسـخ التام المثمر للعمل القلبي والعمل البدني.

أما آثار اليقين العلمية فثلاث مراتب:

علـم اليقيـن : وهـي العلـوم الناتجة عـن الأدلـة والبراهين الصادقـة الخبرية، كجميـع علوم أهل اليقيـن الحاصلة عن خبر الله وخبر رسوله وأخبار الصادقين .

عين اليقين : وهي مشاهدة المعلومات بالعين ، كما طلب الخليل إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فأراه الله ذلك بعينه ، وغرضه ﷺ الانتقال من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين .

حق اليقين: وهي المعلومات التي تحقَّق بالذوق، كذوق القلب لطعم الإيمان، والذوق باللسان للأشياء المحسة.

علم يقين : إذا ثبت بالخبر، وعين يقين : إذا شاهدته بالبصر، وحق يقين : إذا ذاقه العبد وتحقق به.

الظن

الظن ورد في القرآن على وجهين: وجه محمود، ووجه مذموم:

المحمود: ففي كل مقام مدح وجزاء بالخير والثواب، فإنه بمعنى العلم واليقين مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة:٤٦ أي: يتيقنون لذلك، ومثل قوله: ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ الحاقة: ٢٠ .

المذموم: ففي أغلب الآيات الواردة في الظن مثل: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ الأنعام: ١١٦، ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ يونس: ٣٦ ، ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ البقرة: ٧٨ ، وهو كثير، فهذا وما أشبهه فيمن قدم الظنون الكاذبة على الأخبار الصادقة؛ لأن الظن في الأصل يحتمل الصدق والكذب، ولكنه إذا ناقض الصدق قطعنا بكذبه.

الفرح :

الفرح ورد في القرآن محمودًا مأمورًا به في مثل قوله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يونس: ٥٨، فهذا فرح بالعلم والعمل بالقرآن والإسلام، وكذلك قوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ آل عمران: ١٧٠ فهذا فرح بثواب الله.

وورد منهيًا عنه مذمومًا مثل الفرح بالباطل وبالرياسات والدنيا المشغلة عن الدين في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ هود: ١٠ ، وقوله عن قارون: ﴿ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ القصص: ٧٦ ، وما أشبه ذلك، فصار الفرح تبعا لما تعلق به؛ إن تعلق بالخير وثمراته فهو محمود، وإلا فهو مذموم.

السعي :

ورد السعي في القرآن في آيات كثيرة، والمراد به الاهتمام والجد في العمل مثل قوله: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ الإسراء: ١٩ ، وقوله: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الجمعة: ٩ ، وقوله: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ الليل: ٤.

وورد في آيات أخرى بمعنى شدَّة المشي، وهو يتضمن الأول وزيادة في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ القصص: ٢٠ ، ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يس: ٢٠ .

الظلم :

ورد لفظ (الظلم) في القرآن بمعنى الكفر والشرك الأكبر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة:٢٥٤ ، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان:١٣ ونحوها.

وورد كثيرا بمعنى الجرائم التي دون الشرك كما هو حال الظالم لنفسه ، ومثل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١١٠ .

وورد أيضا عدة آيات يدخل فيها هذا وهذا .

ومثل هذا: (الفسق) والمعصية والذنب والسيئة والجرم والخطيئة ونحوها، فإنها وردت في القرآن لكل واحد من هذه الثلاثة، فتفسر في كل مقام بما يناسب ذلك المقام.

الهداية :

الفرق بين قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ القصص: ٥٦ وبين قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢

أن: هداية الإرشاد والتعليم والبيان هي التي أثبتها الله لرسوله ﷺ، بل ولكل من له تعليم وإرشاد للخلق كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء: ٧٣ ، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ الرعد: ٧ .

وأما هداية التوفيق ووضع الإيمان في القلوب فإنها مختصة

بـالله، فكما لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ويميت إلا الله، فلا يهدي إلا الله .

النفي في القرآن :

كلُّ نفي في القرآن فإنه يفيد فائدتين:

نفي ذلك النقص المصرح به .

إثبات ضده ونقيضه .

فيدخل في هذا أشياء كثيرة أعظمها أنَّ الله ﷻ أثنى على نفسه بنفي أمور كثيرة تنافي كماله، نفي الشريك في مواضع متعددة فيقتضـي توحُّـده بالكمـال المطلـق، وأنـه لا شـريك له في ربوبيته وإلهيته وأسـمائه وصفاته، ونفى عن نفسـه الصاحبة والولـد، وأن يكافئـه أحد أو يماثله، وذلـك يدلُّ على كماله المطلق وتفرُّده بالوحدانية والغنى والملك المطلق ، ونفى عن نفسـه السِّـنَةَ والنوم والمـوت؛ لكمال حياتـه وقيوميته، ونفـى كذلك الظلم في مواضع كثيرة، وذلك يدل على كمال عدلـه وسـعة فضله، ونفـى أن يخفى عليه شـيء في الأرض ولا في السـماء أو يعجزه شيء؛ وذلك لإحاطة علمه وكمال قدرته، ونفى العبث في مخلوقاته وفي شـرعه؛ وذلك لكمال حكمتـه، وهذه فائدة عظيمة فاحفظهـا في خزانة قلبك، فإنها خير الكنوز وأنفعها.

وكذلـك نفى الله عـن أهل الجنة الحـزن والكدر والنصب واللغـوب والمـوت وغيرها مـن الآفات، فيـدل ذلك على كمال سـرورهم وفرحهم واتصال نعيمهـم وكماله، وكمال حياتهـم وقـوة شـبابهم وكمـال صحتهـم، وتمـام نعيمهـم الروحـي والقلبـي والبدني مـن كل وجه، وأنـه لا أعلى منه حتى يطلب عنه حولا .

الخلود في النار :

ورد في القـرآن عـدة آيـات فيهـا ذكر الخلـود في النار على ذنوب وكبائر ليسـت بكفر مثـل قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣ ، ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء: ١٤، فما الجمـع بينها وبيـن النصـوص المتواترة من الكتاب والسـنة أنـه لا يخلد في النار إلا الكفـار، وأن جميع المؤمنين مهما عملوا من المعاصي التي دون الكفر فإنهم لا بد أن يخرجوا منها؟ .

هـذه الآيات قد اتفق السـلف فيها على أصل مجمع عليه، وهـو أنَّ ذكر الخلـود على بعض الذنوب التي دون الشـرك والكفر أنها من باب ذكر السبب، وأنها سبب للخلود في النار لشناعتها، وأنها بذاتها توجب الخلود إذا لم يمنع من الخلود مانـع ، ومعلوم بالضرورة من دين الإسـلام أنَّ الإيمان مانع مـن الخلود، فتنـزل هذه النصوص على الأصل المشـهور، وهو أنه لا تتم الأحكام إلا بوجود شروطها وأسبابها وانتفاء موانعها، وهذا واضح ولله الحمد .

ختم الآية باسم من أسماء الله :

كثيـرًا مـا تختـم الآيـات القرآنيـة باسـم ببعض الأسـماء الحسـنى للتدليـل علـى أنَّ الحكم المذكور لـه تعلق بذلك الاسـم الكريم ، وذلك مثل قولـه: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧، فيستفاد أن الفيئة يحبها الله، وأنه يغفر لمـن فاء ويرحمـه، وأن الطلاق كريه إلـى الله، وأما المؤلي إذا طلـق فـإن الله تعالى سـيجازيه على ما فعل من السـبب، وهو الإيلاء، والمسبب، وهو ما ترتب عليه، ومثل هذا قوله تعالـى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٤، أي: فإنكم إذا علمتم ذلك رفعتم عنـه العقوبـة المتعلقة بحق الله، وهذا كثيـر، وقد يصرح الله بالحكم ويعلله بذكر الأسماء الحسنى المناسبة له.



تفسير القرآن وأنواعه

القرآن يجب أن يفسر بما هو معلوم من منهج السلف ، ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد ، فإنه من القول على الله بغير علم ، وتأويله بتأويلات الباطنية وأمثالها كفر .

تفسير القرآن على نوعين :

الأول : التفسير بالمأثور ، وهو يستند على مصادر أهمها : تفسير القرآن بعضه ببعض ، ثم تفسير النبي r للقرآن ، ثم التفسير بأقوال الصحابة ، ثم التفسير بأقوال التابعين وأئمة الدين من أهل القرون الثلاثة المفضلة .

الثاني : التفسير بالرأي والاجتهاد ، وهو الذي يبنى على أسس النظر والاستدلال العقلي والاستنباط ، وهو على قسمين :

أ - تفسير محمود وصاحبه مأجور :

و هو ما كان موافقًا لقصد المشرِّع الحكيم ؛ متوافقًا مع قواعد اللغة العربية وأصول التفسير ، خاليًا من الهوى والعصبية ، وبعيدًا عن كل ضلالة وبدعة وجهالة ، فمن فسر على هذه الحال كان تفسيره جائزًا سائغًا مفيدًا .

ب - تفسير باطل مذموم ، وله حالتان :

١ تفسير محرم : وهو إما أن يكون نابعًا عن جهل ورأي مجرد ، وهذا يقع من بعض الناس دون استرشاد بنصوص الشريعة وأقوال العلماء ، ولا يخلو من خرص وتخمين ، وربما تجد صاحبه يخوض في الأشياء التي استأثر الله تعالى بعلمها ، أو يجزم بأنَّ المراد من كلام الله كذا وكذا على غير حقٍّ ، وهذا غالبًا ما يكون من قليل البضاعة في العلم ، فيدفعه الهوى والجهل إلى التصدر وإبداء الرأي عن غير هدى .

أو يكون نابعًا عن فساد معتقد وتعصب للمذهب : وذلك بأن يفسر القرآن بمقتضى ما تشربه من معارف وعلوم منحرفة، فيحكِّم عقله ورأيه بما وردت به النصوص ، دون علم بأصول الشريعة ودلالات اللغة العربية ومعاني الألفاظ.

وهذا النوع من التفسير من الضلال والباطل ، ومن أبرز أمثلته تأويل بعض صفات الله ﷻ ، كمن يؤول صفة اليدين بالقدرة والنعمة ، أو صفة الاستواء بالاستيلاء ، أو يؤول صفة الكلام بالمعنى القائم بالنفس ونحو ذلك ، أو بما تدعيه المعتزلة في نفي صفة الكلام عن الله ﷻ كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ النساء: ١٦٤" وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا " [الأعراف: ١٦٨] ، فينصبون لفظة الجلالة بدل رفعها ليكون المتكلِّم هو موسى عليه السلام .

٢ تفسير هو من الكفر : كمن يدعي أنَّ ألفاظ القرآن لها ظاهر وباطن ، وأنَّ الأذكياء أو الأئمة هم وحدهم الذين يدركون حقائقه وأسراره الغائبة ، فيقلبون المفاهيم الشرعية وفق أهوائهم ومعتقداتهم ، ويجعلون الإيمان كفرًا والكفر إيمانًا والحقّ باطلاً والباطل حقًا ، ويحملون كلام الله ﷻ على معان لا تليق به .

ومن أمثلة هذا النوع من التأويل الباطل :

أ تفسير الرافضة : فقد قالوا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ البقرة: ٦٧؛ المقصود بالبقرة هنا عائشة رضي الله عنها ، ولا شك أنَّ هذا كفر ، فهذا القول صادر من موسى عليه السلام لليهود، وعائشة لم تكن موجودة ذلك الوقت .

ب تفسير بعض الفرق الباطنية كالإسماعيلية والنصيرية والدروز : فقد زعموا أنَّ أركان الإسلام لها ظاهر يدركه العوام ، ولها باطن لا يدركه إلا أئمتهم ، وبعض هذه الأركان هي عبارة عن رموز لبعض الأئمة من آل البيت .

ومن أمثلة تحريفهم : استدلالهم على ما يسمونه بالتقمُّص وتناسخ الأرواح بقوله تعالى :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨ ، فينكرون يوم القيامة ؛ لأنَّ الروح تنتقل من حي عند موته إلى بدن آخر عند خلقه ، ويتأولون النصوص الواردة في القيامة بخروج إمامهم وظهوره بعد اختفائه ، ولا شك أنَّ ذلك من الكفر الصريح .

شروط مفسّر القرآن :

ولما تقدم عرضه وخطورة الكلام في تفسير القرآن بالهوى وبغير علم فقد اشترط علماء الإسلام شروطًا وقواعد لابدَّ من توافرها في مفسِّر كلام الله ﷻ ؛ صيانة للكتاب العزيز من العبث أو الجرأة عليه بقلب المفاهيم وتغييرها ، ومن ذلك :

١ صحّة الاعتقاد : فإن من انحرفت عقيدته يعتقد ما يراه ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه ، وكثيرًا ما تحمل العقيدة الباطلة صاحبها على تحريف النصوص وتأويل الآيات ؛ ليصد الناس عن الحقِّ وعن لزوم طريق الهدى .

٢ صحّة المقصد والتجرُّد للحقِّ : فإنَّ الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلاً ، ويصرفه عن غيره ولو كان حقًّا .

٣ أن يكون المفسر عالمًا بأصول التفسير : فينظر أولاً إلى آيات القرآن وتفسير بعضها لبعض ، ثم يطلب التفسير في أقوال النبي ﷺ من خلال النظر في دواوين السنة الصحيحة، فإنها شارحة للقرآن موضحة له ، فإذا لم يجد نظر في أقوال الصحابة الذين أخذوا العلم من مشكاة النبوة ، ثم يرجع إلى أقوال التابعين وأئمة الدين في القرون الثلاثة المفضلة .

٤ المعرفة بأصول العلوم المتصلة بالقرآن ، كعلم اللغة العربية ، فإنَّ القرآن نزل بلسان عربي مبين ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب دلالة اللغة .

٥ دقة الفهم التي تمكن المفسِّر من ترجيح المعنى الصحيح ، أو استنباط المعنى الذي يتفق مع نصوص الشريعة ؛ وقد وضع العلماء لصحة الاستنباط أربعة ضوابط:

١ أن لا يناقض معنى الآية الواضح الصريح .

٢ أن يكون المعنى صحيحًا في نفسه .

٣ أن يكون في اللفظ إشعار به .

٤ أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الاستنباط من الآية صحيحًا وحسنًا [(١)].

(١) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١/ ٩٧) .



فوائد من تفسير ابن كثير

١ عدد آيات القرآن العظيم ستة آلاف آية ، واختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال منها أنه (٦٢٣٦) آية .

٢ معنى السورة : يحتمل أنه من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره .

٣ معنى الآية : العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها ، فهي بائنة عن أختها .

٤ أجمعوا على أن ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط .

٥ معنى الاستعاذة والبسملة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي ، والرجيم أي المرجوم المطرود عن الخير كله ، وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة.

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ (الله) علم على الرب تبارك وتعالى ، لم يسم به غيره ، تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته ، والعقول لا تسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته ؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره .

٦ فوائد متنوعة :

أ- من بلغه هذا القرآن من عرب وعَجَم ، وأسودَ وأحمرَ ، وإنس وجان ، فهو نذير له .

ب- الواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه وتَعلُّمه وتعليمه ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ آل عمران: ١٨٧ .

ج- ذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم ، وإقبالهم على الدنيا وجمعها ، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتِّباع كتاب الله ، فعلينا – أيها المسلمون – أن ننتهي عما ذمَّهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أمرنا به ، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه .

د- كما أن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها ، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي .

هـ- أحسن طرق التفسير : أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن ، فما أُجمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له .

و- إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين ، وعبد الله بن مسعود ، والحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ؛ ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل " .

ز- من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو

يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا ، فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب ، أو جاهلاً فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان ، وتكثر بما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور .

ح- إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، كمجاهد بن جَبْر فإنه كان آية في التفسير .

ط- إذا أجمع التابعون على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك .

ي- تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام ، ولهذا تَحَرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به ، والآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف في هذا محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ، لقوله تعالى : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا﴾ آل عمران: ١٨٧ .

ك- التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله .

٧ موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات :

الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد ، لا للاعتضاد ، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح .

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني .

وسامح الله كعب الأحبار ووهب بن منبه فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، ولله الحمد والمنة.



إعجاز القرآن

القرآن معجز ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، ولا يزال التحدي قائمًا إلى قيام الساعة ، ورغم محاولات مشركي العرب الأوائل الذين يملكون زمام اللغة العربية فإنهم لم يستطيعوا أن يأتوا ولا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن ، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافًا بسموه وإدراكًا لأسراره ، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة .

* وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة متنوعة :

-فهو كتاب مُعجز في ألفاظه وتراكيبه ، وقد تضمن لغات العرب على كثرتها واختلافها ، ففيه من لغة قريش وتميم وطيء وحمير وهذيل وهوازن وغيرها ، قد بلغت من البلاغة والفصاحة منتهاها ، بل يوجد فيه ألفاظ أعجمية يستحيل على أيِّ أحد من الناس الإحاطة بمضامينها وتراكيبها .

-وهو معجز في أسلوبه ، فالحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية .

-وهو مُعجز في بيانه ونظمه ومعناه ، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان ، ويكشف الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود .

-وهو مُعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة ، والذي يقرأ القرآن يجد أنه يذكر حقائق عن هذا الكون الفسيح في آفاق السماء وأعماق الأرض والبحر ؛ لم يكتشفها العلماء أو يثبتوها إلا في العصر الحديث ، وباستخدام أجهزة متطورة وبعد إجراء أبحاث علمية متقدِّمة ، ووصول مثل هذه المعلومات الدقيقة والجليلة إلى رجل أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب في ذلك الزمان البعيد يشعر كلَّ عاقل بأن القرآن كلام الله ، وأن محمدًاﷺ نبيٌّ من أنبياء الله .

-والقرآن مُعجز في تشريعاته وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي ، فهو يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ، يبدأ بتربية الفرد حيث يحرِّر وجدانه بعقيدة التوحيد ، ويأمره بأداء العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ويدعوه إلى الأخلاق الحسنة كالإيثار والجود والكرم والصبر والأمانة ، ويغرس في نفسه المسئولية الفردية ، وينتقل به إلى بناء الأسرة ؛ لأنها نواة المجتمع فيشرع الزواج ويقيم رباط الأسرة على الودِّ والرحمة والعشرة بالمعروف ، ثم يقرِّر كيفية قيام الدولة التي تسود المجتمع، وأنها تقوم على الشورى وعلى العدل ومراعاة الضرورات الخمس ؛ الدين ، والنفس ، والعرض، والمال ، والعقل ؛ حتى يسود العدل والأمن بين الناس ، ثم يقرِّر العلاقات الدولية في الحرب والسلم في أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية .

-والقرآن هو الذي صيَّر العرب رعاة الشَّاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم ، وأحدث أثرًا في العالم غيَّر به وجه التاريخ .

-والقرآن قبل ذلك وبعده كتاب يربط القلوب بخالقها وباريها ، وقد تكفل الله بحفظه من أي تغيير ، وعصمه من الزيادة والنقصان ؛ فلذلك قال تعالى :﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ فصلت: ٤٢ ، وقال تعالى : " ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩.



١/ من أفضل العبادات وأجل القُربات أن تتعرف على أسماء الله وصفاته وتتعبد له بها .

٢/ الله ﷻ أمر أن يدعى بأسمائه الحسنى فقال : " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " [١] .

٣/ حث النبيُّ ﷺ على حفظ أسماء الله ﷻ فقال : " إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة " [٢] ، وإحصاء هذه الأسماء يتضمن ثلاثة أمور : أ/ عدّها وحفظها ، ب/ فهم معانيها ومعرفة مدلولاتها وآثارها في الكون والحياة، ج/ دعاء الله ﷻ بها والتعبد له بمقتضاها .

٤/ أسماء الله في القرآن والسنة تزيد على (٩٩) اسمًا [٣] ، لكن من أحصى هذا العدد فقد استحق الثواب الموعود به في الحديث [٤] .

٥/ من أسماء الله الواردة في الكتاب والسنة :

الله ۞ الإله ۞ الأحد ۞ الأعلى ۞ الأكرم ۞ الأول ۞ الآخر
البارئ ۞ الباسط ۞ الباطن ۞ البديع ۞ البر ۞ البصير ۞ التواب
الجبار ۞ الجميل ۞ الجواد ۞ الحفيظ ۞ الحسيب ۞ الحفيّ ۞ الحق
الحكم ۞ الحاكم ۞ الحكيم ۞ الحافظ ۞ الحليم ۞ الحميد ۞ الحي
الحيي ۞ الخالق ۞ الخلاق ۞ الخبير ۞ الدَّيَّان ۞ الرب ۞ الرحمن
الرحيم ۞ الرَّازق ۞ الرزَّاق ۞ الرفيق ۞ الرقيب ۞ الرؤوف ۞ السلام
السميع ۞ السبُّوح ۞ السّتّير ۞ السيِّد ۞ الشافي ۞ الشاكر ۞ الشكور
الشهيد ۞ الصمد ۞ الطيب ۞ الظاهر ۞ العزيز ۞ العظيم ۞ الغافر
الغفار ۞ الغفور ۞ العفو ۞ العلي ۞ العليم ۞ العلَّام ۞ الغني
الفاطر ۞ الفتاح ۞ القادر ۞ القدير ۞ القاهر ۞ القهار ۞ القدوس
القريب ۞ القيوم ۞ القوي ۞ الكافي ۞ الكبير ۞ الكريم ۞ اللطيف
المالك ۞ المؤمن ۞ المبين ۞ المتكبر ۞ المتعال ۞ المتين ۞ المحيي
المجيد ۞ المجيب ۞ المحسن ۞ المحيط ۞ المستعان ۞ المصور ۞ المعطي
المغني ۞ المقتدر ۞ المُقيت ۞ المقدِّم ۞ المؤخر ۞ الملك ۞ المليك
المنَّان ۞ المهيمن ۞ المولى ۞ النصير ۞ الهادي ۞ الواحد ۞ الوارث
الواسع ۞ الودود ۞ الوكيل ۞ الولي ۞ الوتر ۞ الوهاب

---

(١) الأعراف (الآية : ١٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) شروط صحة الاسم هو : ١/ ورود الدليل ، ٢/ صحة الإطلاق ، فما ورد إطلاقه في النصوص بصورة الاسم أو أخذ بطريق الاشتقاق أو الإضافة – ويقتضي المدح والثناء بنفسه ؛ فإنه يثبت اسمًا لله تعالى ، وانظر في هذا الباب تقريرات الشيخ عبدالرحمن السعدي ، والشيخ عبدالعزيز بن باز ، والشيخ محمد العثيمين ، والشيخ عبدالرحمن البراك وغيرهم .

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٢٨٤ – ٦٨٤) .





الفهرس

